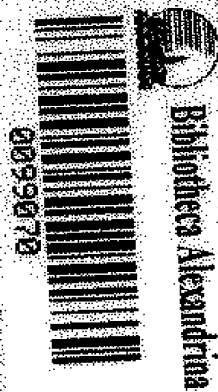




الأفعال غير المتصرفية وشبه المتصرفية

دكتور
المحمد بن محمد بن
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٩



دار المعرفة الجامعية
ش. بونير - الإسكندرية
٤٨٣٠١٦٢ : ٥

الأفعال غير المبنيّة
وشبه المبنيّة

الأفعال غير المنصرفة وشبه المنصرفة

الدكتور
أحمد سليمان ياقوت
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش. مونتيف - الإسكندرية
٤٨٣٠١٦٣ : ج

الإهداء *

إلى روح أستاذي الجليل
الأستاذ الدكتور السيد أحمد خليل
رحمة الله رحمةً واسعة وأسكنه فسيح جناته

أحمد سليمان بهالوت

٨ - هنا يدخل في باب الاستثناء ، وهي : لا يكون وليس وحاشا
وخلأ وقذا .

٩ - مالا يدخل في باب من أبواب النحو وهي وذر وودع وكذب
(عليك) وتشارك وقل في مثل " قل رجل يفعل ذلك " وسقط
في مثل (سقط في يده) وعيم وينبغي وأهلم وهات وتعمال
ويهيض ويسوي وشكر وهذا .

والأفعال التي لا تتصرف تصرفاً كاملاً ليست مضمورة على
العربية ، ففي الإنجليزية ما يعرف بالأفعال الناقصة defective verbs
can; could; shall; should; will would; may; might; must; ought to.
وهي أفعال لا تأتي إلا على صورتين ليس غير .

ولقد رأينا أن نجمع أفعال العربية غير المتصرفية أو المتصرفية
تصرفاً جزئياً ، ولقد أطلقنا عليها شبه المتصرفية ، وأوردنا لها
هذا البحث ولم نجد - فيما أطلقنا عليه من مراجع - بحثاً
يتناول هذه الأفعال بالدرس والتحليل .

فكل أمحاج المراجع النحوي - عدا السيوطي فيما أعلم -
لا يخصص باباً لهذه الأفعال ، بل إنهم يتناولون بعضها في
الأبواب الخاصة بها ، ف (ليس) مثلاً يتناولونها في النواصب
(وحاشا) في الاستثناء ، ... وتبقى بعد ذلك أفعال لا تخص بابها
من أبواب النحو مثل وذر وكذب عليك وينبغي وسقط في يده
وهات وتعال - ولا تكاد نجد لها ذكراً في تلك المراجع .

أما السيوطي فقد اكتفى بجمع هذه الأفعال جمعاً ليس غير ،
دون تفصيل أو شرح أو بيان للاستعمال ، اللهم إلا كلمة أو بفتح

كلمات لبعض هذه الأفعال ، حتى إنَّ جَمْعَهُ لها لم يستغرقَ إلاَّ صفحةً من همع الهوامع ، وكذلك فعل في المزهري نقلا عن التسهيل لأبوسن مالك .

وقد يسألُ سائلٌ : لِمَ لمُ تتناولُ أسماءَ الأفعالِ في بحثك هذا ، وهي أفعالٌ عند بعض النحاة ، وغيرُ متصرفةٍ عند الجميع ؟ وأجيب عن هذا السؤال بأن هناك رسالةً للدكتوراه موضوعها : أسماءُ الأفعالِ وأسماءُ الأصواتِ في اللغة العربية للدكتور محمد عبدالله جبر ، وقد تناول الباحث في تلك الرسالة بالدرس والتحليل أسماءَ الأفعالِ المرتجلة مثل آمين ورؤيدَ وبِلَّةَ وهَيْهَاتِ وهَلُمَّ وَهَـ وَهَـ الخ . ثم تناول أسماءَ الأفعالِ المنقولةً من أحرفِ الجرِّ مثل إليك وعليك ومنك ... والمنقولةً من الظروف مثل أمامك وبعدهك وخلقك نسيم تناول بعد ذلك صيغةَ فَعَالٍ في الأمر لذلك لم نَشَأْ أن نكرِّرَ ما قاله ، بل ابتدأنا من حيث انتهى .

هذه واحدة ، وأخرى أن موضوعَ رسالتي للماجستير هــــــــــــــــو (النواسخُ الفعليةُ والحرفيةُ) وربما كان هناك تداخلٌ بينها وبين موضوع هذا البحث وذلك في باب (كان وأخواتها) ، ولكن الاختلافَ بين الموضوعين واضحٌ ظاهرٌ ، فهذا البحثُ يُعْنِي بالتصرف وعــــــــــــــــدم التصرف في هذه الأفعال ، في حين أن رسالةَ الماجستير تتعــــــــــــــــسرسر استعمال هذه الأفعال ولوظائفِ النسخ فيها . على أن هذا لا يَعْنِي

أذني لم أرجع إلى رسالة الماجستير بل فعلتُ ، وأشرتُ إلى كلِّ موطنٍ رجعتُ فيه إليها ، وهي موطنٌ معدودةٌ . يضاف إلى ذلك أن مـــــــرَّ السنين يطورُ فكرَ الباحثِ ويغيّرُ نظرتَه العلميّةَ تجاه كثيرٍ مــــن الموضوعاتِ .

واللّهُ سبحانه وتعالى نسألُ أنْ يوفّقنا فيما بدأنا فيه . إنّه هو السميعُ العليمُ .

أحمد سليمان باقوت

الفصل الأول

مسئله الاتصال : هل هي جامعة أو غير جامعة ؟

هذه الأفعال كلها اصطلاح بعض النحاة على تسميتها بالأفعال الجامدة، وهذا اللفظ عندهم عكس المتصرف . واصطلاح بعضهم على تسميتها بالأفعال غير المتصرف ، يدل على ذلك ما ذكره السيوطي في تقسيم الفعل إلى " متصرف وهو ما اختلفت أبنيتها باختلاف زمانه وهو كثير ، وجامد بخلافه وهو... " (١) . وبذلك وضع السيوطي للفعل الجامد عكساً للفعل المتصرف ، ولقد حدا عدوّه الشيخ محمد محيي الدين عند ما أورد أدلة النحاة على أن (ليس) حرف نقال :
 " إنه (اي ليس) جامد لا يتصرف كما أن الحرف جامد لا يتصرف " (٢)

ونجد هذا اللفظ (الجامد) في معنى ابن هشام ومعاً لهذه الأفعال ، فقد قلدهم فعلاً متواتراً " هل تتعلق الظروف والجمادات والمجوز بالفعل الجامد " (٣)

ويقول المرحوم عباس حسن " هذه الأفعال (يلمد المصال الشروع) جامدة ، لأنها مقصورة على الماضي ، لا (طلق) و(جمل)

(١) مع الهوامع شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي ج ٢ ، ص ٨٢ بيروت دون تاريخ .

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج ١ هامش ص ٢٦٢ تحقيق محمد محيي الدين . التجارية الكبرى بمصر سنة ١٩٦٤ .

(٣) المعنى لابن هشام ص ٥٧١ تحقيق الدكتور مازن المبارك وآخرين بيروت ١٩٧٩ .

فلهما مضارعان ^(١) .

ويقول في أفعال الرجاء " هي أفعال ماضية في لفظها جامدة ^(٢) في الصيغة " .

وهناك مواضع أخرى في النحو الوافي وصفت فيها هذه الأفعال وغيرها (بالجمود) وليس (بعدم التصرف) .

وكذلك نجد في (شذائع الصرف) ^(٣) تقسيمات عديدة للفعل منها :-

- (١) الماضي والمضارع والأمر .
- (٢) الصحيح والمعتل، ولكل أقسامه .
- (٣) اللازم، والمتعدي .
- (٤) التام والناقص .
- (٥) المبني للمعلوم والمبني للمجهول .
- (٦) الجامد والمتصرف .
- فروع الجامد بها : المتصرف .

على أن هناك من النحاة من وصف هذه الأفعال بعدم التصرف ،
فابن يعيش يقول في شرحه على مفصل الزمخشري " وهذه (عسَى)

(١) النحو الوافي ج ١ ص ٢٠ دار المعارف ط ٤ .

(٢) السابق ج ١ ص ٦٦٢ .

(٣) شذائع الصرف في فن الصرف للشيخ أحمد الحمالوي ص ٤٢ الطبعة
بمصر سنة ١٩٦٥ .

قد خالفت غيرهما من الأفعال ومُنعت من التصرف ^(١) .

ويقول أيضا عن (نعم وبشئ) : " وأيضا فإن آخرهما يُبنى على الفتح من غير عارضٍ عُرِضَ لهما ، كما تكون الأفعال الماضية كذلك ، إلا أنّهما لا يتصرفان ، فلا يكون منهما مفاعٌ ولا اسمٌ فاعلٌ ، والعلّة في ذلك أنّهما تضمنا ما ليس لهما في الأصل ، وذلك أنّهما نقلتا من الخبر إلى نفس المدح والذم ، والأصل في إضمارهما المصاحفي إنّما هي الحروف، فلما أضافت فائدة الحروف خرجت عن بابها، ومُنعت من التصرف كليين وعسى ^(٢) .

ويقول صاحبُ الإنصاف " ذهب الكوفيون إلى أنّ (نعم وبشئ) اسمان مبتدآن ، وذهب البصريون إلى أنّهما فعلان ماضيان لا يتصرفان ^(٣) .

ويقول في موضع آخر " الدليل على أنّهما ليسا بفعلين أنّهما غير متصرفين " ^(٤) . ولكنه في موضع آخر يقول من أفعال ^(٥) التصجب : " أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا الدليل على أنّه اسم أنّه جامد لا يتصرف ولو كان فعلا لوجب أن يتصرف " ^(٦) . فجَمَعَ بين (جامد) و (لا يتصرف) معاً .

(١) شرح المصنف ج ٧ ص ١١٦ المشيخة بالقاهرة دون تاريخ .

(٢) السابق ج ٧ ص ١٢٧ .

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات بن أبي سعيد الأنباري ج ١ ص ٦٦ تحقيق محمد محيي الدين ج ١ صبيح سنة ١٩٥٣ م .

(٤) الإنصاف في مسائل ج ١ ص ٦٩ .

(٥) السابق ج ١ ص ٨١ .

أما سيبويه فإنه يذكر أوصافاً أخرى لهذه الأفعال ، كقوليه
عن حَبَّذا ونِعَمَ في لزومهما صورةً واحدةً " فلزم هذا في كلامهم
ولأنه صار كالمثل^(١) ويقول عن (أفعل) التعجب : " هذا بابٌ ما
يعمل الفعل ولم يجر مجرى الفعل ولم يتمكن تمكُّنه وذلك قولك ما
أحسنَ عبدُ الله " ^(٢) . وفي موضوع آخر يقول من ليس : " وأما
ليس ، فإنه لا يكون فيها ذلك ، لأنها وقعت مفعلاً واحداً ، ومن
ثم لم تَعْرِفَ تَمَرَّفَ الفعل الآخر " ^(٣) .

ونتساءل بعد هذا العرفي لأقوال طائفة من النحاة : أنطلق
على هذه الأفعال (الأفعال الجامدة) أو نطلق عليها (الأفعال
غير المتحركة) ؟

ولعل من اللائق قبل أن نجيبَ عن هذا التساؤل أن نُلحِّظَ
القوة على ماهية الجامد وماهية المشتق ، ونفتح أيضاً معنًى
التصريف .

فأما الجامد فقد جاء ذكره في كتب الصرفيين عندما يسمون
الاسم إلى جامدٍ ومشتق ، فالجامد عندهم ما لم يُؤخذَ من غيره ^(٤) .

أي أنه أصلٌ وليس ناتجاً عن صورة سابقة مشتقٌ منها ،
أو كما يقول المرحوم الأستاذ عباس حسن " إنه وقع على صورته

(١) الكتاب ١ ص ٣٠٢ ط المثنى ببغداد .

(٢) السابق ١ ص ٣٧ .

(٣) السابق ١ ص ٢١ .

(٤) شد العرف ٦٧ ص .

الحالية ابتداءً ، وليس له أصل يرجع إليه أو ينتجب عنه .^(١) وله
الاسم .

(١) اسم ذات كرجل وشجر وبقر .

ويطلقون عليه اسم عين بمعنى أنه محسوس من الممكنين
رويته .

(ب) اسم معنى : مثل فيم ولبام وقعود وزمان ، فهو لا يفسد
في دافرة المحسوسات بل إنه شيء مضمون لا يدرك وحده هنيئ
المصادر التي يشتق منها .

على أن هناك بعض الجوامع التي تلحق بالمشتق في بعض
استعمالاتها ، كاسماء الإشارة والاسم الجامد المنسوب أو المعطس .

وقد اشتق العرب الأفعال من المصادر ،^(٢) أي من أسماء
المعاني الجامدة ، هذه هي القاعدة ، غير أن هناك من الباحثين من
رأى أن العرب قد اشتق الأفعال من أسماء الأحيان الجامدة أحياناً ،
وقد أتت بأمثلة كثيرة لذلك منها الفعل رأس من الرأس ، فلانوا :

(١) انظر الوافي ج ٢ هامش ص ١٤٤ وقد رجعنا في ذلك أيضاً
للمراجع التي أشار إليها الأستاذ عباس حسن وهي مجلة مجمع
اللغة العربية ج ١ ص ٢٨١ ، و ج ٢ ص ١٩٥ ، ٢٤٥ كما أن
هناك بحثاً آخر في هذا الموضوع في الجزء الرابع ص ٢٢٨ .

(٢) هذا هو مذهب البصريين الذين يرون أن المصدر أصل والفعل فسرع
عليه ، والكولينيون يرون العكس ، وينرجع إلى ذلك بعد قليل ،
وانظر الإنصاف في مسائل الخلاف ج ١ ص ١٤٤ .

رَأَيْتُ إِذَا أَمَابَ رَأَيْتُهُ ، وَالْفَعْلَ بَرَأَ مِنْ الْبَيْتِ وَمِنْهُ يَبْرَأُ فَلَانٌ بَرَأَ إِذَا
حَفَرَهَا ، وَالْفَعْلَ زَبَدَ مِنَ الزَّبَدِ ، فَلَقَالُوا زَبَدْتُ الرَّجُلَ زُبْدًا ؛ أَيِ أَطْعَمْتُهُ
الزَّبَدَ ، وَمِنْ هَذَا الْاِشْتِقَاقِ أَيْضًا الْفَعْلُ ذَوِبَ وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الزَّبَدِ .
أَيِ صَارَ مِثْلَهُ خَبْثًا وَدُهَاءً ^(١) .

وقد أورد السيوطي قولهم استجحر الطين واستنوق الجمال ^(٢) .

هذا من الجامع ، فماداً عن المشتق ؟ لقد كتب كثيرون فسي
الاشتقاق وأُفِرِدَتْ لَهُ مَوَاقِفٌ ، يَقُولُ السَّيُوطِيُّ : أَفَرَدَ الْاِشْتِقَاقَ
بِالْتَّالِيفِ جَمَاعَةً مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، مِنْهُمْ الْأَصْمَعِيُّ وَقُطْرُبُ وَأَبُو
الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ وَأَبُو نَمْرٍ الْبَاهِلِيُّ وَالْمُغْفَلُ بْنُ سُلَيْمَةَ وَالْمُبَرِّدُ وَأَبُو
دُرَيْدٍ وَالزَّجَّاجُ وَابْنُ السَّرَاجِ وَالرَّمَانِيُّ وَالنَّحَّاسُ وَابْنُ خَالَوَيْهِ ^(٣) .

وأما كتبُ الاشتقاقِ المحدثه فمنها (العلم الخفاق في علم
الاشتقاق) محمد مديق بهادر ، والاشتقاق والتعريب لعبد القادر
المعري وكتاب الاشتقاق للأستاذ عبد الله أمين ^(٤) .

(١) من بحث للأستاذ عبد الله أمين بمجلة مجمع اللغة العربية
الجزء الرابع : أكتوبر ١٩٢٧ ص ٢٢٨ بعنوان " بحث في الطرق
التي سلكها العرب منذ اشتغالهم الأفعال من أسماء الأعيان .

(٢) المزهر ١ ص ٢٥٠ تحقيق محمد جاد المولى وآخرين .
الطبع في دار تاريخ .

(٣) المزهر ١ ص ٢٥١ .

(٤) من مقدمة كتاب الاشتقاق لابن دريد ، وهو الذي حققه الأستاذ
عبد السلام هارون . مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٧٩ .

" والاشتقاق هو أخذ صيغة من أخرى مع اشتقاقهما معنويًا
و " مادة " أصلية وهيئة تركيب لها وليد بالثانية على معنى
الأصل ، بزيادة مفيدة ، لأجلها اختلفا حرفاً أو هيئة كضارب من
قرب وحذر من حذر ^(١) .

ويعرفه الأستاذ عبدالله أمين بأنه أخذ كلمة من كلمة
أو أكثر مع تناسب بين المأخوذ منه في اللفظ والمعنى جميعاً ^(٢) . وهو
تعريف قريب من تعريف الأستاذ هارون " هو أخذ كلمة من كلمة
أو أكثر مع تناسب بينهما في اللفظ والمعنى ^(٣) " .

والاشتقاق وسيلة من وسائل نمو اللغة وتطورها وزيادة ثروتها
اللغوية فيها ، وقد اتخذ بعض اللغويين أساساً في تفسير
اللغات إلى فصائل ^(٤) .

وقد بين السيوطي التغيرات بين الأصل المشتق منه والفصل
المشتق وحصرها في خمسة عشر :

(١) المزهر ج ١ ص ٢٤٦ .

(٢) كتاب الاشتقاق ص ١ لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ،
١٩٥٦ .

(٣) مقدمة كتاب الاشتقاق لابن دريد ص ٢٦ .

(٤) يطلق بعض اللغويين على اللغات التي تتميز بالاشتقاق (فصيلة
اللغات المتصرفة) Flexionnelles أو التحليلية Analytiques
وذلك كاللغة العربية فإن كلماتها تتغير معانيها بتغيير
بنيتها ، فنقول علمٌ للدلالة على المصدر ، وعلمٌ للدلالة على
الفعل الماضي ، وعلم (بتشديد اللام) للدلالة على تعدي الفعل...
والمعلوم للدلالة على ما وقع عليه العلم وهلم جرا .
علم اللغة دكتور علي عبدالواحد وافي ص ٨٦ مكتبة
النهضة سنة ١٩٤٤ .

- الأول : زيادة حركة - كَعْلُم - وَعَلِم -
- الثاني : زيادة مادة كطالب وطلب •
- الثالث : زيادتهما كضارب وضرب •
- الرابع : نقصان حركة كالفرس من الفرس (بتسكين الواو)
- الخامس : نقصان مادة كثبت وثبات •
- السادس : نقصانها كنرا وتنزوان •
- السابع : نقصان حركة وزيادة مادة : كغلبى وغلب •
- الثامن : نقصان مادة وزيادة حركة كحرم وحرمان •
- التاسع : زيادتهما مع نقصانها كاستنوق من الناقة •
- العاشر : تغاير الحركتين كبطر بظرا •
- الحادي عشر : نقصان حركة وزيادة أخرى وحرف كاضرب من الضرب •
- الثاني عشر : نقصان مادة وزيادة أخرى كرافع من الرضاة •
- الثالث عشر : نقصان مادة بزيادة أخرى وحركة كخاف من الخوف ؛ لأن الفاء ساكنة في خوف لعدم التركيب •
- الرابع عشر : نقصان حركة وحرف وزيادة حركة نطق ، كعد من الومسد ، فيه نقصان الواو وحركتها وزيادة كسرة •
- الخامس عشر : نقصان حركة وحرف وزيادة حرف ، كفاخر من الفخسار ، نعمت الدورات الد وفتحة • (المزهر ٢٤٨/١) •

والاشتقاق منه ابن جنى نومان :

الأول الاشتقاق الأمشعر " كان تأخذ أصلا من الأصول

فتتقراء ، فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومبانيه، وذلك كتركيب (سلم) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تعرفه نحو سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة والتسليم ... " (١).

والنوع الثاني الاشتقاق الأكبر " وهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقلابيه الستة معنى واحداً، فتجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد عليه " (٢) . ويضرب مثلاً لذلك مادة قَوَلَ ، فيقول " إن معنى (قول) ابن وجدت وكيف ولعت من تقدّم بعض حروفها على بعض وتأخّره منه إنما هو للخلاف والحركة " (٣).

وقد تعرفت لهذا النوع بالدراسة التفصيلية، ورأيت أن ابن جنى قد جانب الصواب عندما قال إن تقلاب المادة الواحدة تعطي معنى واحداً أو معاني متشابهة (٤) .

هذا وقد أورد السيوطي أمثلة أخرى للاشتقاق لا تدخل تحت هذين النوعين ، هذه الأمثلة التي ذكرها السيوطي أوجت لنسباً بتقسيم الاشتقاق إلى نوعين :

الأول الاشتقاق بمعناه العام Derivation وهو الذي أسماه

(١) الخصائص ج ٢ ص ١٢٤ تحقيق محمد علي النجار . دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٥ .

(٢) الخصائص ج ٢ ص ١٢٤ .

(٣) الخصائص ج ١ ص ١٢٤ .

(٤) كتابنا " دراسات نحوية في خصائص ابن جنى " ص ٢٢٧ وما بعدها ، دار النشر الجامعي ، سنة ١٩٨٠ .

ابن جنى اشتقاقاً أصغر . كان تشتق من الكلمة اسم فاعلٍ أو اسم مفعول أو اسم مكان أو صفةً مشبهةً، وهو الاشتقاق المتعارف عليه مدرسياً .

(١) والثاني الاشتقاق التاريخي Etymology ، وهو التتبُّع التاريخي لمعاني المشتقات من الكلمة الواحدة أو إرجاع معنًى من المعانى إلى اشتقاقه من كلمة ما لعلاقة دلالية تجمع بينهما ، أو هو — كما يقول فندريس — " أخذُ الفاظِ اللاموس كلمةً كلمةً ، وترويضُ كلِّ واحدةٍ منها بما يشبه أن يكونَ بطاقةً شخصيةً يُذكرُ فيها من أين جاءتْ ومتى وكيف صيغتْ والتقلباتُ التي مرَّتْ بها " (٢) .

والأمثلة التي ذكرها السيوطي وأوحت لنا بهذا التقسيم تدخل جميعها في نطاق القسم الثاني ومنها :-

- (١) سُميت (مِنى) بهذا الاسم لما يُمنى فيها من الدماء .
- (ب) يقال (شَجَرْتُ فلاناً بالرَّمحِ) من الشجرة ، لأنك تجعله في الرمح كالغصن في الشجرة .
- (ج) شَادِقٌ : اسمُ فرسٍ مشتقٌّ من (شَدَقَ المطرُ) إذا سال وانصب فهو شادق (فكانَ الفرسَ هذا في سرعته كالْمَطَرِ إذا سال وانصب .

(١) لم يكن ذكر هذين النوعين عبثاً أو إطالةً للبحث دون داعٍ، فالنوع الثاني وهو الاشتقاق التاريخي Etymology هو الذي سنعتمد عليه في تأصيل بعض الأفعال غير المتصرفة .

(٢) اللغة ص ٢٢٦ . ترجمة الأستاذين الدواخلى والقصاص، الأنجلو- المصرية ١٩٢٠ .

(د) الشور : سُمي بهذا الاسم لأنه يثير الأرض .

(هـ) الجَرْجِير : سُمي كذلك لأن الريح تُجَرِّحُهُ أي تمزقه ^(١) .

وقد ذكر فندريس مثلاً لهذا النوع من الاشتقاق، فـسـمى رأى أن
ماريشال وهي أكبر رتبة عسكرية — إنما كان اشتقاقها من خادم
الامطبل في الألمانية القديمة ^(٢) .

ومما يدخل في هذا النوع أيضاً ما لاحظ الأستاذ عبد السلام
هارون ^(٣) في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي ، فقد لاحظ أنـه
قد جرى في كتابه على بيان اشتقاق أسماء البلدان العربية
وتَرجيحُ في هذا إلى الاشتقاق التاريخي والرجوع بالكلمة إلى أصلها
في كلمات أخرى أو في مناسبات أخرى .

من ذلك قوله عن السُّد بكسر أوله وسكون ثانيه ، وأخسره
دال مهملة " بلاد بين الهند وكرمان وسجستان . قالوا السنـسـد
والهند كانا أخوين من ولد بوفير بن يقطن بن حام بن نـسـوع ،
يقال للواحد من أهلها سندي والجمع سند مثل رنجي وزنسج ^(٤) " .

وكأوله " صَبَّاب بالفتح ثم بالتشديد وباء أخرى من صَبَّ

(١) المزهرى ج ١ ص ٢٥١ وما بعدها بتصريف .

(٢) اللغة ص ٢٢٧ .

(٣) كتاب الاشتقاق لابن دريد " المقدمة التي كتبها محققه
عبد السلام هارون " ص ٢٠ .

(٤) معجم البلدان، ان لياقوت الحموي ج ٢ ص ٢٦٧ بيروت ١٩٥٥ .

الماء يَمَسُّهُو صَبَابٌ . جفروني ديار بني كلاب كثير النحل ^(١) .

وكتوله " صباح بالضم ثم التخفيف ، قاله أبو منصور، رجـل أصبح اللحية للذي يعلو شعرَ لحيته بياضٌ مشرب بحمرة ومنه صبح النهار ، ومن ذلك قيل دم صباحي لشدة حمرة . قال : عبيسـط صباحي من الحروف أشقر . وذو صباح موضع في بلاد العرب ومنه يوم ذو صباح ، وقيل صبح وصباح ما أن من جبال نملي لبني قريظ...^(٢) .

لم يبق لنا إلا أن نبين معنى التصريف ، وأمره هين فهو علم يبحث فيه عن أحكام بنية الكلمة العربية وما لحروفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال وشبه ذلك .^(٣)

" وليس من التصريف عند جمهرة النحاة -- تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة ، ليؤدي معاني مختلفة كالتمغير والتكسيـر والتشنية والجمع والاشتقاق...^(٤) .

ويرى بعض النحاة أن التصريف أمٌّ من الاشتقاق لأن بنىءاء مثل تردد من الضرب يسمى تصريفًا ولا يسمى اشتقاقًا ، لأنه خاص بما بنته العرب ^(٥) .

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ٢٨٩ .

(٢) السابق ج ٣ ص ٣٩١ .

(٣) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٥٢٩ .

(٤) النحر ألواني ج ٤ ص ٥٦٢ .

(٥) المزهر ج ١ ص ٣٥١ .

يخص بنا بعد هذا العرض أن نجيب عن التساؤل الذي عرضنا له في أول الفصل .

إن تسمية هذه الأفعال بالجامدة خطأ ، وذلك :

(١) لأن الجموع والاشتقاق قسمان للاسم ، يدل على ذلك بيت الألفية في خبر المبتدأ عندما يكون جامدا .

والمفرد الجامد فـسـسـارغ وإن

يشتق فهو ذو ضمير مُستَكِن (١) .

(٢) وأن التصرف وعدم التصرف قسمان للفعل ، وقد اختلف على ذلك جمهور النحاة في معظم كتبهم ، إلا أنهم عندما جاؤا إلى الأفعال موضوع بحثنا أطلقوا عليها الأفعال الجامدة . وهذا لبس وقعوا فيه ، وربما كانوا يظنون بالجامد عكس المتصرف ، وليس مكن المشتق .

(٣) وأن هذه الأفعال ليست جامدة ، بمعنى أنها لم تؤخذ من غيرها ، أو أن الصورة التي عليها هي الصورة الأولى ، لا ، بل إنها مشتقة ، أو قل إن معظمها مشتق ، واشتقاقها يرجع في

(١) شرح ابن عقيل ٢٠٥/١ .

(٢) لابد أن نفترض هنا أن الفعل فرع يستدر من الأصل ، أي إن الفعل مشتق من المصدر ، موافقين في ذلك رأي البصريين . إذ إننا لو فرضنا العكس ، أي أن الفعل هو الأصل ، لكانت كل الأفعال جامدة غير مشتقة (اسم مفعول) ، وتكون هذه الصورة التي نراها عليها هي الصورة الأولى الأصلية ، ولا أمل لهذا قيل يرجع إليه ، هذا إلى أننا في بحث سابق رأينا أن المصدر ربما كان هو الأصل ، ذلك لأن الفعل إنما هو تجريد ، أي أنه فكرة غير مشخصة أو غير ملموسة مثل (أكل) ، أما الاسم فهو في بعض أحواله مشخص أو ملموس مثل (الأكل) . والملموس أو المشخص هو الذي يقرع الذهن أولا ثم يأتي بعد ذلك المجرد (وانظر اللغة لفندريس ص ١٨١ ، وكتابنا " في علم اللغة الثقابلس ص ١٥٥) دارالمعرفة الجامعية سنة ١٩٨٥ .

الأغلب الأعم إلى الاشتقاق بمعناه التاريخي Etymology، أي أن هذا الاشتقاق ليس جاريًا على سنن العرب كأن تشتق من الكلمة اسم فاعل أو اسم مفعول أو اسم مكان أو صفة مشبهة.... حسب القواعد المذكورة عندهم، بل إن الاشتقاق يستبين فيها بتتبع المراحل التاريخية التي مرت بها هذه الكلمة أو تلك، وبمقارنتها... في بعض الأحيان - بكلمات أخرى من الفصيلة نفسها - وهو بحث صعب مرامه عسير نواله، وليس في استطاعة الباحث تطبيقه على كل الأفعال.

ولنأخذ مثلاً على ذلك الفعل (ليس) فستجده مكوناً أو قسلاً مشتقاً من لا النافية بإضافة إلى فعل الكينونة في العبرية يسش فأصبح (ليس) وهذا مطابق لتعريف الاشتقاق عند العرب، فقد قالوا عنه "هو أخذ كلمة من كلمة أو أكثر". وقد أخذنا هذا الفعل من كلمتين.

وقد لُطِّنَ إلى ذلك الخليل - رحمه الله عليه - عندما قال آيس ولا آيس - هذا مثال، مثال آخر (نعم) آيست هذه المسادة الثلاثية دالة على الترف وسعة العيش والرخاء.... بلى هي كذلك، فليس غريباً إذاً أن يؤخذ منها معنى المدح والاطراء في عصر من العصور. وإذا انتقلنا إلى نقيضها (بئس) وجدنا فكسرة الاشتقاق التاريخي متحققة أيضاً، فالمادة الثلاثية تُشير إلى الضنك والضيق والبؤس والفقر وما إلى ذلك، فيرجع أنها في عصر من العصور استعملت في معنى متقارب لهذه المعاني وهو الذم، ثم استمر هذا المعنى مستعملاً إلى الآن.

ثم نأتى إلى حبذا وهى حبّ و ذا وقد كُتبت كلمة واحسبده
وكانت فى الأصل كلمتين ، فاما (حب) فواضح أن معنى المصحح
قريب منها ، بل ملتصقٌ بها ، واما (ذا) فهو اسمٌ إشارة يدل على
الشيء المحبب الذي أشير إليه ونظن أنهما كانتا من عملتين
(حب + ذا) ثم إنّه بتطور الاستعمال اشتملت الذال بالياء ، فأصبحتا
على هذه الصورة (حبذا) . ولو أن الياء كانت حرفاً آخر لا يتصل بها
بعده كالراء مثلا لبقينا من عملتين .

والفعل (لا يكون) اشتق من استعماله كفعلٍ ناقص ، ووضع
فى أسلوب الاستثناء على حالته تلك دون أن يتعداها إلى مسسورة
أخرى . ويبدل على هذا (الانتزاع) أنه محدود الاستعمال ، إن لم
يكن نادراً فى أسلوب الاستثناء ، وهذا لم يتم فى فترة محدودة
بل هى نتيجة للتطور فى الاستعمال .

وهكذا إذا تتبعنا معظم الأفعال غير المتصرفة نجدها فى
الأغلب ترجع إلى كلمات لها صلة بالربى فى المعنى أو فى التركيب
بهذه الأفعال ، ثم اشتقت منها فى زمن ما ، ثم صارت شائعة
مستعملة .

وقد قلتُ غير المتصرفة وهى تسببة صحيحة ، لأن المقصود
بذلك أنها لا تتصرف ، أى لا تأتى فى الأزمنة المختلفة كالماضي
والمضارع والأمر وباقي التماريف كاسم الفاعل واسم المفعول ... الخ .
بل تأتى على صورة واحدة أو صورتين . وقد قلت (معظم)
الأفعال (و (فى الأغلب الأعم) ، لأن هناك أفعالاً لا صلة
بينها وبين ما أخذت منه . وإلا لما العلاقة بين المادة الثلاثية

(كرب) والفعل (كرب) بمعنى دنا ؟^(١) وما العلاقة بين (عسى)
كفعل من أفعال الرجاء وبين ما تدل عليه هذه المادة وهو الكبر :
يقال عسى الشيخ يعسو أي كبر وضعف وقلَّ بهُزله^(٢) .

وبعد أن أجمعنا القول في هذه الأفعال من حيث عدم التصرف أو
الجمود ، وراينا أن وصفها بغير المتصرفة اليقُ وأحسنُ ؛ لأنَّ الجمودَ
ليس من طبيعتها ، نلَّ إنَّ كلَّ فعلٍ منها كان مشتقاً أو ماخوذاً
من كلمة أو كلمتين - أقول ، بعد أن فعلنا ذلك نتناول ههنا
الأفعال بالدراسة طائفة طائفة ، ونبدأ بتلك الأفعال التي تنتمي
إلى باب النواسخ في النحو .

| | | | |
| | |
|

-
- (١) ربما تكون العلاقة في اللفظ والكلام والقاب من مخرجين متقاربين
وسنبين ذلك بالتفصيل في موضعه إن شاء الله .
(٢) سيأتي بحث هذه الأفعال كلٌّ على حدة في موضعه .

الفصل الثاني

كسان والمواتها

أما الاستعمال الخاص الذي نتعده فهو (لا يكون) في أسلوب الاستثناء ، ويكون الفعل في حالة المضارع دون الماضي أو الأمر مميّزاً بحرف النفي (لا) دون غيره من حروف النفي نحو ما ، وليس . فـ (لا يكون) دون غيره من التعاريف الأخرى هو الذي يستعمل في أسلوب الاستثناء .

أما الثاني فهو (ليس) وهو غير متصرف في كل الأحوال ؛ أي إذا استعمل فعلاً ناقصاً أو استعمل في أسلوب الاستثناء .^(١) ونلاحظ أن أسلوب الاستثناء التي جاءت مستخدمة هذين الفعلين قليلة جداً بل نادرة ، مما يدل على أنهما ولهما أملاً للنسخ لا للاستثناء ، فمن شواهد استعمالهما للاستثناء قول ربيعة :

مَدَدْتُ لَوْسٍ كَعْدِيدِ الطَّيْسِ إِذَا ذَهَبَ الْكِرَامُ لَيْسَ^(٢)

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ " يُطْبِعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ خَلْقٍ لَيْسَ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ " . وهذان الشاهدان وردا في جميع الهوامع في باب الاستثناء بـ ليس ولا يكون ، كما ورد البيت ربيعة في المفضي حسن القاف دون أن يستشهد به ابن هشام على الاستثناء بـ ليس ، كما نقلهما (البيت والحدِيث) الأستاذ عباس حسن في النحوس الوافي .^(٣) ولقد أورد ابن هشام في المفضي حديث رسول الله

(١) صنيين بعد الفيل أَنْ كَانَ فَعَلًا أَوْ حَرْفًا .

(٢) عديد الطيس أي الرمل الكثير وقد استشهد به ابن هشام في حرف القاف ص ٢٢٧ وفي الخزانة (٢) ٤٢٥-٤٠٤ .

(٣) جميع الهوامع ص ٢٢٥ .

(٤) المفضي ص ٢٢٧ .

(٥) النحوس الوافي ص ٢ ص ٢٥٨ .

صلى الله عليه وسلم " ليس من أصحابي أحدٌ إلّا ولو شئت لأخذتُ عليه
 ليس أبا الدرداء " . ولقد قال محققُ المغنى إنه بحثَ عن هذا
 الحديث في كتب الصحاح فلم يجده .^(١) كما أنى بحثت في صحيح
 مسلم عن الحديث الأول " ... ليس الخيانة والكذب فلم أجده ،
 ووجدته في إحياء علوم الدين للغزالي بنصٍّ آخر هو " كل خلسة
 يُطبع عليها المؤمنُ إلّا الخيانة والكذب "^(٢) . فلم يستعمل
 (ليس) .

أما ما جاء في كتب النحو مثلاً على ذلك فهو نحو " أتاني
 القومُ ليس زيداً و (لا يكون زيداً) (وقام القومُ ليس زيداً)
 و (لا يكون زيداً) "^(٣) .

وبدل على أنهما وفيما أصلاً للنسخ بالإضافة إلى ما ذكرناه
 أن إعرابهما في أسلوب الاستثناء مطابق تماماً لإعرابهما عندما
 يكونان ناسخين . قال السيوطي في شرحه على بيت رؤية " وقوله
 (ليس) ، أي ليس الذهاب أي أي ، فاسمُ (ليس) مستترٌ فيهما
 وخبرها الضميرُ المتملُّ بها "^(٤) . ونجد أن هذا الإعراب متعلقٌ أيضاً
 في قولهم (قام القومُ لا يكون زيداً) فتأويلُهُ عندهم (قام القومُ
 لا يكون بعضهم زيداً)^(٥) .

(١) المغنى ص ٢٨٧ (الهامش) .

(٢) إحياء علوم الدين ج ٢ ص ١٢٢ ج ١ عيسى الحلبي مصر .

(٣) انظر مثلاً سيبويه ج ١ ص ٢٧٦ وابن عقيل ج ١ ص ٦١٦ .
 والأشموني ج ٢ ص ١٢٥ .

(٤) شرح شواهد المغنى ص ١٦٧ .

(٥) هناك إعرابان آخران يذكرهما النحاة في مرجع الضمير المستكن

ولكن لماذا استخدم هذان الفعلان دون غيرهما من الشواسخ في أسلوب الاستثناء ؟ والإجابة عن هذا السؤال تتضح بعد أن نعرف معنى هذين الفعلين ، إذ إن معنييهما واحد وهو عدم الوقوع أو عدم الحدوث أو بمعنى آخر نفى الكون المطلق . ولنبين تفصيلاً ذلك .

فأما الفعل الأول (يكون) فهو في أصل معناه دال على الحدوث والوقوع والثبات والإيجاب ، وهذا المعنى يتضح عندما نستعمله تاماً مثل (كان الله ولا شيء معه) ومثل قوله تعالى " وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ^(١) " . ومما يدل على الثبات والرسوخ قوله تعالى " الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ^(٢) " وتقول " كان عبدالله ، أي خلق عبدالله ، وقد كان الأمر أي وقع الأمر " ^(٣) .

ويتضح هذا المعنى أيضاً عندما نقارن العربية بغيرها من الساميات فالفعل كان في العبرية يعني الرسوخ أو الوقوف على شئ ثابت ، وكلمة كان فيها بمعنى (نعم) وهي تدل على الإيجاب . كما أن في (لا يكون) (ليس) : الأول أن المرجح اسمُ الفاعلِ الماخوذ من الفعل أي قام القوم لا يكون القائم زيداً ، والثاني أن المرجح الفعلُ السابقُ العاملُ في المستثنى منه . أي قام القوم لا يكون هو (أي القيام) قيام زيد . وواضح ما في هذين الوجهين من التكلف وانظر الهامشين السابقين .

(١) آية ٢٨٠ من سورة البقرة .

(٢) آية ٤١ من سورة الحج . والشاهد في (مكناهم) .

(٣) الكتاب ١ ص ٢١ .

هناك فعلين آخرين وهما אֵלֶּם في السريانية و אֵלֶּם في العبرية بمعنى (كان) ويقابها في العربية هوى أو سخط أو حدث ، وهذا الرأي مبني على أن (وقع) لها معنيان في العربية : معنى السقوط كقولك وقع على الأرض ، ومعنى الحدوث كما في قوله تعالى "إذا وقع الواقعة" (١) : (٢).

هذا عن المادة (كون) فعاداً عن (ليس) ؟ إن الاشتقاق التاريخي Etymology يُرينا أن الفعل ليس في الأصل مكون من شقين : الأول (لا) النافية والثاني الفعل (أيس) التي تدل على الكون المطلق أو الوجود أو الحياة . وهذا الأصل يتضح كل الوضوح في قول العرب "أشتني به من حيث أيس وليس ، أي من حيث هو ولا هو" (٣) . وقولهم "لا يعرف آيس من ليس" ، أي لا يعرف ما يكون مما لا يكون (٤) وهذا الأصل قطن إليه الخليل بن أحمد عندما رأى أن (ليس) مكونة من لا أيس فطرح الهمزة وأزالت اللام بالياء (٥).

ويتضح هذا المعنى أيضا عندما نقارن بين العربية وغيرها من الساميات ففي العبرية אֵלֶּם وهي أداة النفي لا ، ثم أُفيد إليها

(١) الفعل في قواعد اللغة السريانية وآدابها ، والموازنات بين اللغات السامية تأليف محمد عطية الأبراشي وآخرين ص ٣٢٩ . المطبعة الأميرية بولاق .

(٢) الآية الأولى من سورة الواقعة . وهذه المعاني عرفنا لها في كتابنا النواسخ الفعلية والحرفية ص ٤٣ . دارالمصنف ١٩٨٣ .

(٣) اللسان مادة ل ي س .

(21) W. Wright: A Grammar of Arabia Language P.96 V II

(٥) اللسان مادة ل ي س .

يوجد (بمعنى يوجد أو يكون) ، وفي الأرامية ^(١) وهي مكونة من لا (حرف نفى) وايت وهو فعل الكينونة . على أننا ^(٢) في العربية لا نستعمل الفعل (ايس) منفردا ، بل لا بد أن يكون قبله الحرف (لا) ^(٣) .

من هذا كله يتضح أن الأصل في (لا يكون) و (ليس) إنما هو نفى الوجود أو الكون المطلق أو الوقوع بوجه عام ، وليس هذا في العربية لحسب ، بل في غيرها من الساميات . وهذا النفي العام دون تحديد للمنفى هو الذي سوغ للنحاة أن يقولوا بأنها جاءت في بعض الأساليب للاستثناء .

وربما كانت هناك علاقة بين نفي الكون المطلق الذي يفيد أنه ليس ولا يكون وبين (نفي في النفي) أو (الجحد) ^(٤) اللذين ذكرهما النحاة ورأوا أن (ليس) و (لا يكون) يفيدانهما ، ومن ثم جاز الوصف بهما (أي بليس ولا يكون) بعكس (عدا ، خلا) اللذين لا يفيدان ذلك فلا يوصف بهما .

يقول السيرافي فيما نقل عنه السيوطي " أجازوا الوصف بليس ولا يكون لأنها نفي في النفي عن الشئ وهو معنى الاستثناء " ، وليس ذلك في عدا وخلا إلا بالتضمين ، فلم يوصف بهما ؛ لأنهما

(١) التطور النحوي لسرجستراس ص ١١١ .

والفلسفة اللغوية والألفاظ العربية لجورجي زيدان ص ١٠٦ ط دار الهلال ١٩٥٨ . والنواسخ الفعلية والحرفية ص ٢١٠ و ٢١١ .

(٢) الجحد بمعنى الإنكار وهناك ما يسمى بلام الجحد قبل (ما كان) مثل قوله سبحانه وتعالى " لم يكن الله ليغفر لهم " النساء ، ١٢٧ ، ١٦٨ . وانظر المعنى حرف اللام ص ٢٧٨ .

ليس في موضعٍ جيدٍ فلا يقالُ ما أتتني امرأةٌ عدتٌ هندداً أو
خلتٌ هندداً^(١).

والى مثل ذلك ذهب ابنُ يعيشٍ في شرحه على مفصل الرمزخسري
حيث يقول : " قد يكون (ليس) و (لا يكون) وصفين لـ
قبلهما من النكرات تقول أتتني امرأةٌ لا هندداً ، فموضع
لا تكون (رفع) لأنه وصف لامرأة ، وكذلك تقول في النصب والجر :
(رأيت امرأةً ليست هندداً ولا تكون هندداً) و (مررت بامرأة
ليست هندداً ، ولا تكون هندداً) .

" ولا بوصف (بخلا وعدا) كما وصف (بليس ولا يكون)
فلا تقول (أتتني امرأةٌ خلّت هندداً) وعدت جملاً ، وذلك أن (ليس
ولا يكون) لفظهما جدد ، فخالف ما بعدهما ما قبلهما ، فجريسا
في ذلك مجرى غير ، توصف بهما كما توصف بغير ، وأما خلا وعددا
فليس كذلك ، وإنما يستثنى بهما على التأويل ، لا لأنهما جدد^(٢) .

ولم يختلف النحاة في أنّ (لا يكون) فعلٌ ، ذلك أنه متصرف
كل التصرف إلا في هذا الاستعمال الذي نحن بصدده في الاستثناء ، وأما
الخلافاً فكان في (ليس) : هل هي فعلٌ أو حرف ؟

وقد ورد هذا الخلاف في الإنصاف لابن الأنباري ، ولكنه لم
يبرِّد بطريقه مباشرة بل وَزَعَه بطريقه غير مباشرة تحت عنوان
" هل يجوز تقديم خبر (ليس) عليها " ؟ جاء في الإنصاف :
^(٣)

(١) جمع الهوامع ١ ص ٢٢٤ .

(٢) المفصل ٢ ص ٧٨ .

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ١ ص ١٠٣ .

" ولا يجوز تقديم غير ليس عليها والذي يدل على هذا أن (ليس) في معنى ما ، لأن ليس تنفي الحال كما أن ما تنفي الحال ، وكما أن (ما) لا تنصف ولا يتقدم معمولها عليها فكذلك ليس ، على أن من النحويين من يغلب عليها الحرفية ، ويحتج بما حكى بعض العرب أنه قال (ليس الطيب إلا المسك) فرفع الطيب والمسك جميعا ، وبما حكى أن بعض العرب قد قيل له (فلان يتهددك) فقال (عليه رجلا ، ليس) فأتى بالياء وحدها من غير نون الوقاية ، ولو كانت فعلا لوجب أن يأتي بها كسائر الأفعال " أ. هـ .^(١)

وانظر إلى استعماله الفعل (يغلب) في قوله " ومن النحاة من يغلب عليها الحرفية " ولم يقل " يقرر أنها حرف " ، إن هذا دليل على أن هناك ترجيحا بين الحرفية والفعلية ، أو أنها جمعت بين الاثنين إلا أن الحرفية قد غلبت عليها . وهذا يدل بالتالي على أنهم قد نظروا إلى أصلها عندما قالوا ذلك وقرروا أنها مكونة من الحرف (لا) والفعل (ليس) .

هذا من الكوفيين ، أما البصريون فرأوا أنها فعل ، ولهم يقولوا بتغليب الفعلية عليها " بدليل إلحاق الضماير وتاء التانيث الساكنة بها ، وهي تعمل في الأسماء المعرفة والنكرة الظاهرة والمضمرة كالأفعال المتعرفة " .^(٢)

وهناك شواهد كثيرة ، غير التي ذكرها الكوفيون نجسـد

(١) الإنصاف ج ١ ص ١٠٣ .

(٢) الإنصاف ج ١ ص ١٠٤ .

(ليس) فيها مستعملة استعمال الحرف حتى إنك لو استبدلت بها حرفاً مثل (ما) أو (لا) لم تلحظ ذلك كالقول الذي أورده سيبويه " ليس خلق الله مثله " ^(١) . وكقول ابن عمر رضي الله عنهما : " كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون ، فيتحننون الصلاة ، ليس ينادى عليهم ، وكقول الشاعر : ^(٢)

هـ الشفاء لداش لو ظفرت بها * * * وليس منها شفاء النفس مبدول ^(٣)

وكقول أبي الطيب :

وزاشرتي كأن بها حياء * * * فليس تزور إلا في الظلام ^(٤)

وما ورد في الحماسة

تمنى لي الموت المعجل خالداً * * * ولا خير فيمن ليس يعرف حارسه ^(٥)

فكل هذه الشواهد استعملت فيها ليس استعمال الحرف . ^(٦)

(١) الكتاب ١ ص ٢٥ .

(٢) شواهد التوفيق والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ص ١٢٩ .
تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي دار العروبة بمصر
سنة ١٩٥٨ .

(٣) الكتاب ١ ص ٢٦ و ٧٢ . وقائله هشام بن عتبة أخو ذي الرمة .

(٤) الديوان : شرح المعكبري ط الخطبي ١٩٥٠ ج ٤ ص ١٤٦ .

(٥) ديوان الحماسة لأبي تمام تحقيق محمد عبد المنعم خلفاوي صبيح
سنة ١٩٥٥ ج ١ ص ٢٢٢ .

(٦) عدا بين المتنبي فهو مثال وليس شاهداً .

ولكن ماذا ننتج بالأدلة التي ذكرها البصريون على أن (ليس) فعل؟ إذ يتمل بها الضمائر وتاء التانيث الساكنة وتعمل فـ على الأسماء... إلى آخر الأدلة التي ذكروها . ٩

الحقيقة أن اللغوي لا يستطيع أن يضع حدا جامعاً مانعاً لكل الفاظ اللغة ، بحيث يُفَعُّ كل لفظ تحت عنوان محدد : اسم أو فعل أو حرف ، ذلك أن الحدود اللغوية إنما وفعت بوجه عام ، ولم تفع في الحسبان وجود كلمة مثل (ليس) ، لها قدرٌ من خصائص الحروف وقدرٌ من خصائص الأفعال . ومن غير الممكن أن نضع تعريفاً جامعاً مانعاً لها ولامثالها ، أي جامعاً لها ولامثالها ، مانعاً غيرها من الدخول في هذا التعريف .

واكتسابها قدرًا من خصائص الحرف وقدرًا من خصائص الفعل يرجع إلى الأصل فيها ، فهي كما ذكرنا مكونة من حرف (لا) وفعل (ليس) .

وهذا لا يمنع من القول إنَّ الحرفية غلبت عليها . ويرى الدكتور مهدي المخزومي أنَّ ما يربطها من الفعل بنسب (كالحساق الضمائر وتاء التانيث الساكنة بها) إنما هو " من بقايا استعمالها القديمة التي كان للـ فيها ما للفعل من دلالة على حدث واتزان بالدلالة على زمن ، وقد فقدت كل هذه الدلالات ، وأصبحت في الاستعمالات المتأخرة ، لا تدلُّ إلا على ما تدلُّ عليه (ما) في النظم^(١) .

(١) في النحو : نقد وتوجيه ص ٢٥٨ ط بيروت ١٩٦٤ .

دام

والفعلُ (دام) متصرفٌ وله كثيرٌ من المعاني والاشتقاقات ومشارعُه يدوم ، والمصدرُ دَوَامًا ودَوَمًا وديمومةً واستدام الشيء أي استمر دَوَامُهُ ، ودامت السماء تديم ديمًا ، أي استمر مطرها . وأرض مَدَيِّمة ومَدِيمة ، أصابها الديم ، والعدام المطر السداسم و (الخير) .

والديموم والديمومة الغلة يدوم السير فيها لبعدها ، ودَوَم الطائر إذا تحرك في طيرانه ، وقيل دَوَم الطائر إذا سَنَّ جناحيه كطيران الحداد...^(١)

فها نحن نرى كثيرًا من المعاني والاشتقاقات لهذه المادة لما بال فعل (دام) كفعل ناقص من أخوات (كان) غير متصرفي ، فقد جاء في زمن الماضي ليس غير ؛ قال الله سبحانه وتعالى : " وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًّا " ^(٢) . إن الشواهد جميعها تؤيد مجيء (دام) في زمن الماضي مسبوقةً بـ (ما) المصدريّة الظرفيّة فـ (ما دمت حيًّا) أمْلَكه مدة دوامي حيًّا ، فحذف الظرف وخلفته (ما) وملتها ، كما جاء في المصدر المريح نحو (جثتك صلاة العصر) ر (آتيك قدوم الحاج) ^(٣) .

(١) اللسان ج ١٥ ص ١٠٨ .

(٢) مريم : ٣١ .

(٣) المغني ص ٤٠٠ فعل (ما) .

و(ما) هذه لها شأنٌ كبيرٌ في تفسيرِ عدمِ تصرُّفِ الفعلِ (دام) ،
ذلك أنَّ (ما) المصدريَّةَ الظرفيَّةَ لا تدخلُ في الأغلبِ الأعمِّ إلَّا على
الفعلِ الماضي . قال ابنُ عقيل " ومنها - أي من الموصولات الحرفية -
(ما) وتكونُ مصدريةً ظرفيةً نحو (لا أصحبك مادمتَ منطلقاً) ،
أي مدةَ دواعيكَ منطلقاً ، وهيمَ ظرفيةً نحو (عجبت مما ضربتَ زيداً)
وتُوصَلُ بالماضي كما مثَّلَ وبالمضارع ، نحو (لا أصحبك ما يقيمُ
زيد وبالجمله الاسمية نحو (عجبت مما زيد قائمٌ)^(١) .

فمثَّلَ للمصدرية بالماضي والمضارع والجمله الاسمية ، ولم
يذكر إلَّا الماضي في المصدريَّةِ الظرفيَّةِ ، على أنه قد ذكر ذلك
صراحةً عندما قال " وأكثرُ ما توصَلُ الظرفيَّةُ المصدريَّةُ بالماضي أو
بالمضارع المنفي بلم " ^(٢) نحو (لا أصحبك ما لم تضربَ زيداً)
ويقلُّ وصلُّها بالفعل المضارع الذي ليس منفيًا بلم نحو (لا أصحبك
ما يقومُ زيد) ومنه قول الشاعر :

أَطَوُّ مَا أَطَوُّ شُئْمٌ أَوْي

يَأْتِي بَيْتٌ تَعِيدُهُ لَكَ كَعَا^(٣)

ومن شواهدِ دخولِ (ما) المصدريَّةِ الظرفيَّةِ على الفعلِ الماضي

(١) شرح ابن عقيل ج ١ ص ١٢٩ .

(٢) وإنما كان تعيينه بالمضارع المنفي بلم ، لأنَّ (لم) تنقلبُ
المضارعُ إلى زمنِ الماضي وليس بعيداً عنا قولُ النحاة : لَم
حول نفي وجزم وقلب .

(٣) شرح ابن عقيل ج ١ ص ١٢٩ والبيت ينسب إلى الحطيئة هو من
شواهد ابن عقيل رقم ٢٥ والشاهد رقم ٣٧ لابن هشام فسي
الشذور، وذكره أيضاً في آخر باب النداء في أوضح المسالك ج ٢
ص ١٨٠ .

وهو الغالب كما قلنا قولُ الله سبحانه وتعالى " إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ
مَا اسْتَطَعْتُ " و " فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ " .^(١)

وقول امرئ القيس :

أجارتنا إِنْ الخطوبَ تنسوبُ * * * وإني مُقيمٌ ما أقامَ عَيبُ^(٢) .

فسبق دام بـ (ما) الممدرية الظرفية هو الذي أوقف الفعل
(دام) عند الماضي لا يتجاوزُه إلى غيره من الأزمنة حتى لو كان
المضارع مستعملاً قليلاً أو نادراً . ومن هنا لم يفرقِ الصَّانُ بينَ
الماضي والمضارع والمصدر في استعمالها ناقمةً ، ولعله أيضاً
نظر إلى بيت الحطيئة :

أطوفُ ما أطوفُ

عندما قال - أي الصَّانُ - " وليس بالآدميين ومن والفهم
أسوة^(٣) لعدم ظهور الفرق بين قولك : لا أَكَلَمَكَ ما دمتَ عاصياً
وقولك : لا أَكَلَمَكَ ما تدوم عاصياً ، بل الصحيح عندي أن لهذا
مصدرًا أيضاً ، بدليل أنهم شرطوا سبق (ما) الممدرية الظرفية
عليها . أو على دام ومن المعلوم أن (ما) الممدرية تقول مع ما
بعدها بمصدر ، وأن هذا المصدر مصدرٌ
وقد وقع هذا المصدر في عبارات كثيرين كالشارح

(١) هود - ٨٨ .

(٢) التغابن - ١٦ .

(٣) البيت لامرئ القيس في الديوان ص ٧١ . شرح حسن السديقي ،
التجارية الكبرى سنة ١٩٥٣ .

(٤) يقيّد والفهم على أن ماضيها ومضارعها كليهما مستعملان .

عند قول المصنف كَأَمَطٍ .. الخ ، فلا يقالُ إِنَّهَا مع ما بعدها فسي
تأويل مصدر مقدر لا موجود ، والحكم عليهم بأن ذلك منهم اختراع
لِأَنَّ لَمْ يَرِدْ عَنِ الْعَرَبِ جَوْزٌ وَسَوْءٌ ظَنٌّ ، فإِذَا قُلْتَ : أَحَبُّكَ مَسْدَدٌ
دَوَائِكَ مَالِحًا ، كان دَوَامٌ مصدرُ الناقصة ومَالِحًا خبره ، مثل : أَحَبُّكَ
مَا دَمْتَ مَالِحًا . والفرق تحكمٌ محضٌ فتدبرُ " (١)

وَالْمَبْنَى مُصِيبٌ فِي كُلِّ مَا قَالَهُ وَلَكِنْ مِنَ النَّاحِيَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ
لَيْسَ غَيْرَ ، أَمَّا مِنْ نَاحِيَةِ الشَّكْلِ ، أَقْبَدَ شَكْلَ الْإِسْتِعْمَالِ فَإِنَّهُ
اِقْتَصَرَ لِيهِ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْفِعْلِ (دَامَ) فِي حَالَةِ الْمَاضِي فِي الْأَغْلِبِ
الْأَم ، وَنَادِرًا مَا يَسْتَعْمَلُ غَيْرَهُ .

(١) يعتمد عند قول الأشموني شرحاً لقول ابن مالك : كأعط مـ

دمت مصيباً درهما : أي مدة دواذك مصيباً .

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني ج ١ ص ١٨٩ .

ما زال وما انطفأ وما فتن وما يرح

ويبقى بعد ذلك من أخوات كان : زَالَ وَأُتِفِكَ وَلَيْتِيَّ وَبَسِرَجَ
ويجمع بينها ثلاثة أمور :

الأول : أَنْ تصرفها غيرَ كاملٍ فلم يستعملَ منها الأمرُ أو المعدرُ .

الثاني : أَنْ كَلَّ منها لا بد أن يسبقه نفيٌّ أو شبهه لفظاً
أو تقديراً .

الثالث : أَنْ كلَّ هذه الأفعال تعطى معنى واحداً وهو الزوال ، أو
الذهاب أو المضي أو الشك ، فكاننا عندما نَدْخُلُ عليها
حرف النفي نطبق القاعدة التي تقول " نفى النفي إثبات " ،
وَمِنْ شَمَّ فهي تدلُّ على الاستمرار .

فأما الفعلُ الأولُ وهو زال من الزوال وهو الذهاب والاستحالة
والانحلال .^(١) وزاله وانزال عنه فارقه . والزائلة كل ذي روح أو
متحرك ، فمنهايته إلى زوال^(٢) .

وأما الفعلُ الثاني أُنْفِكَ بمعنى انفصل ، تقول فككت الشيءَ
فأَنْفَكْتَهُ بمعنى أزلته الكتابَ المختومَ تُفَكُّ خاتمته ، كما تفك الحكيمن
تفصلُ بينهما ، وفكَّ الرهنَ يملكه فكاً ، وكلُّ شيءٍ أطلقته فكاً
فككته ، وفكَّ الأسيرَ فكاً فعمله من الأسر . قال تعالى " لم يكن الذين

(١) القاموس المحيط ج ٤ ص ٤٠٢ .

(٢) اللسان ج ١٢ ص ٢٢٢ .

كُفِرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ^(١) . أي
منتبهين عن كفرهم وهو قول مجاهد ، وقال الأخفش : منفكيين :
زاعقلين عن كفرهم ^(٢) .

وأما الفعل الثالث ففيه لغتان ما فتشت وما فتأت أذكره
بالكسر والنصب (يقعد الفتح) وما أفتأت تميمية ، أي ما برحت وما
زالت وفي نوادر الأعراب : فتشت عن الأمر أفتأ إذا نسيت وانقضت ^(٣).

وأما الفعل الرابع الأخير وهو تَبَرَّجَ تَبَرَّجًا وَبُرُوحًا أي زال ،
وَبَرَّجَ فلان مكانه أي زال عنه وبرج الأرض فارتقا قال تعالى " فلن
أَبْرِجَ الْأَرْضَ حَتَّى يَبَادِلَ آسِ آسٍ " . وقال تعالى " لَنُ بَرِّجَ عَلَيْه
عَاكِفِينَ " ^(٤) أي لن نزال ، وبرج الخفاء أي زال . والبارجة أي التي
زالت ومضت ومنه قول العرب ما أشبه الليلة بالبارجة أي باللييلة
التي مضت وزالت ^(٥) .

فالاعمالُ الأربعة تعطي معنى الزوال والتلاشي والنسيان
والغنى والذهاب فإذا أدخلنا على هذه المعاني حرف النفي (مسا)
دلت على الاستمرار والاتصال كما بينا منذ قليل .

ولقد أثبتنا هذه الاعمال في بحثنا ، لأن الأمر والمعــدد
لم يستعملأ منها ، هذا أمر طبيعي يستدعيه دخول النفي قبلها ،

(١) البينة - ١ .

(٢) اللسان ج ١٢ ص ٣٦٢ .

(٣) اللسان ج ١ ص ١١٤ .

(٤) آية ٩١ سورة طه .

(٥) اللسان ج ٣ ص ٢٢١ .

لَا فَيَّ اللَّهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ لَسْتُ رَاشِلًا
أُحِبُّكَ حَتَّى يُفْعَمَ الْجَفَنَ مَعْمُومًا^(١)

وأما المصدرُ فإنَّ استعماله ناقصاً ، أي عاملاً عملاً (كان) أمراً
لم يجرِ الاستعمالُ به ، لأنَّ التركيبَ حينئذٍ لا يسمحُ بذلك والمعنى
لا يَتَأَتَّى ، فمن البيتِ السابق إذا حاولنا استعمالَ المصدرِ للتعبيرِ
عن المعنى الذي قصده الشاعرُ نقول : ولا زوالَ لي في حبِّك أو عـ
حبِّك . ووافقَ ركائزُ التركيبِ وبعدهُ المعنى المقصودُ .

بل إن (كان) - وهي التي لا يُشترطُ لاستعمالها ناقصةٌ سبقها
بنفي أو شبهه - قلما يُستعملُ مصدرُها عاملاً عملها ، وقد جاء
ذلك في بيتٍ لم يردِّ النحاةُ غيره ولا يُعرفُ قائله وهو :

بِهَذِي وَحِلْمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ الْفَتَى
وَكُونُكَ إِيَّاهُ عَلَيْكَ يَسِيرًا^(٢)

(١) القائلُ الحسين بن مطير بن مكمل وهو الشاهد رقم ١٨٢ من
شواهد الأشعموني .

(٢) الشاهد رقم ١٨١ من شواهد الأشعموني و ٦٤ من شواهد ابن
عقيل .

الفصل الثالث

الفصل الرابع

أفعال المقاربة

وهي كاد وكَرَبَ وأوشك . فأما كاد فهو فعل شبه متصرف ، أي أنه يأتى على صورة أخرى غير الماضى (كاد) ، وهي (يكاد) ، مع أن من النحاة من يأخذ ببيت كثير عزة :

أَمُوتُ أَسَى يَوْمَ الرَّجَامِ وَإِنَّنِّسِي
يَقِينًا لِرَهْنٍ بِالَّذِي أَنَا كَادِسِدُ

(١) دليلاً على استعمال اسم الفاعل من (كاد)

وأغلب الظن أن (كاغد) هنا ، إنما جاءت لإقامة المقابلة ولتوفيق حرف الروى ، ثم إنى يرجوع إلى الديوان وجدت قوماً يروون البيت منتهياً بـ (كايد) بالياء ، معاً ينقل الشاهد على استعمالهم اسم الفاعل من (كاد) ، بل يستعملون الماضى والمضارع ليس غير ، على أننا لا نستطيع أن نقول إن استعمالهم الماضى أكثر من استعمالهم المضارع ، ولا العكس أيضاً ، بل إن هناك شبه تساوى في الاستعمالين . فقد أحصيت الآيات التى ورد فيها الماضى (كساد) فوجدتها عشر آيات^(٢) ، والآيات التى جاء فيها المضارع (يكساد)

(١) شرح ابن عقيل ج ١ ص ٢٢٩ .

(٢) ديوان كثير عزة ص ٢٢٠ جمعه وشرحه د. إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ١٩٧١ .

(٣) هي : من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ١١٧/التوبة ، إن كاد ليضلنا من آلهتنا لولا أن صبرنا ٤٣/الفرقان ، إن كانت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها ١٠/القصص ، فذبحوها وما كادوا يفعلون ٧١/البقرة ، إن القوم استخفونني وكادوا

أربع عشرة آية^(١) .

وقد رأى بعض النحاة أن نفي المضارع أي (يكاد) نفياً ،
ولكن نفي الماضي (كاد) إثباتاً بدليل " فذبحوها وما كسبـادوا
يفعلون"^(٢) وقوله " لم يكـد يراها"^(٣) مع أنه لم ير شيئاً
والصحيح أن إثباتها إثباتٌ ونفيها نفيٌ ، لأن معناها المقاربة

يقتلونني ١٥٠ / الأعراف ، وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا
إليك ٧٣ / الإسراء ، وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك
منها ٧٦ / الإسراء ، وإنه لما قام عبد الله يدعوه كسبـادوا
يكونون عليه لبدا ١٩ / الجن ، لولا أن ثبتناك لقد كـدت
تركن اليهم شيئاً قليلاً ٧٤ / الإسراء ، قال تالله إن كـدت لتردين
٥٦ / الصافات .

(١) إن الساعة آتية أكاد أخفيها ١٥ / طه ، تكاد السماوات يتفطرن
منه وتنشق الأرض ٩٠ / مريم ، تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن
٥ / الثورى ، تكاد تميز من الغيظ ٨ / الملك ، يكاد البرق يخطف
أبصارهم ٢٠ / البقرة ، يتجرعه ولا يكاد يسيغه ١٧ / إبراهيم ،
يكاد ريتها يضيء ولو لم تمسسه نار ٢٥ / النور ، يكاد سنبل
برقه يذهب بالأبصار ٤٣ / النور ، أم أنا خير من هذا الذي هو
مبين ولا يكاد يُبين ٥٢ / الزخرف ، وإن يكاد الذين كفـروا
ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ٥١ / القلم ، لما لهـؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون قولا ٩٣ / الكهف ، يكادون يسطون بالذين
يتلون عليهم آياتنا ٧٢ / الحج ، إذا أخرج يده لم يكـد يراها
٤٠ / النور .

(٢) من الآية ٧١ من سورة البقرة .

(٣) من الآية ٤٠ من سورة النور .

فمعنى (كاد يفعل) قارب الفعل ، ومعنى (ما كاد يفعل) لم يقارب
 خبرها معنى دافعا . أما إذا كانت منفية فواضح ؛ لأنه إذا
 انتفت مقاربة الفعل اقتضى موقلا عدم حصوله ، وأما إذا كانت
 المقاربة (منفية) ^(١) ؛ فلأن الأخبار بقرب الشيء يقتضى عرفا عدم
 حصوله وإلا لم يتجوز الأخبار بقربه ، فأما قوله تعالى " فذبحوها
 وما كادوا يفعلون " فإنها منفية مع إثبات الفعل لهم في قوله
 " فذبحوها " ^(٢) .

وربما كان في هذا ردٌّ على ابن منظور عندما رأى أن (كاد)
 مجردة تنبيء عن نفي الفعل، ومقرونة بالجحد تنبيء عن وقوع الفعل . ^(٣)

وذكر سيبويه أن من العرب من يقول في كاد زيد يفعل (يكيد
 زيد يفعل) وما زيد يكيد يفعل ذلك ، يريدون كاد و زال ؛ لأنهم
 كسروها في فعل كما كسروها في فعلت ، حيث أسكنوا العين وحولوا
 الحركة على ما قبلها ولم يرجعوا حركة الفاء إلى الأصل ^(٤) .

وأورد ابن منظور لغة لبنى عدى فهم يقولون كدت أفعل
 كذا بضم الكاف ^(٥) .

وأما الفعل (أوشك) فقد رأى بعض النحاة أن اسم الفاعل
 قد استعمل كقول كثير مرة :

-
- (١) هكذا في البرهان والصحة التي يقتضيها سياق الحديث (مثبتة) .
 (٢) البرهان ج ٤ ص ١٣٦ بشصرف وانظر أمالي السيد المرتضى ج ٢ ،
 ص ١١ مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٧ م .
 (٣) اللسان ج ٤ ص ٢٨٦ .
 (٤) الكتاب ج ٢ آخر صفحة ٣٦٠ .
 (٥) اللسان ج ٤ ص ٢٨٦ ، والكتاب ج ٢ ص ٢٩١ .

لَيْتَكَ مُوشِكٌ أَلَّا تَرَاهُ ^(١) وَتَعْدُو دُونَ غَاغِرَةِ الْعَسْوَادِي

" وَرَغِمَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّهُ لَمْ يُسْتَعْمَلْ (يُوشِكُ) إِلَّا بِهَلْكَ الْمَضَارِعِ
وَلَمْ تُسْتَعْمَلْ أَوْشَكَ بِهَلْكَ الْمَاهِي ، وَلَيْسَ بِجَيِّدٍ ، بَلْ لَقَدْ حَكَى الْخَلِيلُ
اِسْتِعْمَالَ الْمَاهِي وَلَقَدْ وَرَدَ فِي الشَّعْرِ كَقَوْلِهِ :

وَلَوْ سَلَّ النَّاسُ الشَّرَابَ لَوَشَكُوا ^(٢) إِذَا قِيلَ هَاتُوا أَنْ يَمْلُؤُوا وَيَمْنَعُوا

وَلَقَدْ رَجَعْتُ إِلَى كِتَابِ سَبِيوِيهِ فِي الْمِظَانِ الْمَخْتَلِفَةِ لِلْفَصْلِ
(يُوشِكُ) فَلَمْ أَجِدْ حِكَايَةَ الْخَلِيلِ هَذِهِ ، بَلْ إِنَّ سَبِيوِيهِ أَنْشَدَ الشَّاهِدُ:
يُوشِكُ مِنْ قَرٍّ مِنْ مَنِيَّتِي ^(٣) لِي بَعْضِي فَرَاتِهِ يَوْمَ الْفَتْحِ

عَلَى أَنَّ هَذَا لَا يَنْفِي أَنَّ الْعَرَبَ اسْتَعْمَلَتْ صِيغَةَ الْمَاضِي
فَبِالإِضَافَةِ إِلَى الشَّاهِدِ السَّابِقِ وَجَدْتُ ابْنَ جَنَى يُنْشِدُ :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْشَ الْكُرْبَةَ أَوْ شَكَّتْ
حِبَالُ الْهُوَيْنَى بِالْفَتَى أَنْ تَقْطَعَهَا ^(٤)

(١) الديوان ص ٢٢٠ .

(٢) الشاهد رقم ٨٩ من شواهد ابن عقيل ج ١ ص ٣٢٢ والنص فليس
ج ١ ص ٣٢٨ وهو من شواهد العيني على هامش خزائن الأدب ج ٢
ص ١٨٢ ولم يعزه إلى أحد ولی أملى الزجاجي ص ١٢٦ ط القاهرة
سنة ١٣٨٢ .

(٣) الكتاب ج ١ ص ٤٧٩ والبيت من شواهد العيني ج ٢ ص ١٨٧ وقاله
أمية بن أبي العلت الشافعي من شعراء الجاهلية .

(٤) الخصائص ج ٢ ص ٥٣ وفي المفضليات القصيدة الثانية ص ٢٢
تحقيق أحمد شاکر وعبد السلام هارون ط ٤ دار المعارف ١٩٦٤ .
وقائفة الكتلبة العربي .

وإذا كان الاختلاف في (كاد) و (أوشك) يأتيهما من حيث التصريف، فإنَّ (كَرَبَ) لم يختلف فيها أحدٌ من حيث إنَّها تاتسبى بلفظ الماضي، اللهم إلا ما ذكره السيوطي "وحكى قومٌ اسمَ الفاعل من كَرَب" ^(١) وواضح أنَّه قولٌ مبهمٌ لا يعتدُّ به، فهو لم يذكر من هؤلاء القوم ولم يأت بشاهدٍ على ذلك.

وَكَرَبَ لم تجيء إلا على هذه الصورة ليس غير، فلم يستعمل منها المضارع، كما استعمل مع (كاد) و (أوشك) وهي قليلة الاستعمال، بل إنَّها نادرة الاستعمال، والمستعمل الشائع من أفعال المقاربة (كاد)، ولم تات شواهدٌ على (كرب) إلا شاهدان.

١ - كَرَبَ القلبُ من جواه يذوبُ

حين قال الوشاة هندُ غُصْنُ ^(٢) كَرَبَ

٢ - سقاها ذوو الأحلام سجلاً على الظمِّ

وقد كَرَبَتْ أمانكها أن تقطعَ ^(٣)

ولم ينشد سيبويه شاهداً عليها. قال "وأما (كاد) فإنهم لا يذكرون فيها (أن) وكذلك (كرب يفعل) ومعناها واحد، يقولون كرب يفعل وكاد يفعل، ولا يذكرون الأسماء في موضع هذه الأفعال، أي لا يكون خبرها مفرداً. (الكتاب ١/٤٧٨).

(١) الجمع ج ١ ص ١٢٩.

(٢) الشاهد رقم ٩١ في ابن عقيل ج ١ ص ٢٣٥، والشاهد رقم ٢٤٢ في الأشموني ج ١ ص ٥٠٩ والإمام العيني ج ٢ ص ١٨٩ وقائله رجل من طي، ويقال قائله كالحبة اليربوعي.

(٣) الشاهد رقم ٩٢ في ابن عقيل ج ١ ص ٢٣٥، ورقم ٢٤١ في الأشموني ج ١ ص ٥٠٧، والعيني ج ٢ ص ١٩٣ وقائله أبو زيد الأسلمي.

وَمَشَارُ الْعَجَبِ فِي (كرب) أَنَّ مِنْ معانيها التي وردت في اللسان ما يدل على الغم والحزن والفيق ، وهذه المعاني بعيدة كل البعد عن المقاربة ، فيذكر ابن منظور أَنَّ الْكَرْبَ : الحزن والغم وجمعه كروب ، وَكَرْبُهُ الْغَمُّ اشْتَدَّ عَلَيْهِ ، فهو مكروب وكريب وكارب ، ولقد مكروب إذا كان غيلاً ، وكلُّ شديد العقْد من حبلٍ أو بنسَاء فهو كَرِبٌ .

ثم يذكر أيضا أَنَّ مِنْ معانيها المقاربة فيقال كَرَبَ الْأَمْرُ يَكْرِبُ كَرْوَبًا : دنا ، وكل شيء دنا فقد كَرَبَ وكربت الشمس للمغيب دنت ، وفي الحديث فإذا استغنى أو كَرَبَ استعفف . قال أبو عبيدة : كرب أي دنا من ذلك وقرب ، ثم يأتي ببعض المعاني التي ترجع إلى القرب نحو إنا كَرَبَان إذا كَرَبَ ، أي قارب أن يمتلئ ، وكربُ النخل أي أصول السعف القلاظ العراض التي تهبست ، وسميت كذلك لأنَّه استغنى عنها وقارب استعفف (١) .

فما العلاقة إذاً بين كرب التي تدل على الفيق والشدة وبينها الدالة على القرب ؟ لعلَّ أَوَّلَ ما يجول في خاطر الباحث أن العلاقة تكمن في اللفظ وليس هناك علاقة معنوية . فلكلمة (كرب) هي نفسها (كرب) بعد ابدال القاف كافاً . ولا يمنع أيضاً أن يكون الأصل هو الفعل (قَرَبَ) المتصرف تصرفاً كاملاً ، ثم إنَّه لنطق معين أو لاستعمال فردي أو لجماعة أو لقبيلة معينة خففوا القاف فصارت كافاً ، لأن الحرفَيْن من مخرجين متقاربين ، فمخرج الكاف مخرج الحنك الطرى أو الحنك اللين Velar ، ومخرج القاف من اللهاة

(١) اللسان ج ٢ ص ٢٠٦ .

أي هو موت لهوى uvular نسبة الى اللهة وهو الجسسرة
المغير اللين الذي يتدلي من الحافة الخلفية للحنك اللين ، أي هو
موت خلفي طبقي^(١) postvelar .

ويدل على ذلك أيضا أن ابن سنده ذكر تحت عنوان القسسرب
الفعل قَرَبَ قُرْبًا وقُرْبَانًا ، وذكر معه أيضا الفعل كَرَبَ : كسرب
الأمر يَكْرُبُ كروبا أي دنا " .

وهذا يماثل الفعل (حرى) أيضا فالسبب في عدم تصرفه -
كما نظن - أنه مأخوذ من الاسم (حَرِيٌّ) . وليس أملا في وضعه .

(1) Fundamental Problems of Phonetics; by J.c; catford, p.143
Indian University Press 1982.

وانظر أيضا
A Dictionary of Theoretical Linguistics, by M.El Khuli,
p. 250 & 222 Librairie du Liban 1982.

(٢) المختصر لابن سنده ، ج ١٢ ص ٦٠ ط بولاق ١٣١٩ هـ .

- ٥١ -

الفصل الرابع

المسائل الشـــرعية

أفعال الشروع

ومن الأفعال الناسخة غير المنصرفة أيضا أفعال الشروع ، ونلاحظ أنها كثيرة ، والمستعمل منها قليل ، فهي شرع وأنشأ وطبق وأخذ وعلق وهب وجعل وهلهل . ومن النحاة من زاد عليها قام وقعد .^(١) وجميع هذه الأفعال غير متصرفة ، فهي ملازمة لصورة الماضي ، وذلك إذا استعملناها للشروع ، أما إذا استعملت لغير الشروع فهي متصرفة .^(٢)

وهي - لغير الشروع - لها معان متعددة ، مما يجعلنا نقول إنها استعملت للشروع نقلا وليس ارتجالا . وهذا القول ليس يذمها ، فالنقل والارتجال متعلقان في ظاهرتين لغويتين أخريتين :

الأولى : العلم ، فهناك العلم المرتجل ، أي الذي وضع أملا ، وفي أول أمره علما ، ولم يتسبق له أن استعمل استعمالا آخر غير العلمية مثل عثمان وسعاد وعظمان . وهناك العلم المنقول عن شيء سبق استعماله فيه قبل العلمية ، وذلك المنقول منه قد يكون مصدرا مثل (فعل) أو اسم عين مثل (أسد) ...^(٣)

(١) جمع الهوامع ج١ ص ١٢٨ .

(٢) السابق ج١ ص ١٢٩ وقد نقل السيوطي عن بعض النحاة (حكاياتهم) من استعمال صوب أخرى لهذه الأفعال كاستعمال المضارع من (طلق) ومن (جعل) ، وهي نقول لا يعتد بها لعدم اقترانها بشواهد . وانظر شرح ابن عقيل ج١ ص ٣٤١ .

(٣) انظر شرح الاشموني ج١ ص ١٢٧ وشرح التصريح على التوفيق ج١ ص ١١٥ وجمع الهوامع ج١ ص ٧١ .

ثانيًا : أسماء الافعال ، فمنها المرتجلة مثل أميسس
وهيهات وشتان ، ومنها المنقولة عن أحرف الجر مثل إليك وعليك أو
من الظروف نحو أمامك وبعذك .^(١)

هذان هما النقل والارتجال في العلم وفي أسماء الافعال
فماذا عنهما في هذه الأفعال ؟ إن لكل فعل من هذه الأفعال
استعمالات كثيرة تدل على أنه قد وقع أصلاً لها ، ثم إنه قد نُقل
بعد ذلك لكي يستعمل للشروع . يدل على ذلك أن شواهد استعمال
هذه الأفعال للشروع نادرة ، بل إنها معدومة بالنسبة لبعضها
بعكس الشواهد التي تدل على معانٍ أخرى .

فالفعل (جعل) مثلاً يُدْخِلُهُ النُّحَاةُ في باب (ظن وأخواتها) التي
تنصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر ، فهو من أفعال القلوب
سواء أكانت تدل على اليقين والقطع أم تدل على الرجحان ، كقوله
تعالى : " وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا " وهو أيضاً
من أفعال التحويل أو التهيير كقوله تعالى : " الذي جعل لكم الأرض
فراشاً والسماء بناءً " . هذا إلى استعماله فعلاً بمعنى أوجد
أو خلق كقوله تعالى " تبارك الذي جعل في السماء بروجاً " .^(٢)

وقد جاء له الزركشي بسبعة معانٍ هي :

(١) جمع الهوامع ج٢ ص ١٠٥ ، ولم نتعرض لها تبيين الظاهرتين (العلم
وأسماء الأفعال) بالتفصيل لأنهما ليستا موضوع بحثنا ،
وكل ما نريده أن نستدل بهما على القول بأن أفعال الشروع
منقولة .

(٢) آية ١٩ من سورة الزخرف .

(٣) آية ٢٢ من سورة البقرة .

(٤) آية ٦١ من سورة الفرقان .

- ١ - بمعنى (سمى) كقوله تعالى "الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ" ^(١).
- ٢ - بمعنى الخلق والاختراع كقوله تعالى: "وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ" ^(٢).
- ٣ - "المقاربة" ولم يأت الزركشي بشاهد بل قال "نحو جعل - يفعل كذا" .
- ٤ - بمعنى النقل من حال إلى حال ، وللتعيير كقوله تعالى: "جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُؤُلَا" ^(٤) ، "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا" ^(٥) .
- ٥ - بمعنى الاعتقاد كقوله تعالى "وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ" ^(٦) .
- ٦ - بمعنى الحكم بالشئ على الشئ، يكون في الحق والباطل فالحق كقوله :
"إِنَّا رَأَوُوهَ إِلَٰهًا وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" ^(٧) والباطل كقوله : "وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِثْلَ دَرَّاءٍ مِنَ الْحَرِّ" ^(٨) .

-
- (١) آية ٩١ من سورة الحجر .
 - (٢) الآية الأولى من سورة الأنعام .
 - (٣) يقدم بالمقاربة (الشرح) ، لأن من الناحية من يقع المقاربة والرجاء والشرح تحت عنوان واحد وهو (المقاربة) .
 - (٤) آية ١ من سورة طه .
 - (٥) آية ١٩ من سورة نوح .
 - (٦) آية ١٠٠ من سورة الأنعام .
 - (٧) آية ٧ من سورة القصص .
 - (٨) آية ١٣٦ من سورة الأنعام .

٧ - بمعنى (ألقى) كقوله تعالى " ويجعل الخبيث يحفه على " ^(١) يعني " وكقوله تعالى : " وألقى فيها روايت ^(٢) " ، أي ألقى بدليل قوله في الآية الأخرى التي عُلِّ فيها المراد بخلق الجبال وإبان إنعائه فقال " وألقى في الأرض روايت أن تمبد بكم ^(٣) ، ^(٤) .

فإذا ما انتقلنا إلى استعمال هذا الفعل للشروع وجدناه مقصورا على الماضي ليس غير ، ووجدناه أيضا - وهذا ما يدمسو للمعجب - لا شاهد له إلا ما ذكره ابن هشام في الشذور وفي أوضح المسالك وكذلك الأشموني في شرحه على الآية ^(٥) .

وَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا قَعْتُ يُثَلِّفُنِي

ثوبي فأنهف نهف الشارب السكير ^(٦)

وكذلك ما ذكره الشيخ محمد محيي الدين في تحليفه على

شرح الأشموني :

وقد جعلت إذا ما حاجة هزئت

بها دارك أدلوفها بالقرام ^(٧)

(١) آية ٣٧ من سورة الأنفال .

(٢) آية ٣ من سورة الرعد .

(٣) آية ١٥ من سورة النحل

(٤) البرهان في علوم القرآن صفحات ١٢٩ - ١٣٤ بتصريف . ج ٤ .

(٥) أوضح المسالك ، الشاهد رقم ١٢٠ ص ٤٨ تحقيق محمد محيي الدين . ط المصادرة ١٩٤٩ وشرح الأشموني ج ١ ص ٢٤٥ مكتبة النهضة المصرية ١٩٣٣ .

(٦) شرح الأشموني هامش ص ٥١٥ من الجزء الأول .

بالإضافة إلى أن البيت الأول فيه اختلاف في الرواية ، فمن النحاة
من يرويه :

وقد جعلت إذا ما قمت يوجعنسى

ظهري فقامت قيام الشارب الكسر

وفيه أيضا اختلاف في نسبته إلى قائله ، فمنهم من ينسبه
إلى أبي حية النمري ومعه بيت آخر ليس غير ، ومنهم ينسبه إلى
عمرو بن الأحمر الباهلي ومعه أربعة أبيات آخر^(١) .

هذه الاختلافات تشير إلى شك في هذا البيت ، وليس معنى ذلك
أننا ننفي استعمال الفعل (جعل) للشروع ، بل نقول إن استعماله
قليل بل نادر .

وقد ذكر ناظم الألفية هذا الفعل وغيره من أفعال الشروع
دون شاهد قال :

" كأنشأ السائق يحدو وطفسق

كذا جعلت وأخذت وعلسق "

ولم يأت ابن عقيل بهذا الشاهد ولا بغيره ، بل قال " وذلك
نحو أنشأ السائق يحدو ، وطفق زيد يدعو ، وجعل يتكلم ، وأخذ
ينظم وعلق يفعل كذا "^(٢) .

(١) الشيخ محمد محيي الدين في تحقيقه شرح الأشموني على الألفية
هـ ص ٥١٢ من الجزء الأول .

(٢) شرح ابن عقيل ج ١ ص ٢٢٧ .

وسببويه أيها لم يأت بشاهد على (جعل) عندما ذكر أن خبرها لابد أن يكون جملة فعلية دون (أن) . قال " ومثله - أي مثل كاد وكرب ... (جعل يقول) لا تذكر الاسم ههنا ومثله أخذ يقول ...^(١) .

وتد ذكر الزركشي شواهد لكل استعمالات (جعل) عدا استعماله كفعل من أفعال الشروع^(٢) .

أفلا يحق لنا بعد ذلك أن نقول إن استعمال جعل كفعل من أفعال الشروع إنما كان نقلاً وليس ارتجالاً ؛ أي أن الشروع لـم يكن أصلاً في استعمالها ، بل نقلت هي إليه ، يقوي هذا القول أن الزركشي يعدّها من أمهات الأحداث فيقول عنها :

" ومن ذلك (جعل) وهي أحد الأفعال المشتركة التي هي أمهات الأحداث وهي فعل وعمل وجعل وطفق وأنشأ وأقبل^(٣) " .

وما للنساء في (جعل) نقوله في (أخذ) فهو كفعل غير متصرف مستعمل للشروع - منقول عن الفعل (أخذ) المتصرف ذي المعاني العديدة فمن معانيه :

١ - عاقب : كقوله تعالى : " وكذّلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة " ، إن أخذه اليمّ شديد^(٤) .

(١) الكتاب ج ١ ص ٤٧٨ .

(٢) البهرهان في علوم القرآن ج ٤ ص ١٢٨ .

(٣) السابق ج ٤ ص ١٢٨ .

(٤) آية ١٠٢ من سورة هود .

٢ - اعمل : كقوله تعالى " خذوا ما آتيناكم بقوة " (١).

٣ - وتجيء قبل القسم نحو " وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لنثبتنَّه للناس ولا تكتُمونه " (٢) ، (٣).

ويذكر الزركشي أنها تأتي للمقاربة أيضا ، ولا يذكر شاهداً على ذلك، بل يقول " أخذ يفعل كذا " (٤) ، (٥).

وإذا كنا قد تلمَّسنا شاهداً أو اثنين على الفعل (جعل) فإننا لم نجد شواهداً للفعل (أخذ) كفعلٍ من أفعال الشروع ، إلا ما أنشده الشيخ محمد محيي الدين :

فأخذتُ أسألُ والرسومُ تُجيبُنِي  إِلَّا اعتبارَ إجابةٍ وسؤالٍ (٦)

مع ملاحظة أن الاستعمال الحديث قد هجر كل أفعال الشروع عدا هذا الفعل .

وما قلناه في جعل وأخذ ، نقوله في باقي الأفعال عسداً طلق . ولولا الإطالة لتناولنا باقي الأفعال فعلاً فعلاً وبيننا معانيها ثم نقلها إلى معنى الشروع . على أنه لابد أن نذكر أن (علق) لها شاهدٌ واحدٌ هو :

أَرَأَيْكَ عَلِقْتَ ظِلْمٌ مِنْ أَجْرِنَا  وَظَلَمَ الْجَارِ إِذْ لَأُلُ الْمَجِيرِ (٦)

(١) آية ٦٣ من سورة البقرة .

(٢) آية ١٨٧ من سورة آل عمران .

(٣) البرهان ج ٤ ص ١٦٣ و ١٦٤ يتصرف .

(٤) يلاحظ بالمقاربة : الرجاء والشروع والمقاربة كما بينا مسبقاً قبل .

(٥) البرهان ج ٤ ص ١٦٤ . (٦) شرح الاشموني ج ١ ص ٥١٠ .

ومع ذلك فهو مشكوك فيه ، وَلَمْ يَنْسِبْهُ أَحَدٌ إِلَى قَاتِلٍ مَعِيَسٍ
وكذلك الفعل (هب) له شاهد واحد ، هو :

دَبَيْتُ النُّومَ الْقَلْبَ فِي طَاعَةِ الْهَوَى * * * فَلَجَّ كَانِي كُنْتُ بِاللَّوْمِ مَغْرَمًا^(١)

وهذا البيت أيضا لم ينسبه أحدٌ إلى قاتلٍ معين .

ونأخذُ الفعل (هلهل) كفعل من أفعال الشروع

وَلَيْكُنَّا دِيَارَ الْمُعْتَدِينَ لِهَلْهَلْتِ * * * نَفُوسُهُمْ قَبْلَ الْإِمَاتَةِ تَزْهَقُ^(٢)

و(أنشأ) لها شاهد واحد أيضا :

لَمَّا تَبَيَّنَ مَبْلُ الْكَاشِحِينَ لَكَمْ * * * أَنْشَأْتُ أَقْرَبُ عَمَّا كَانَ مَكْتُوبًا^(٣)

كلُّ ذلك يُرينا أنَّ أفعالَ الشروعِ هذه لَمْ تَكُنْ موضوعةً أصلاً
لهذا الاستعمال ، بل إِنَّ لها من المعاني الكثيرة الأخرى المدغماتِ
بالشواهد ما يقوي الظنَّ عندنا أنَّ استعمالَها للشروع كان نقسلاً
وليس أصلاً ، ثم إنها عندما استعملت للشروع لزمت صيغةً واحدةً
لا تتعداها ، بعد أن كانت متعرفةً في الاستعمالات الأخرى .
إنَّ الفعلَ (علق) مثلاً الذي أوردنا له منذ قليل شاهداً واحداً على
استعماله للشروع - هذا الفعل مع مشتقاته قد شَقِلَ من لسان
العرب ما يزيد على أربع صفحات تشمل استعمالاته المختلفة

(١) شرح الأشموني . هامش ص ١١٥ من الجزء الأول .

(٢) هجع الهوامع ج ١ ص ١٢٨ .

(٣) شرح الأشموني هامش ص ١١٥ من الجزء الأول .

وشواهدها . ونحن نورد بعض هذه الاستعمالات ملخصة لنثبت أنها الأصل وأن الشروع إنما كان نقلا بعد ذلك .

عَلَّقَ بِالشَّيْءِ : عَلَّقَا وَمَلَقَهُ نَشَبَ وهو عالق به ، وعَلَّقَ الصَّيْدَ فَمَسَى حَبَالَتَهُ أَي نَشَبَ ، يَقَالُ لِلصَّاعِدِ أَعْلَقَتْ فَأَدْرِكُ ، أَي عَلِقَ الصَّيْدُ فَمَسَى حَبَالَتَكَ ، وَعَلَقَتْ مِرَاسِي الْأَهْلِ ، أَي اطْمَأْنَنْتِ وَقَرَّرْتَ عِيُونَهُمَا بِالْمَرْتَبَعِ . وَعَلِقَ قَلْبُهُ أَي أَحَبَّ . وَتَعَلَّقَ بِهَا . وَانْه لَذُو عَلَقٍ بِفُلَانِسَةٍ ؛ أَي دُو شَغَفَ بِهَا . وَالْعَلَاقُ مَا فِيهِ بُلُغَةٌ مِنَ الطَّعَامِ إِلَى وَتِ الْغَضَاءِ وَمُلَقَّةٌ مِنَ طَعَامِهِمْ أَي بَقِيَّتُهُ وَمِنْهُ لَيْسَ الْمُتَعَلِّقُ كَالْمَتَأَنِّقِ ؛ لَيْسَ مِنْ عَيْشِهِ قَلِيلٌ يَتَعَلَّقُ بِهِ كَمَنْ عَيْشُهُ كَثِيرٌ . وَالْعَلَقُ أَكْلُ الْبِهَائِمِ وَرَقِ الشَّجَرِ . وَالصَّبِي يَتَعَلَّقُ بِمَصِّ أَصَابِعِهِ وَعَلَقَتْ أَدَابَتُهَا إِذَا شَرِبَتْ الْمَاءَ .^(١)

فإذا ما أتينا إلى استعماله كفعل من أفعال الشروع لم نجد لهذا الاستعمال إلا شاهداً واحداً غير معروف القائل أنشدته الأشموني :

أراك علقت تظلم من أجرتنا ^(٢) وظلم الجار الدلال المجيسر

أما الفعل (طلق) فله ميزة خاصة به ، فقد ورد في القرآن الكريم كفعل من أفعال الشروع دون باقي الأفعال ، وقد ورد مرتين ، وفي كليهما كان بصيغة الماضي لم يتجاوزها -

(١) لسان العرب مادة علق ج ١٢ ص ١٣٢ ، بتلخيص .

(٢) الشاهد رقم ٢٤٣ في شرح الأشموني ج ١ ص ٥١٠ .

الأولى في قوله تعالى : " وَطَفِقْنَا يَخْفَيَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ " ^(١) .

الثانية : في قوله تعالى : " فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ " ^(٢) .

فأما الأولى فواضحٌ فيها أَنَّ طَفِقَ من أفعال الشروع وخبره جملة (يخفیان) ، وأما الثانية فخيرها مفردٌ وهو (مسحاً) - ومنه النجاة من جعله مصدرًا في موضع الحال أي طفق ماسحاً ، ومنهم من جعل التقدير (بمسح مسحاً) ، أي أن هذا المصدر مفعول مطلق للفعل محذوف ، بذلك تستقيم الجملة الفعلية المقدره خبراً لطفق ^(٣) .

ومعنى (طَفِقَ) في المعجم (لَزِمَ) ، وطفق يفعل كذا أي لزم يفعل كذا . ونلاحظ أن الفعل (لزم) يعطى المعنى نفسه الذي يعطيه طفق ، كفعل من أفعال الشروع ، وليس هناك استعمالات أخرى جوهرية للفعل طفق عدا ما ذكره صاحبُ اللسان : طفق بفلان أي ظفرَ به ^(٤) . من أجل هذا نستطيع أن نقول إنَّ (طفق) هي للشروع ارتجالاً وليس نقلاً .

وإذا كانت هاتى الأفعال ليست مرتجلة أصلاً للشروع، بل منقولة إليه ، فإنَّ هناك شيئاً يستحق الذكر ، ذلك أننا نستطيع أن نتلصق مبرراً لهذا النقل في معاني بعض هذه الأفعال . فالفعل (شرع) بمعنى اتخذ منهجاً كما في الآيات الكريمة : " شرع لكم

(١) آية ١٢١ من سورة طه وآية ٢٢ من سورة الأعراف .

(٢) آية ٢٣ من سورة ص .

(٣) إعراب القرآن للعكبري على هامش حاشية الجلالين ج ٤ ص ٢١٤ .

(٤) اللسان مادة طفق ص ٩٥ .

من الدين ما وصى به نوحا^(١) و " أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله^(٢) " و " ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها^(٣) " . ومن هنا يأتى الشروع فى الشئ أى البدء ، أو اتخاذ المنهج فيه .

ومادة (علق) تدل فى بعض استعمالاتها على البداية أيضا ، يقول الله سبحانه وتعالى " خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ^(٤) ، وَالْعَلَقُ القطعة اليسيرة من الدم الغليظ الذى أصله المنى فينتقل طورا بعد طوره فيصير دما غليظا متجمدا ، ثم ينتقل طورا آخر فيصير لحميا وهو المضة .. " ^(٥) . أى أنه بداية الخلق والتكوين والفعل (هب) فى قولنا (هبت الريح) يدل على أن الريح كانت ساكنة ثم بدأت الهبوب .

وبعد ، فهل نستطيع أن نقول بعد هذا العرض لمعاني تلك الأفعال إنَّ استعمالها للشروع كان نقلا وليس ارتجالا أو أصلا ، وإنها من أجل ذلك لزمّت صيغة واحدة لا تتعداها عندما تستعمل منقولة .

(١) آية ١٣ من سورة الشورى .

(٢) آية ٢١ من سورة الشورى .

(٣) آية ١٨ من سورة الجاثية .

(٤) آية ٢ من سورة العلق .

(٥) حاشية الجمل على الجلالين ج ٤ ص ٥٦٠ .

الفصل الخامس

التمثيل الرجائي

أقسام الـرجاء

وهذا قسم آخر من أقسام الأفعال الناسخة تتميز بعدم التصرف، ويتكون من الأفعال عسى وجرى واخْلُوق .

أما عسى فأمورها عجيبٌ ، ذلك أنني باطلاعي على هذه المادة في معاجم اللغة لم أجد معنى من تلك المعاني يطابق الـرجاء أو يدل عليه أو يقاربه أو يشابهه ، ففي اللسان والقاموس المحيط^(١) عَسَا الشَّيْخُ يَعْسُو عَسَوًا وَعَمَّوًا وَهَيْبًا وَعَسَاءً أَي كَبِيرَ مِثْلِ عَتِيَسَةٍ ، يُقَالُ لِلشَّيْخِ إِذَا وَلَّى وَكَبِيرَ عَتَا يَعْتَوُ عَتِيًّا ، وَعَسَا يَعْسُو مِثْلُهُ . وَعَسَا النَّبَاتُ عَسَاءً وَعَمَّوًا فَلَطَّ وَيَبَسَ . وَالْعَاسِي النَّخْلُ . وَعَسَى اللَّيْلُ اشْتَدَّتْ ظُلُمَتُهُ .

هذا بالإضافة إلى ذكرهم عسى كفعل من أفعال المقاربة^(٢) فما العلاقة بين تلك المعاني وبين معنى الـرجاء في عسى ؟ الواقع أننا أمام أحد احتمالين للإجابة عن هذا السؤال :

الأول : أن نتلصق العلاقة بشيء من التلطف وحسن المنعنة ذلك أن عسا الشَّيْخ وعسى عسى بمعنى كبير ، أي بلغ النهاية ، أو قاربها .

والفعل نفسه مستند إلى النبات يكون بمعنى غُلُظ وَيَبَسَ أي بلغ النهاية أو قاربها ، وبالنسبة لليل ؛ أي اشتدت الظلمة أي

(١) اللسان ج ١٩ ص ٢٨٣ القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٢) يُطلق القدماء على أفعال المقاربة والـرجاء والشروع جميعها : أفعال المقاربة .

بلغ الذروة بعد أن انتهى النهار . فهل معنى هذا أن (عسا) أو (عسى) تعنى بلوغ الغاية أو قربها ؟ ويكون في ذلك شبهة بالرجاء ، وهو أيضا يدل على بلوغ الغاية أو مقاربة بلوغها .

ولو أننا نملك من أدوات البحث ما يمكننا من معرفة الاستعمالات المختلفة لهذا الفعل وتطورها وترتيبها التاريخي أقول ، لو أننا نملك ذلك لقطعنا بصفة هذا الاحتمال ، ولقلنا إن هذه الاستعمالات تعزو إلى الاشتقاق التاريخي لهذه الكلمة من حيث المعنى .

هذا هو الاحتمال الأول ، أما الثاني فأن تكون هذه الكلمة (عسا) أو (عسى) اختصارا لكلمة أكبر كانت تستعمل لتلك المعاني جميعا ومنها الرجاء ، ثم اختصرت أو اختزلت على مر العصور حتى أصبحت على صورتها ، يؤكد ذلك نتيجة بحث اللغويين في تطور بنية الكلمة ، فقد وجدوا أن الاتجاه في تطور البنية للكلمات نحو الاختصار والاختزال ، لا نحو التكثير أو التخم ، أي أنهم شاهدوا أن اللغات في أقدم صورها المعروفة لنا كانت تتفهم من كلمات كثيرة الحروف طويلة البنية متعددة المقاطع ، وأن هذه الكلمات بتوالي العصور قد أصبحت قصيرة البنية قليلة المقاطع ، وقد تم نتيجة الميل العام لدى الإنسان - في كل شئونه الاجتماعية ومنها اللغة - نحو أيسر السيل وبذل أقل مجهود . فيقول جبرسن " ليس هناك أدنى شك في أن الاتجاه العام لجميع اللغات هو نحو تقصير الميغ للكلمات ^(١) وقد برهن على صحة قولهم

(3) Language, its nature development and Origin. P. 330 London 1964.

بمقارنة صيغ الكلمات في اللغات الهندية الأوروبية القديمة كالسنسكريتية واليونانية واللاتينية بنظائرها في اللغات الأوروبية الحديثة^(١).

إذن فبانّ الاحتمال الثانيّ هذا ليس بعيداً ويؤيده بعض أمثلة أخرى في اللغة فإنّ (سوف) مثلاً يُقال فيها (سوف) بحذف الوسط^(٢) و (سو) يحذف الأخير و (س) بحذفه وقلب الوسط ياء^(٣) . وربما كانت (كي) اسماً مختصراً من (كيف)^(٤) .

وبعد أخذنا بواحد من هذين الاحتمالين لكي نعرف أصلَ (عسى) كلف من أفعال الرجاء نجد أن هناك كلمات كثيرة مشتقة من هذا الفعل وتدل على رجاء أيضاً وذلك نحو " المُعَسِّية كَمُحَسِّنَة وهي المناقاة يُشَكُّ أنها كَيْنٌ أولاً والمُعَسَّاةُ الجارية المراهقة التي يظن من رآها أنها ثوبات " ^(٥).

(١) من مقال للدكتور إبراهيم أنيس في مجلة مجمع اللغة العربية بعنوان : تطور البنية في الكلمة العربية ج ١١ ص ١٦٨ . وقد راجعت أصلَ التمثّل الانجليزي لجسبرسن . وهناك طائفة أخرى من اللغويين يروّون العكس " أي أنّ الجذر الأصلي لكل الكلمات القديمة في نشأتها كان أحادي المقطع ، وأنه تطور بتوالي المصور إلى شتائي المقطع وثلاثي المقطع حتى صارت الكلمات على النحو المؤلف لنا الآن . المقال نفسه ص ١٦٦ وقد أورد السيوطي أمثلة كثيرة تطبيقاً لهذا الرأي ، فذكر أنّ الفعل (تق) أميت والحق بالرباعي فأصبح تفتق ، وأميت (شع) وأصبح شعشع ، وأميت (هط وطه) وأصبح طهطاء ، وأميت (فج) وأصبح فعضع . المزهر ج ٢ ص ٤٧ .

(٢) المغني ج ١ ص ١٨٥ .

(٣) المغني ج ١ ص ٢٤١ .

(٤) اللسان ج ١٩ ص ٢٨٣ .

فَالنَّاتِقَةُ يُرْجَى لِبَنُهَا ، وَالْفَتَاةُ يُرْجَى طَهْرُهَا .

نشأت بعد ذلك الى إسناد المصادر الى هذا الفعل ، فنجد " أَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ يُلْزَمُونَ (عس) حَالَتِي الْإِفْسَادِ وَالتَّذَكُّيرِ سِوَاهُ أَسْنَدَتْ إِلَى مَوْثِقٍ أَمْ إِلَى مَذَكِّيٍّ، وَسِوَاهُ أَكَانَ ذَلِكَ الْأِسْمُ الْمَتَقَدِّمُ عَلَيْهَا مَفْرُودًا أَمْ مُشْنًى أَمْ جَمْعًا. فَيُقَالُ زَيْدٌ عَسَى أَنْ يَقُومَ، وَالزَّيْدَانِ عَسَى أَنْ يَقُومَا، وَالزَّيْدُونَ عَسَى أَنْ يَقُومُوا ، وَهَذَا عَسَى أَنْ تَقُومُوا وَالْهِنْدَانِ عَسَى أَنْ تَقُومَا، وَالْهِنْدَاتُ عَسَى أَنْ يَقُمْنَ ، أَمَّا بَنُو تَمِيمٍ فَهُمْ يُغَيِّرُونَ (عس) بِتَغْيِيرِ الْأِسْمِ قَبْلُهَا ، فَتَوَثَّقُ إِنْ كَانَ مَوْثِقًا وَتُشْنَى إِنْ كَانَ مُشْنًى وَتُجْمَعُ إِنْ كَانَ جَمْعًا، وَتُفْرَدُ إِنْ كَانَ مَفْرُودًا فَيُقَالُ مِثْلًا زَيْدٌ عَسَى أَنْ يَقُومَ ، وَالزَّيْدَانِ عَسَيَا أَنْ يَقُومَا وَالزَّيْدُونَ عَسَوْا أَنْ يَقُومُوا وَهَذَا عَسَتْ أَنْ تَقُومَ وَالْهِنْدَانِ عَسَتْ أَنْ تَقُومَا وَالْهِنْدَاتُ عَسَيْنَ أَنْ يَقُمْنَ ، وَجَاءَ التَّنْزِيلُ بِإِفْرَادِ عَسَى إِلَّا آيَتَيْنِ أَسْنَدَتْ (عس) فِيهِمَا إِلَى ضَمِيرٍ رَفَعَ ، لِأَنَّهُ قَدْ قُصِّلَ بَيْنَ اسْمِهِمَا وَخَبَرِهَا بِجُمْلَةٍ طَوِيلَةٍ . وَالْآيَتَانِ هُمَا " قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ^(١) " وَ " لَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ^(٢)، ^(٣) " .

ونظن أن لغة بني تميم هي الأصل ، فإسناد الفعل إلى ضمير يرجع إلى المسند إليه أمر منطقي ويتماشى مع استعمال الأفعـال الأخرى نحوه الزيدان ضربا والهندات ضربن ، إِلَّا أَنَّ عَدَمَ تَصَرُّفِ هَذَا الْفِعْلِ وَلِزُومَةِ صِيغَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهِيَ صِيغَةُ الْمَاضِي ، قَدْ جَعَلَهُ

(١) من الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ٢٢ من سورة محمد .

(٣) اللغة والنحو للدكتور حسن عون ص ٢١٦ بتصريف .

عند تطوير الاستعمال بعد ذلك يتخلص من تلك الفعائر ، وكأنه
لقد ثبت على صورة واحدة - وهي (عس) - لا يتعداها .

وهناك صورة أخرى لهذا التبسيط في الاستعمال خلال التطوير
اللغوي تتمثل في لغة أكلوني البراغيث نحو قاما المحمدان وقاموا
المحمدون ، فإنه بتطوير الاستعمال أفرد الفعل المتقدم سواءً أكان
الفاعل مفرداً أم مثنى أم جمعا .

وبعد هذا تطبيقاً لقول اللغويين المحدثين إن عملية
التيسير في طواهر اللغة غير مقصورة على بنى الكلمات بسبل
تتناول أموراً كثيرة بعضها يرجع إلى الأصوات وبعضها يرجع إلى
القواعد وطرق الإسناد ، فالأفعال تنتج في تطورها نحو التخلص
من علامات للتعبير عن الشخص (كالتكلم والمخاطبة والمناشاة)
ومن علامات تشير إلى الأفراد والتذكير أو الجمع ومن علامات
التأنيث والتذكير ^(١) .

وتذكرنا (عس) في التقابل اللغوي له فائدته ، وذلك
أن في اللغة الإنجليزية أفعالاً يطلق عليها Defective verbs
أي الأفعال الناقصة Can, could, shall, should, will, would, may,
might, must, ought to . والفعل الناقص هو فعل لا تتوفر له الصيغة
التنسي تتوفر لمعظم الأفعال . ويقابل الفعل الناقص الفعل

-
- (١) أعود الإشارة إلى التخلص من الفعائر عند الإسناد إلى عسى
وكذلك التخلص من الفعائر الموجودة في لغة أكلوني البراغيث
(٢) من مقال الدكتور إبراهيم أنيس " تطور البنية في كلمات
اللغة العربية مجلة المجمع اللغوي ج ١١ ص ١٦٨ .

فلو كانت الكاف مجرورة لقال (عساي) ولكنهم جعلوها بمنزلة لعل^(١) في هذا الموضع . فهذا الحرفان لهما في الإضمار هذه الحال .

وقد نص ابن هشام على ذلك في المغني حيث قال " يقسمال : عساي وعسك وعساء وهو قليل وفيه ثلاثة مذاهب^(٢) " .

ثم يذكر المذهب الأول " أنها أجريت مجرى لعل في نصب الاسم ورفع الخبر ، كما أجريت لعل مجراها في اقتران خبرها بأن^(٣) " ثم يأتي بيت صخر بن جعد :

فَقُلْتُ مَسَاها نَارُ كَاسٍ وَعَلَّها * تَشْكِي نَاسِي نَحْوِها لِمُؤَدَّها
دليلاً على أن خبرها مفرد مرفوع وليس جملة^(٤) .

ومن استعملاتها فعلاً قول الله سبحانه وتعالى " قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْكُمْ إِيْتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا^(٥) " وقوله سبحانه " قَهْلَ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْلِتُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ^(٦) " .
ومن هذا الاستعمال أيضا مجيء خبرها مفرداً وليس جملة كما في قولهم " من القويتر أبؤساً " قال سيبويه فهذا مثل من أمثال العرب أجروا فيه (من) مجرى (كان)^(٧) ، وكذلك قول الراجز :

(١) الكتاب ٢٨٨/١ و ٢٨٩ .

(٢) المغني ص ٢٠٣ .

(٣) المغني ص ٢٠٣ .

(٤) المغني ص ٢٠٤ .

(٥) من الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

(٦) من الآية ٢٢ من سورة محمد .

(٧) الكتاب ٤٧٨/١ .

أَكْثَرَتْ فِي الْوَيْلِ مُلَحًا دَائِمًا ❦ لَا تُكْثِرُنَّ إِنِّي عَسَيْتُ صَائِمًا^(١)

وقد قد ابنُ جنى اجراءَ (عسى) مجرى (كان) شاذًّا فـ في الاستعمال مطردا في القياس .^(٢) فأما الاطرادُ في القياس فراجع إلى أن (كان) كذلك وقد قاسوا (عسى) عليها ، وأما الشذوذ في الاستعمال فلأنَّ ما ورد في كتب النحو واللفظ شاهداً على ذلك لا يتعدى المثلَّ والبيتَ .

أما ما حكاه شعلب (عسى زيد قائم) وما بنىء عليه أن (عسى) ناقصة ، وأن اسمها ضميرُ الشأن ، والجملة الاسمية الخبر ،^(٣) فلا يعتدُّ به ، لأنَّ شعلباً لم يأت بشاهد على ذلك ، وأيضاً مما يقوي عدمَ الاعتدادِ بقول شعلب أن القرآن الكريم لم يستعملها على نمط المشال الذي أتى به شعلب ، بل إنَّ استعمال القرآن لها جاء على وجهين :^(٤)

أحدهما : أن ترفع اسماً صريحاً ، ويأتي بعده بخبر ويلزم كونه مفارعاً نحو " فعسى الله أن يأتيك بالفتح " .^(٥)

(١) المغنى ص ٢٠٣ وينسب إلى روية وانظر خزائن الادب للبغدادى ج ٤ ص ٧٧ بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .

(٢) الخصائص ج ١ ص ٩٦ .

(٣) المغنى ص ٢٠٤ .

(٤) البرهان في علوم القرآن للإمام محمد بن عبد الله الزركشى ج ٤ ص ١٦٠ تحقيق محمد أبى الفضل ، دار احياء الكتب العربية ١٩٥٩ .

(٥) المائدة : ٥٣ .

الثاني : أن يكون المرفوعُ بها (أن والفعل) ومنه قولُسه
تعالى " عسى أن يبعثك ربُّك مقاماً محموداً " ^(١).

كان هذا كله عن (عسى) . فماذا عن اخلولق ؟ إن هذا
الفعلُ غيرُ متممٍ ، ليس ذلك لحسب ، بل إنَّه أيضاً قليلُ الاستعمالِ
بل شاذُّه ، حتى ليخيل إلى أنه مصنوع .

وليس ببعيد عنا ما يذكره ابنُ جنى في مواقع كثيرة من
كتبه " كيف تبني من كذا على مثال كذا ؟ " .

" من ذلك بشاؤك مثل فعلول من طويت ، فهذا لابد أن يكون
طَوِيَّوً ، فإن بدأت بالتغيير من الأول ، فإنك أبدلت الواو الأولى
ياءً لوقوع الياء بعدها ... " ^(٢).

" ومثال ذلك (أيضا) قولك في مثال (أي في وزن) أوزة
من أويت : أياة ، وأملها أثوية ، فابدأ الهمة التي هي فاء
واجب ... " ^(٣).

" ومن ذلك قولُه في مثال جعفر من الوار أوى وأملها ... " ^(٤).

فبشأ فعل (أو كلمة بوجه مام) على وزن مـن الأوزان
معروف عند العرب حتى لو كانت هذه الكلمة المستحدثة غير مستعملة
عندهم .

(١) الإسراء ، ٧٩ .

(٢) الخصائص ج ٢ ص ٧ .

(٣) الخصائص ج ٢ ص ٩ .

(٤) الخصائص ج ٢ ص ٩ .

ومن ثمَّ جار لنا أن نقول إنَّ الفعلَ (أَخْلَقَ) بمعنى بَنَى، بَنَوْا منه على مثال (الفعول) فكانَ الفعلُ اَخْلَوْلَقُ، ونَتَذَكَّرُ في هــ هذا العدد الفعلَ (أَعْشَبَ) وببناءَ الفعول منه فيكونَ اَمْشَوْشَبَ ومثله اَعْدَدَنَ.

واذني يقوى الظنُّ في أن هذا الفعل مصنوع شيشان :

الأول : أن كتبَ الصرف عندما تتعرض للفعل الثلاثي المزيج بثلاثة أحرفٍ على وزن (الفعول) تأتي بمثال عليه الفعل (اعْدَدَنَ) كأعدودن الثَّعْر إذا طال ، والفعل اَمْشَوْشَبَ كما اَمْشَوْشَبَ المكان إذا كثر عِشْبُهُ .^(١)

يقول سيبويه " ولا يفصل بين العينين (يتمد عين الكلمة عندما تتكرر) إلّا في هذا الموضع ولا يكون الفصل إلّا بواو " (٢) ثم يأتي بمثال على ذلك فيقول " وذلك قولك اعدودن ومفـ اعدودن واحلولى ومحلولى " (٣) ولم يأت باخْلَوْلَقُ ، مع أن سيبويه معروف باستقصائه الواجـ .

الثاني : أنني لم أجد - فيما اطلعت عليه من كتب النحـ واللفـ - شاهداً على استعمال اَخْلَوْلَقُ فعلاً من أفعال الرجـ (٤)

(١) المزهر ج ٢ ص ٤١ وشذا العرف ص ٢٩ وشرح ابن عقيل ج ٢ ص ٥٩٨ والنحو الوافي ج ٤ ص ٥٦٦ .

(٢) الكتاب ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٣) الكتاب ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٤) انظر مثلاً الكتاب ج ١ ص ٤٧٧ وحاشية المبان على الأشمونـ ص ١٢٨ ص ٢٠٩ والمكتبة التجارية بمصر وجمع الهوامع ج ١ ص ١٢٨ وشرح التصريح ج ١ ص ٢٠٦ . وشرح ابن عقيل ج ١ ص ٢٨٤ وشرح الكافية للرفي الاسترأبادي ج ٢ ص ٢٠٤ نظارة المعارف باستنبول .

بل إِنَّ المِثَالَ الوحيدَ المكرَّرَ في كلِّ ما اطلعت عليه هو (اخلولق السماءُ أن تمطر) .

ويبدو أَنَّ هذا المِثَالَ له علاقةٌ بالمِثَال الذي ورد في لسان العرب ^(١) (اخلولق السحاب) ، أي استوى وارتقت جوانبه وصار خليقا بالمطر ، وربما كان هذا المِثَالُ مغسرا لاستعماله عند النحاسة وليس عند عامة العرب كفعل من أفعال الرجاء ، ذلك أَنَّ (اخلولق السحاب) يدلُّ على أَنَّ المطرَ آتٍ ، والماءُ كما هو معلوم معلِّسُ الرجاء عند العرب ومبعثُ الأمل فيهم .

والفعل (حرى) مثل الفعل اخلولق ، غير مستعمل وربما كان ذلك سببَ عدم تعرفه ، فنحن نستعمل أخرى كما نستعمل اخلق وقد ورد الاثنان معا في قول شوقي :

يا نيلُ أنت بطيب ما نَعَتَ الهدى ^(٢) وبمسدحة التوراة أخرى اخلق

وورد (اخلق) أيضا في قوله :

أما العتابُ فبالأخبرِ اخلقُ ^(٣) والحبُّ يُعلِّجُ بالعتابِ ويمسدقُ

(١) اللسان ج ١ ص ٨٨ .

(٢) الشوليات ج ٢ ص ٧٢ .

(٣) الشوليات ج ١ ص ١٦١ .

وقد ورد في اللسان أيضا " الحَرَّى : الغليق وتثنى وتُجمع
تُتَوَنَك فيقال حَرَيَّان وحَرَيَّونَ وحَرَيَّانٍ وحَرَيَّات ، ومن (آخر به)
اشتق الحَرَّى في الأشياء ونحوها ، وهو طلب ما هو أحسن
بالاستعمال أي أولى وأجدر وأحق ، ومنه قولُ الله سبحانه
وتعالى : " فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا " (١) . قال ثعلب : حَرَّى
أن ينال الخير كله (٢) .

ولقد بحثت عن شاهد يؤيد قول ثعلب بأن (حرى) فعل ماضٍ
غير متصرف ، فلم أجد إلا بيتا منسوبا للأعشى ميمون .

إِنْ يُقَالُ هَنَّ مِنْ بَنَى عَبْدُ شَمْسٍ * كَحَرَّى أَنْ يَكُونَ ذَاكَ وَكَانَا
وهذا الشاهد لم يأت به أحد إلا ابن هشام (٣) ، ولكنني لم
أجده في ديوان الأعشى . هذا بالإضافة إلى أن محقق شذور
الذهب الشيخ محمد محيي الدين يقول تعليقا على هذا البيت " وأيضا
بعد تسليم ثبوته لا يكون نصا فيما رعمه المؤلف لجسوان
أن يكون حَرَّى اسما منونا أيضا ، وهو خبر مقدم و(أن يكسون)
في تأويل معذر وهو مبتدأ مؤخر ... والحاصل أن النفس غيـسـرُ
مطمئنة إلى الاستدلال بهذا البيت " (٤) .

(١) من الآية ١٤ من سورة الجن .

(٢) اللسان ج ١٠ ص ١٨٧ .

(٣) شذور الذهب ص ٢٦٨ . المطبعة التجارية الكبرى ١٩٠٦ م .

(٤) ديوان الأعشى تحقيق د . محمد حسين ط بيروت ١٩٦٨ .

(٥) شذور الذهب هامش ص ٢٦٩ . ونلاحظ أن المرحوم الشيخ محمد
محيي الدين قد التبس عليه الأمر حين جوز أن تكون (حَرَّى)
بالتنوين ذلك أن البيت في هذه الحالة ينكسر عروضيا
ولا يستقيم له البحر الخفيف ، إلا أن كان نطقها عنده حَرَّى .

ونقل صاحب اللسان عن ابن بري أنه أورد شاهداً آخر
على (حري) قول لبيد :

من حياة قد سئمتا طولها * * * وَحَرِيٌّ طَوْلُ عَيْشٍ أَنْ يُمَسَّلَ

ولكن (حري) هنا لابد أن تكون اسماً مشوياً (حريّ) حتى
يستقيم البيت على بحر الرمل . ومما يؤيد هذا أنا وجدنا
البيت في الديوان وقد استبدلت كلمة (جدير) بكلمة (حري) .

من حياة قد سئمتا طولها * * * وَجَدِيرٌ طَوْلُ عَيْشٍ أَنْ يُقَسَّلَ^(١)

وبعد هذا كله عن (اخلولق) و (حري) نضيف أن القرآن
الكريم لم يستعمل هذين الفعلين إطلاقاً ، بالرغم من استعماله
الفعل (حس) كثيراً ، وبالرغم من استعماله مادة (خلق) أكثر ،
وبالرغم من ورود الآية الكريمة " فمن أظلم فأولئك تحروا رشداً "^(٢)

كل ذلك يقوي الظن بأن هذين الفعلين نادرا الاستعمال
إن لم يكونا منعدمين تماماً ، وأن (اخلولق) بُنيت من أخلق
كما بُنيت (اعشوشب) من أعشب وأن الفعل (حري) قد نقل من الاسم
حَرِيٌّ وقد نص صاحب اللسان على أن هذا الاسم (حَرِيٌّ) ليس
متصرفاً أيضاً ، فهو ملازم للإفراد والتذكير . قال " فمن قال
حَرِيٌّ " لم يغيره من لفظه فيما زاد من الواحد وسوى بين
الجنسين " ^(٣)

(١) الديوان بتحقيق الدكتور إحسان عباس ص ١٧٩ ط الكويت .

(٢) الآية ١٤ من سورة الجن .

(٣) اللسان ج ١٨ ص ١٨٧ .

الفصل السادس

~~الفصل الخامس~~

تَعَلَّمَ وَحَسِبَ

هذان الفعلان غير متصرفين ، وهما من أفعال القلوب ، فأما الأول فوضعه النحاة مع الأفعال التي تدل على اليقين وهي : علم ورأى ووجد ودرى وأظن وجعل و (تَعَلَّمَ) ، وأما الثاني فوضعه النحاة مع الأفعال التي تدل على الرجحان وهي : ظن ، وخال وحسب وزعم وعد وحجا وجعل و (حَسِبَ) ، وإنما سُميت هذه الأفعال بالقلبية ، لأن معانيها قائمة بالقلب^(١) وليس من هذه المعاني الفرح والحسب^(٢) كما ذكر صاحب النحو الوافي فيما ذكر من بآلى المعانسي التي سماها الأمور النفسية إذ إن الفرح والحزن وبآلى المشاعر النفسية من يأس وكَمَدٍ ولوعة موطنها الكِبْدُ في الأغلب الاعم عند العرب، فمن ذلك قول الشاعر:

وَكَبِدًا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَبِيدِي * * * وَفَتَقْتُهَا لَوَاعِجُ الْكَمَسِيدِ^(٣)

وقال :

وَلَيْ كَبِدٌ مَفْرُوحَةٌ مَنْ يَبِيحُ عَنِّي * * * بِهَا كَبِدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحٍ
أَبَى النَّاسُ كُلُّ النَّاسِ لَا يَشْتَرُونَهَا * * * وَمَنْ يَشْتَرِي دَاعِلِي بِمَحِيحِ^(٤)

(١) شرح التمرحيم على التوضيح ج ١ ص ٢٤٧ وشرح الأشموني ج ٢ ص ٢ .

(٢) النحو الوافي ج ٢ ص ٤ هـ ٤ .

(٣) مطلع قصيدة لابن عبد ربه الاندلسي في رثاء والده . العقيد
الفريد ج ٢ ص ٢٠٨ ط دار الكتب العلمية بيروت .

(٤) غير معروف القائل وقد غنتها جارية من المدينة . السابق

ج ٧ ص ٧٦ .

وقال تعالى " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ^(١) " من باب طرب...
 فهو أَكْبَدُ إِذَا وَجَّهَ كَبِدَهُ وَانْتَفَخَتْ ، فَاتَّسَعَ لِيهِ حَتَّى اسْتَعْمَلَ لِسِي
 كُلِّ تَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ ، وَمِنْهُ اسْتَقْتَتِ الْمَكَابِدَةُ ^(٢) وَمِنْهَا أَيْضًا مَكَابِدَةُ أَي
 مَعَانَاةُ الْأَوْجَاعِ وَالْأُحْزَانِ وَالْمَصِيرُ عَلَى الْفِرَاقِ .

ولكنَّ المعاشي القاشمة بالقلب عند العرب هي المعاشي العقلية
 التي لا دخل للحن فيها ، كالنهم والظن واليقين والرجحان والتفكير
 والامتقاد ، وكلها مذكورها القلب عند العرب فمن ذلك قولُ النَّبِيِّ
 سبحانه وتعالى : " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْئَالُهَا ^(٣) "
 وقال تعالى : " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا لَٰجِهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ
 قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَسْمَاعٌ
 لَا يَسْمَعُونَ بِهَا " ^(٤) .

وقال تعالى: " إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِّمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى
 السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ " ^(٥) .

وقد فطن إلى ذلك المستشرق Martimer Howell فندمنا
 ترجم فعل القلب إلى Mental verb ، أي الفعل العقلي ، إذ إنَّ
 الكلمة mental هي الـ ed من mind ولم ينسبها لـ

(١) البلد - ٤ .

(٢) الكشاف ج ١ ص ٥٤٥ .

(٣) محمد - ٢٤ .

(٤) الاعراب - ١٧٩ .

(٥) ق - ٣٧ .

(١) الترجمة إلى القلب . (مقدمة الكتاب) .

وبخشنا من كل الأفعال القلبية الفعلان تَعَلَّمَ وَهَسَبَ . لأنَّ أفعالَ هذا الباب كُلُّها تتصرف إلا (هب) و (تعلم) فإتبعها جامدان (يلعد غير متصرفين) ، ولم يُستعمل منهما سوى الأمر ، لا ماضٍ ولا مضارع ولا وصف ولا أمر باللام .^(١)

فإنَّ الفعلَ الأولَ وهو (تعلم) فإنه غير متصرف ويبقى فليس صيغة الأمر بشرط أن يكون معناه (اعلم) وعلى ذلك فقد ورد قول زهير :

قُلْتُ : تَعَلَّمَ أَنَّ لِلصَّيْدِ لِيَسْرَةً ^(٢) وَإِلَّا تُفَيِّعَهَا لِيَأْتِكَ قَاتِلُهُ

وقد وردَ في كتب النحو كثيرٌ من الشواهد على ذلك ^(٣) . وتعلَّم هنا بمعنى أعلم ، " فإذا قيل لك تَعَلَّمْتَ أَنَّ الأمر كذا فلا تقل تَعَلَّمْتُ بَلْ عَلِمْتُ " ^(٤) والفرق بين تَعَلَّمْتَ وَعِلِمَ أن الأولي بمعنى

(١) النواسخ الفعلية والعرفية ص ١٢٠ وكتاب المستشرق

A grammar هو
of Classical Arabic Language. India 1883

(٢) المطالع السعيدة للسيوطي ص ٢٤٢ تحقيق د. طاهر حمودة - الدار الجامعية اسكندرية ١٩٨٣ .

(٣) شرح ديوان زهير . ص ١٠٠ أبي العباس بن يحيى ثعلب ص ١٢٤ . دار الكتب سنة ١٩٤٤ .

(٤) راجع شرح الأشموني باب (ظن وأخواتها) .

(٥) شرح الكافية ج ٢ ص ٢٧٧ .

(١) تكلف العلم ، واللعان تعلّم واعلم يدخلان في داخرة الأمر
المقلية التي تحدثنا عنها منذ قليل ، ويبدو أن بعض القباة
العربية كانت تستعمل فعل الأمر تعلم مكان أعلم ولا يزال المعودييون
يقولون : أعلّمك ، ولا يقدون بها التعليم أو التدريس
مثلا بل يقدون معنى أعرّفك أو أعلمك .

وأما الفعل الثاني وهو (هَبَّ) ، فمقصود استعماله على الأمر
أيضا ، على أن يكون معناه (طَن) .

وقال الأصمعي : تقول العرب هبني ذلك ، أي احسنني
واعدونني . وقال : ولا يقال هب في الواجب (الماضي) قد وهبتك ،
كما يقال درني ودعني ولا يقال قد وذرتك .

على أن ابن الأعرابي قد حكى الماضي من هذا الفعل فقال
وهبني الله فداك أي جعلني ، ووهبت فداك أي جعلت فداك (٢) .

ولا يعتد بحكاية ابن الأعرابي ، وقد وقع الأشموني هذه
الحكاية شاهداً على أن (وهب) من أفعال التمييز :
جعل واتخذ وتخذ ووهب وترك ... (٣)

أما فعل الأمر (هَبَّ) بمعنى أَمِطْ أو أَنْعَمْ فهو متصرف
يستعمل ماضيه ومضارع قال تعالى " وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ " (٤) .

وقال " يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا نَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذِّكْرَ " (٥)
وقال " وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً " (٦)

(١) شرح الكافية ج ٢ ص ٢٧٧ بتصرف . (٤) الانعام ٨٤ .

(٢) اللسان مادة وهب ج ٢ ص ٢٠٥ . (٥) الثوري ٤٩ .

(٣) شرح الأشموني ج ٢ ص ٢٢ . (٦) آل عمران ٨ .

الفصل السابع

أفعال المسند والمُسند

(١)
فهذه هي المعاني السائدة لمادة (ن ع م) .

وأما (بئس) فقد ورد في اللسان :

" البَّاسُ : العذابُ والشَّدةُ في الحربِ، والبَّاساءُ اسْمُ الحربِ
والمَشَقَّةِ والحَرْبِ . قال ابنُ سيده : البَّاسُ الحربُ ثم كَثُرَ حتى قيلَ
لا بَاسَ عليك أي لا خوفَ . والبَّاسُ الشَّدةُ والفقرُ . وبَّيْسَ الرجلُ
بَبَّاسٍ بُيْسًا وبَّاسًا إذا افتقرَ واشتدَّتْ حاجتُه فهو بَاسٌ أي فقيرٌ
وقوله تعالى : " فَاخْذَنَاهُمْ بِالْبَاسِ وَالْفُرْاقِ " (٢) . قال الزجاج
البَّاسُ الجوعُ ، والفرَّاقُ في الأموال والأَنْفُسِ . وبَّيْسَ بَبَّاسًا
إذا كان شديدَ البَّاسِ شجاعاً فهو بَبَّيْسٌ وبَّيْسٌ ، ومنه قولُ
تعالى " سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بِأَسْ شَدِيدٍ " (٣) ، (٤)

فها نحن نرى أنَّ مادةَ (ن ع م) تدور كلها حول النعيمِ
والدعة وسعة العيش ومادة (ب أ س) تدور حول الشدة والفيق والفقر
والعذاب ، وفي هذا مبررٌ كافٍ لأنَّ نقولَ إِنَّ نعم وبئس منقولان من
الفعالين (نَعِمَ) و (بَئَسَ) وهذا النقلُ هو سببُ عدم التصرف في
نعم وبئس وبقائهما على صورة واحدة . يقول صاحبُ اللسان فسببُ
نقْيِدُلُ على ملكته اللغوية الممتازة :

(١) ورد في اللسان من المعاني القليلة الاستعمال لكلمة (نعمة)
أنها تَطْلُقُ أيضا على الجلدَةِ التي تغطي الدماغَ . والنعامة من
الفرس دماغُه ، والنعامة باطن القدم ، والنعامة أيضا جماعة
قوم، وتُطْلَقُ على الطريق .

(٢) ٤٢ - الأنعام .

(٣) ١٦ - الفتح .

(٤) اللسان مادة ب أ س ج ٧ ص ٣١٧ .

" . وبُشِيَ كلمة دَمْ ونعم كلمة مدح نقول بَشِيَ الرجلُ زيدٌ ، وبُشِيَ المرأةُ هندٌ وهما فعلاَن ماضيان لا يتصرفان لأنهما أزبلا عن موضوعهما فنعم منقول من قولك (نعم فلان) إذا أصاب نعمه ، وبَشِيَ منقول من (بَشِيَ فلان) إذا أصاب مؤما ، فنُقِلَا إلى المدح والذم فشابهها الحروف فلم يتصرفا " (١)

وأما ما ذكره خالد الأزهرى أَنَّ عدمَ تصرفيهما راجعٌ إلى خروجيهما عن طريق الأفعال من الدلالة على الحدث والزمان (٢) ، فمدفوع بأن من الأفعال الناسخة ما هو متصرف نحو (كان وأصبح) ، مع أنها خرجت عن طريق الأفعال من الدلالة على الحدث والزمان ، إذ إنها تدلُّ على الزمن ليس غير .

ولابد أن يختلف البصريون والكوفيون في نَعَمَ وبَشِيَ : هل هما اسمان أو فعلاَن ، ويبدو أن مَرَّةً هذا الاختلاف هو عدمُ التصرف فقد اختلفوا - كما رأينا من قبل - في (ليس) و(من) و(قد) فمن صاحب اللسان كما رأينا منذ قليل - على أنهما فعلاَن ماضيان وهو في ذلك يوافق البصريين .

أما الكوفيون فقد رأوا أنهما اسمان مبتدآن بدليل :

١ - أن حرفَ الجرِّ يدخلُ عليهما ، تقول ما زيدٌ بنعم الرجلِ^٣ وحكى بعضُ النحاة " نعمَ السَّيْرِ على بَشِيَ العَيْرِ " وللسال أعرابيٌّ بَشَرَ بمولودةٍ " والله ما هي بنعمَ المولودةِ نصرتهما بكاءً ، وبرها سرقةً " .

(١) اللسان ج ٧ ص ٣١٧

(٢) شرح التصريح على التوضيح ج ٢ ص ٩٢

- ٢ - وأنهما يقبلان النداء في قولهم " يا نعم المولى ونعم السعيد " .
- ٣ - وأنه لا يحسن اقتران الزمان بهما كما في قولهم " نعم الرجل أمي " ولا بهما قولهم " نعم الرجل فلان " .
- ٤ - وأنهما لا يتصرفان ، والتصرف من خصائص الأفعال . وكما أن
احتجاج البصريين على أنهما فعلان ؛
- ١ - بأن الضمير المرفوع يتمل بهما على حد اتصاله بالفعل
المتصرف ، فنقول " نعم رجلين ، ونعموا رجلا " .
- ٢ - وبأنهما رفعاً المظهر شأنهما في ذلك شأن الفعل
المتصرف ، فنقول نعم الرجل وبش الغلام ، وكذلك رفعاً
المضمر ، مثل : نعم رجلا زيد .
- ٣ - وبأن تاء التانيث الساكنة التي تختص بالفعل الماضي
تتمل بهما في قولك (نعمت المرأة) و (بكست الجارية) .
- ٤ - وبأنهما يُبَيَّنَّ على الفتح ، ولو كانا اسمين لَمَّا
كان لبيانهما وجه ، إذ لا ملة هنا توجب بناءهما .^(١)
- ويستطيع أن تقرأ جدلاً طويلاً في هدم البصريين أدلة الكوفيين
على رد الكوفيين عليهم ، مما لا علاقة له إطلاقاً بواقع اللفظة
ولا بأصول هاتين الكلمتين (نعم وبش) .

ومن الأمور التي لا شك فيها أن أهل البصرة وأهل الكوفة

(١) الإنصاف ج١ ص ٦٦ تصرف وتلخيص وأنظر أيضاً هجج الهوامع

كانوا يعرفون أن هاتين الكلمتين منقولتان من الفعلين نعم وبشئ ،
وأنهما من أجل هذا النقل لزما صورة واحدة لا يتعديانها ،
واكتسبا في الوقت نفسه شيئا من خصائص الاسمية التي تظهر في دلائل
الكوفيين وشيئا من خصائص الفعلية التي تظهر في دلائل البصريين
فهما (أي الكلمتان) ليستا اسمين خالعين ولا فعلين خالصين ،
إلا أن غلبة الفعلية واضحة عليهما . يعرف البصريون ذلك وكذلك
الكوفيون ، ولكنها الخلافات المدرسية ورغبة كل فريق في أن يلبس
شوبا مختلفا عن الآخر وأن يكتسب صفات خاصة به ، كل ذلك على
حساب الدرس اللغوي والدرس النحوي .

ولم يكن الاختلاف مقصورا على اسمية (نعم) و (بشئ) أو
فعليتهما ، بل شمل أيضا إعراب الاسم الذي بعدهما عندما يكسبون
نكرة ، ففي نحو (نعم قوما معشره) الإعراب الواضح السهل
لس (قوما) أنه تمييز وبه فُسّر الضمير المستتر في (نعم) ، والذي
يعربُ فاعلا، ومفسره مبتدأ مؤخر^(١) ، وخبره الجملة الفعلية قبله :
(نعم) والضمير المستتر فيها . هذا هو الإعراب السهل الواضح ،
بدليل أن الضمير في (نعم) مستتر وجوبا ، لأن التمييز بعده يفسره
.. ومع ذلك فإن قوما زعموا أن مفسره مرفوع بنعم وهو الفاعل
ولا ضمير فيها ، وقال بعض هؤلاء : إن قوما حال ، وبعضهم إنَّه
تمييز ..^(٢)

واختلاف ثالث يتعلق بالجمع بين التمييز والفاعل الظاهر في
(نعم) نحو (نعم الرجل رجلا زيدا) فهناك من أجازه ، وهناك من

(١) أي : مفسره يعرب ...

(٢) شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٦٢ .

مَنْعُهُ ، وهناك من ألقى بأن التمييز إن أفاد فائدة زيادة على
الفاعل جاز الجمع بينهما نحو (نعم الرجل فارساً زيداً) وإلا فلا ،
نحو (نعم الرجل رجلاً زيداً) ^(١) ... فهذا يمنع وذاك يجيز وثالث
يقف موقفاً وسطاً ، وكان الأمر قضية شخصية ، مع أن ابن عسيل
نفسه يورد هيتين لجريز في هذا الموضع يشهدان على جواز الجمع
بين التمييز والفاعل الظاهر ، فالأول هو /

والتَّغْلِييظُونَ يَفْعَلُونَ الْفَعْلَ فَعْلَهُمْ * نَحْلَا وَأَمْهُمْ رَلَا * مِثْلِيْسُقُ ^(٢)

والثاني هو :

تَرَوْنِ مِثْلَ رَادٍ إِبِيسَةَ رَادَا * فَيَنْعَمُ الرَّادُ رَادُ أَبِيكَ رَادَا ^(٣)

وما بعد نعم ويخس على ثلاثة أقسام .

- ١ - اسم محلى بالألف واللام ويعرب فاعلاً لهما ثم يأتى المخصوص
بالمذح أو الذم ، ويعرب مبتدأ مؤخرأً والجملة الفعلية
قبله خبره نحو (نعم الرجل زيداً) .
- ٢ - مضاف إلى ما فيه ال مثل (نعم عقبسى الكرسي) .

(١) شرح ابن عسيل ج ٢ ص ١٦٢ .

(٢) شرح ديوان جرير . الشارح محمد اسماعيل الباوي ص ٢٩٥ .
ط ١ التجارية دون تاريخ .

(٣) شرح ديوان جرير ص ١٢٥ .

٢ - مفسر مفسر بنكرة بعده منصوبة على التمييز نحو (نعم
قوماً معشره)^(١) .

والذي نود أن نقوله هنا إن القرآن الكريم قد استعمل
الأساليب الثلاثة ، فالأول كقوله تعالى : " ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ
وَيَخْسَ الْمَصِيرُ " ^(٢) و " مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْضِ نِعَمَ الثَّوَابِ
وَحَسَنَتِ مَرْثَقْنَا ^(٣) والثاني كقوله تعالى : " فَنَعَمْ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ^(٤)
و " فَنَعَمْ عَنِ الدَّارِ " ^(٥) والثالث كقوله تعالى : " يَخْسَ لِلظَّالِمِينَ
بَدَلًا " ^(٦) ولكن المخصوص بالمدح أو الذم لم يُذكر في القرآن الكريم
إلا في آية واحدة هي " يَخْسَ الْأَسْمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ " ^(٧) ، فالفسوق
هو المخصوص بالذم ، على أن من المفسرين من أعربَه بدلا من (الاسم) ،
لإفادة أنه نسق لشكره ، وعلى هذا فالمخصوص بالذم محذوف تقديره
(هو) " ^(٨) .

(١) شرح ابن مقبل ج ٢ ص ١٦٢ .

(٢) البقرة آية ١٢٦ .

(٣) الكهف آية ٣١ .

(٤) آل عمران آية ١٣٦ .

(٥) الرعد آية ٢٤ .

(٦) الكهف آية ٥٠ .

(٧) الحجرات آية ١١ .

(٨) حاشية الجمل على الجلالين ج ٤ ص ١٨٢ المكتبة التجارية

سنة ١٩٣٣ م .

حبدا ولا حبدا

كان هذا عن نَعَمَ وَيُسَّ . فماداً من شبيهتيهما حبدا ولاحبدا .
من الواضح أن (حَبْدًا) مكونة من الفعل حَبَّ واسم الإشارة
(١٣) . وهذا الفعل غير متصرف في هذا الموضع ليس غير ، فلا
يقال حبدا ويحبدا واحبدا مثلاً . ولكن جاء متصرفاً في مواضع
أخرى . يقول ابن منظور : حَبَّ إِلَى هَذَا الشَّيْءِ يَحَبُّ . قال ساعدة :

هَجَرْتُ غُفُوبٌ وَحَبَّ مَنْ يَتَجَنَّبُ * وَعَدْتُ عَرَادٍ دُونَ وَلِيِّكَ تَشَقُّبُ^(١)

وكثير من النحاة على أن (حَبَّ) الأصل فيها حَبَّبَ بضمة
الباء ، ثم سكنت وأدغمت في الثانية^(٢) .

ونلاحظ أن (أَحَبَّ) الماضي الرباعي أكثر استعمالاً من الثلاثي
فيقال أَحَبَّ وَيَحَبُّ وَمُحِبٌّ ، إِلَّا أَنْ أَسْمَ الْمَفْعُولِ مِنَ الثَّلَاثِي (حَبَب)
وهو محبوب مستعمل بكثرة أيضاً . وقد ورد في اللسان " وبنائه
للمجهول حَبَّ الشَّيْءِ (بضم الحاء) فهو محبوب . قال سيبويه " فسأدا^(٣)
قلت محزون ومحبوب جاء على غير أحبيبت . وقد قال بعضهم^(٤)
حَبَبْتُ لِفُجَاءٍ بِهِ عَلَى الْقِيَّاسِ " .^(٥)

(١) اللسان مادة حَبَب ج١ ص ٢٨١ .

(٢) اللسان مادة حَبَب ج١ ص ٢٨١ .

(٣) السابق .

(٤) يقيمد أنهما جاءا ١٠ على الثلاثي حَزَنَ وَحَبَبَ وليس من الرباعي
أَحَبَّ .

(٥) الكتاب ج٢ ص ٢٣٨ أسفل الصفحة .

والمادة كلها تدل على كل ما هو مشتعب خير لا شر فيه ،
 فالإحباب في الأهل كالجران في الطيل ، وهو أن يترك فلا يشسور ،
 والإحباب أيضا البرء من كل مرض ، والحب الزرع صغيرا كسان أم
 كبيرا واحده حبة . ويقال للبرد حب الغمام وحب المزن وحب قر .
 وحب القلب شمرته وسويداؤه . وقال الأزهري هي العلة السوداء
 التي تكون داخل القلب ، ويقال أصابت فلانة حبة قلب فلان إذا
 سعت قلبه حبة . وحب الفم ما يتجنب من بيض الريق على
 الأسنان ، وحب الماء طراشه ونفخاته ولعاليقه التي تظلمسو
 كأنها القوارير . والمحبة والمحوبة من أسماء مدينة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم^(١) .

ومن ثم جاء التركيب (حبذا) للمدح والإطراء وكان
 متوافقين مع تلك المعاني، و (حبذا) لا يتغير واحد من جزأيهما ،
 فالفعل (حب) لا تتغير صورته في هذا التركيب ، كذلك اسم الإشارة
 ملازم للأفراد والتذكير. وفي ذلك يقول سيدي " وزعم الخليل
 أن حبذا بمعنى حب الشيء ، ولكن إذا وحب بمعنى كلمة واحدة نحو
 (لولا) وهو اسم مرفوع ، كما تقول بها ابن عم ، فالعم مجرور، ألا
 ترى أنك تقول للموئذ حبذا ولا تقول حبة ، لأنه صار مع حب على
 ما ذكرت لك وصار المذكر هو اللازم ، لأنه كالمثل^(٢) " .

وفي ذلك يقول جريس غير مفرق بين مذكر أو مؤنث ولا بين
 ملرد أو تشنية أو جمع :

(١) اللسان مادة حب .

(٢) الكتاب ج١ ص ٣٠٢ .

يَا حَبْدَا جِبِلَّ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ * * * وَحَبْدَا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَتْ
وَحَبْدَا نَفَحَاتُ مِنْ يَمَانِيَّةٍ * * * تَاتِيكَ مِنْ قِبَلِ الرِّيَّانِ أَحْيَانًا^(١)

وليس ذلك أيضا تقول كنزة :

آلَا حَبْدَا أَهْلُ الْعَلَا ، غَيْرَ أَنَّهُ * * * إِذَا ذُكِرْتُ مَنْ فَلَا حَبْدَا هِيَا^(٢)

فهذا معداق لقول سيبويه ان (ذا) تستعمل للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع ، إِلَّا أَنَّ قَوْلَ سِيبَوِيهٍ فِي حَبْدَا غَيْرُ وَاضِحٍ ، هَلْ يَعْنِيهَا كَلِمَةً وَاحِدَةً أَوْ كَلِمَتَيْنِ وَهَلْ (ذا) هِيَ الَّتِي يَقْصِدُهَا عِنْدَمَا قَالَ " وَهُوَ اسْمٌ مَرْفُوعٌ " ؟ أَوْ أَنَّهُ يَقْصِدُ (حَبْدَا) كُلَّهَا . إِنَّمَا يَقْرَأُنَا لِذَلِكَ النَّمْزَ نَمِيلُ إِلَى أَنَّهُ يَقْصِدُ أَنَّ (حَبْدَا) كُلَّهَا بِمَنْزِلَةِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهُوَ يَقْصِدُهَا أَيْضًا عِنْدَمَا قَالَ " وَهُوَ اسْمٌ مَرْفُوعٌ " ثُمَّ إِنَّهُ يَقُولُ " وَزَعَمَ الْخَلِيلُ أَنَّ (حَبْدَا) بِمَعْنَى حُبِّ الشَّيْءِ (أَيْ أَنَّهُمَا كَلِمَتَانِ) وَلَكِنْ .. " فَاسْتَعْمَلَ سِيبَوِيهٍ الْحَرْفَ (الْكَـ) لِيَسْتَدْرِكَ ، أَوْ لِيَجْمَعَ زَعَمَ الْخَلِيلِ ، فَقَدْ أَكْمَلَ بَعْدَ ذَلِكَ قَائِلًا .. وَلَكِنْ ذَا وَحِبُّ بِمَنْزِلَةِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ " .^(٣)

وبذلك نجد تمازجا مع ما فهمناه من ذلك النعم وبين ما

(١) شرح ديوان جرير ص ٥٩٦ .

(٢) قائلته كنزة أم شملة المستقرى في مية صاحبة ذي الرملة .
ديوان الحماسة لأبي تمام ج ٢ ص ٢٤٩ تحقيق محمد عبد
المنعم .

(٣) الكتاب ج ٢ ص ٣٠٢ .

أورده ابن عقيل في شرحه على الفقيه ابن مالك عندما قال :

" واختلف في إعرابها - أي إعراب هذا - فذهب أبو علي
الفارسي في البغداديات وابن برهان وابن خروف - وزعم - أنسنسه
مذهب سيهويه ، وأنَّ مَنْ نَقَلَ عَنْهُ غَيْرَهُ فَقَدْ أَخْطَأَ عَلَيْهِ واختاره
المصنف إلى أن (حب) فعل ماضٍ و (أد) . فاعله ، وأما المخصوص
فجوز أن يكون مبتدأ والجملة قبله خبره ، وجوز أن يكون خبراً
لمبتدأ محذوف وتقديره (هو زيد) أي الممدوح أو المذموم زيد ،
واختاره المصنف " (١)

(٢)

وعلى أية حال فللنحاة في إعراب مثل (هذا زيد) وجوه :

- ١ - حب فعل ودا فاعل والجملة الفعلية في محل رفع خبر مقدم (الزيد)
الذي هو مبتدأ .
- ٢ - حب فعل ودا فاعل والجملة الفعلية في محل رفع خبر، وزيد
خبر لمبتدأ محذوف أي (هو زيد) .
- ٣ - (هذا) اسم وهو مبتدأ و (زيد) خبر .
- ٤ - (هذا) اسم وهو خبر مقدم و (زيد) مبتدأ مؤخر .
- ٥ - (هذا) كلُّها فعلٌ وزيد فاعل. وهذا أفعال الوجوه .
- ٦ - حب فعل ودا فاعل وزيد بدل منها .

(١) شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٠ .

(٢) انظر معجم الهوامع ج٢ ص ٨٨ الكتاب ج١ ص ٣٠٢ ، شرح التمرج

ج٢ ص ١٠٠ ، المفتي ص ٧٢٥ ، شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٧٠ .

٧ - حب فعل إذا فاعل وزيد انطق ببيان .

والذي نظنه صحيحاً ما آره سيبويه أو ما فهمناه من نفس سيبويه أنها كلمة واحدة ، وهي اسم في محل رفع بالابتداء ، والذي يقوى هذا الظن :

١ - أن الكلمتين (حب إذا) جاتا متعلقتين في الكتابة وكسبان في الإمكان أن يفصل بينهما هكذا حب إذا .

٢ - أن هذا التعليل يتوافق مع كون الفعل (حب) غير متصرف في هذا الموضع ليس غير ، ومع كون (إذا) لا يتغير بتغير ما بعده تانيثاً أو تشنيئاً أو جمعاً .

واختلف في النكرة الواقعة بعد المخصوص بالمدح ، فقليل إنها تمييز ، وقليل إنها حال ، على أن هناك من النحاة من وضع تعريفاً ضابطاً لكل من الإعرابين ، فإن كانت النكرة مشتقة فهي حال نحو (حبذا زيدٌ ركباً) ، وإن كانت جامدة فهي تمييز نحو (حبذا الصبرُ شيمَةً) وهي في هذه الحالة تقبل دخول (من) عليها فنقول (حبذا الصبرُ من شيمَةٍ) ^(١) .

ولقد وردت المادة (حبب) في القرآن الكريم معاملة فـ في أشكال متعددة :

١ - حبب : وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ
٢ / الحجرات

(١) جمع الهوامع ج٢ ص ٨٨ و ٨٩ .

(٢) الجمع ج٢ ص ٨٩ .

- ٢ - أَحَبَبْتُ : إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبَبْتَ .
٥٦ / القصص
- ٣ - أَحَبَّ : قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا آتَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِيلِينَ
٧٦ / الأنعام
- ٤ - يَحِبُّ : إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ١٩٠ / البقرة
- ٥ - يُحِبُّكُمْ : قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
٣١ / آل عمران
- ٦ - اسْتَحِبُوا : لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَأَخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحْبَبْتُمْ
الكفرَ على الإيمان ٢٣ / التوبة
- ٧ - يَسْتَحِبُّونَ: الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ .
٣ / إبراهيم
- ٨ - يَحِبُّ : وَمَنْ الشَّاسُ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ
كحُبِّ اللَّهِ . ١٦٥ / البقرة
- ٩ - أَحَبَّ : قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ ٢٤ / التوبة
- ١٠ - أَحِبَّاءُهُ، وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ
١٨ / المائدة
- ١١ - مَحَبَّةٌ : وَالْقِيَتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنْهُ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي .
٢٩ طه
- ١٢ - حَبَّ : إِنْ كَانَ اللَّهُ فَالِقَ الْهَبِّ وَالنَّوَى .
٩٥ / الأنعام

١٣ ... حبة : مَثَلُ الَّذِينَ يُبْذِرُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أُتْبِتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ .

القرآن إذا لم يستعمل حبدا ، فإذا أضفنا إلى ذلك نتيجة
بحثنا في التعليقات السبع ^(١) وعرفنا أن أصحاب التعليقات لم يستعملوا
(حبدا) استطعنا القول بأن حبدا ولا حبدا لم يستعملوا حتى العصر
الإسلامي مروراً بالعصر الجاهلي ، أو على الأقل كان استعمالهم
نادرا ، وربما كانت هناك نصوص لم نقرأها استعملت فيها حبدا
أو لا حبدا . ونستطيع القول أيضا بأن كلاً من الفعل يُعَمّ والفعل
يُفَسِّحُ أقدم في الاستعمال من حبدا ولا حبدا

يبقى بعد ذلك من أساليب المدح والذم التي تُستعمل فيها
الأفعال غير المتصرفة أسلوبان : الأول بناء الفعل الماضي على
فعل الثاني كلمة ساء .

(١) شرح التعليقات السبع للزوزي صبيح سنة ١٩٦٨ وشرح القماء
السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري تحقيق الأستاذ عيسد
السلام هارون . دار المعارف سنة ١٩٨٠ .

١ - فَعَّلَ

فاما الأول وهو بناء الماضي على فَعَّلَ فنلاحظ أن الفعل الماضي لا يجرأ أبداً على هذه الصورة ويكون متصرفاً إلا للدلالة على فريضة أو طبيعة أو ما أشبه ذلك نحو جَدَرَ فلان بالأمر وخطَرَ قَدْرُهُ^(١) . وهناك صيغتان أخريان له : الأولى فَعَّلَ بفتح العين كَفَرَبَ والثانية فَعَّلَ بكسرها كَشَرَبَ ، غير أن هاتين الصيغتين إذا حولتا إلى (فَعَّلَ) بفهم العين كانتا للمدح أو الذم نحو " قَضَوُ الرجل وَعَلِمَ ... بفهم الضاد واللام - بمعنى ما أقضاه وما أعلمته^(٢) " ويبدو أن هذا البناء هو الذي جعل الفعل غير متصرف إذا رتبه في صيغته الأصلية يتصرف ، فالفعلان (كبر) و(حسن) مثلاً متصرفان ولكنهما إذا بنيما على صيغة (فَعَّلَ) منعاً من التصرف وخمما معنوياً للمدح أو السدوم ، فمن ذلك قوله تعالى " نِعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مَرْثَلَا^(٣) " و " كَبُرَتْ كلمةٌ تخرجُ من أفواههم " .^(٤)

ومن الناحية من الحق هذه الصيغة بنعم وبش كصاحب الالفبسة حيث يقول :

وَأَجْمَلُ كِبَشَسَ سَاءَ وَأَجْمَلُ لَعُسْلَا * * * من ذي ثلاثة كِنَعَمَ مُجْجَلَا^(٥)

(١) شرح الكافية ج٢ ص ٣٠٨ وانظر أيضا تكملة في تصريف الأفعال حررها الشيخ محيي الدين بعد تحقيقه شرح ابن عقيل ج٢ ص ٥٩٩ .

(٢) شرح ابن عقيل ج٢ ص ٥٥٩ (تكملة الشيخ محيي الدين) .

(٣) الكهف آية ٣١ .

(٤) الكهف آية ٥ .

(٥) شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٦٨ .

وَتَبِعَهُ فِي ذَلِكَ شَارِحُ الْأَلْفِيدَةِ ابْنُ عَقِيلٍ فِي قَوْلِهِ " وَأَشَارَ
بِقَوْلِهِ " وَاجْعَلْ لَعْلًا " إِلَى أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ ثَلَاثِيٍّ يَجُوزُ أَنْ يُبْنَى مِنْهُ
فِعْلٌ عَلَى فَعْلٍ بِقَمَدِ الْمَدْحِ أَوْ الدَّمِ ^(١) .

وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا فِي أَسْلُوبِ التَّعَجُّبِ كَصَاحِبِ شَرْحِ التَّمْرِيحِ عَلَى
التَّوْضِيحِ حَيْثُ يَقُولُ " وَزَادَ بَعْضُهُمْ فِي التَّعَجُّبِ صِيغَةً ثَالِثَةً وَهِيَ
فَعْلٌ بِضَمِّ الْعَيْنِ نَحْوَ " كَثُرَتْ كَلِمَةٌ " ^(٢) ، وَكَذَلِكَ ابْنُ جَنَى السِّدِّي
عَدَّ هَذِهِ الصِّيغَةَ (فَعْلًا) مِنَ الْأَصْلِ لَصِيغَةِ التَّعَجُّبِ (مَا أَفْعَلَهُ) يَقُولُ :

" وَكَذَلِكَ نَعْتَقِدُ نَحْنُ أَيْضًا فِي الْفِعْلِ الْمَبْنِيِّ مِنْهُ فِعْلُ التَّعَجُّبِ
أَنَّهُ قَدْ نَقِلَ مِنْ فَعْلٍ وَفِعْلٍ إِلَى فَعْلٍ ، حَتَّى صَارَتْ لَهُ صِفَةُ التَّمَكُّنِ
وَالْتَقَدُّمِ ، ثُمَّ رُمِيَ مِنْهُ الْفِعْلُ ، فَعَقِيلَ (مَا أَفْعَلَهُ) نَحْوَ (مَا أَشْعَرَهُ) ،
إِنَّمَا هُوَ مِنْ شَعَرَ ، قَدْ حَكَاهَا أَيْضًا أَبُو زَيْدٍ ، وَكَذَلِكَ مَا أَقْتَلَسَهُ
وَمَا أَكْفَرَهُ هُوَ مِنْدَنَا مِنْ قَتَلٍ وَكُفِّرَ تَقْدِيرًا ، وَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ فِي
اللُّغَةِ اسْتِعْمَالًا ^(٣) .

وَقَدْ نَقَلَ شَارِحُ الْكَافِيَةِ هَذَا الْمَعْنَى عَنْ ابْنِ جَنَى بِنَحْوِ أَخْسَرِ
وَبَضِيفٍ إِلَيْهِ تَعْلِيلًا حَسَنًا حَيْثُ يَقُولُ :

" قِيلَ لَا يُبْنَى فِعْلُ التَّعَجُّبِ إِلَّا مِنْ (فَعْلٍ) مَضْمُونِ الْعَيْنِ فَسَيُ
أَصْلُ الْوَضْعِ أَوْ مِنَ الْمَنْقُولِ إِلَى (فَعْلٍ) إِذَا كَانَ مِنْ غَيْرِهِ نَحْوَ (مَا

(١) السابق ج٢ ص ٢٦٨ .

(٢) شرح التمرح ج٢ ص ٨٩ والاية هي الخامسة من سورة الكهف .

(٣) الخصائص ج٢ ص ٢٢٥ .

أضرب) و (ما أَقْتَلَ) ليدلّ بذلك على أن المتعجب منه صـسـار، كالغريزة ، لأن بابَ فعلٍ موضوعٌ لهذا المعنى " (١) .

وإذا أمعنا النظر في المسألة وجدنا ألا فرق بين جعلها للمدح أو للذم وبين جعلها للتعجب ، إذ إنها تغيد المدح والتعجب منه في آن واحد أو تغيد الذم والتعجب منه في الوقت نفسه ، للمبالغة فيه .

وما بعد (فعل) ينصب على التمييز ، وهناك من يرفعه على الضاعلية. يدلّ على ذلك ما أورده الطبري في الآية الكريمة " كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ " (٢) قال (كلمة) تنصب على البيان ، أي كَبُرَتْ تلك الكلمة كلمة ، ولقرا الحسن ومجاهد ويحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق (كلمة) بالرفع ، أي عظمت كلمة ، يعني قولهم (اتخذ الله ولدا) ، وعلى هذه القراءة فلا حاجة إلى إضمار .

وهو في هذا تابع القول الفراء " (وقوله) كبرت كلمة تخرج من أفواههم) نصبها أصحاب عبد الله ورفعها الحسن وبعض أهل المدينة ، فمن نصب أضمر في (كبرت) ؛ كبرت تلك الكلمة كلمة ، ومن رفع لم يضر شيئا ، كما تقول عظم قولك وكبر كلامك " . (٣)

(١) شرح الكافية ج ٢ ص ٢٠٨ .

(٢) الكهف / ٥٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للطبري ج ١٠ ص ٢٠٢ . دار الكتب بمصر ١٩٤٠ م .

(٤) معاني القرآن لأبي زكريا الفراء ج ٢ ص ١٢٤ . تحقيق الأستاذ محمد علي النجار . الدار المصرية للتأليف والترجمة دون تاريخ .

وأما الشانى فهو استعمالُ ساءَ كفعلي ما في غير متصل صرف
كاسلوب للذم، إذ إنه في غير هذا الأسلوب تصرف . فتقول " سَاءَ
يَسْوَءُ سَوْءًا وَسَوْءًا وَسَوْءًا سَوَآءٌ " . واستاء فلان في الصنيع . ويقال
عندي ساءه وناءه ويسوءه ويُسْوُهُ وأساءت الظن ^(١) .

ولقد استعمل القرآن الكريم كثيرًا من اشتغاقات هـ هذه
المادة قال تعالى :

- " إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا " ^(٢) .
و " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا مِنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلُكُمْ
تَسْؤُكُمْ " ^(٣) .
و " وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيسًا بِهِمْ وَهَاقَ بِهِمْ ذُرْمًا ^(٤) .
و " فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهْمُ سَوْءٌ " ^(٥) .
و " ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْىَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ^(٦) .
و " كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا " ^(٧) .

(١) اللسان مادة سوء .

(٢) الاسراء - ٧ .

(٣) المائدة - ١٠١ .

(٤) العنكبوت - ٢٣ .

(٥) آل عمران - ١٧٤ .

(٦) الروم - ١٠ .

(٧) الاسراء - ٢٨ .

" وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ " ^(١) .

واستعمل أيضا (سأ) غير المتصرف كثيرا :

قال تعالى :

و " مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ " ^(٢) .

و " قَصَدُوا عَنْ سَبِيلِهِ ، وَانْهَم سَاءٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " ^(٣) .

و " وَلَا تَقْرَبُوا الرِّسَى إِنَّهُ كَانَ فِاعِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا " ^(٤) .

و " وَامْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا نَسَاءً مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ " ^(٥) .

وساء هذه التي لا تتصرف إلا في أسلوب الـدم تشبیه في الاستعمال الفعل المنفي (لا يكون) فهو متصرف في كل أحواله ، إلا أنسأه إذا استعمل للاستثناء ظل باقيا على صورة المضارع المنفي بسلا ، لا يبتغير .

وقد نص كثير من المفسرين والمعربين على عدم تصرفها ، يقول العكبري في الآية " وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَمَسَاءُ قَرِينًا " ^(٦) أي فساء هو ، والضمير مائد على قس أو علسي

(١) فاطر - ٤٣ .

(٢) المائدة - ٦٦ .

(٣) التوبة - ٩ .

(٤) الإسراء - ٣٢ .

(٥) الشعراء - ١٧٣ .

(٦) النساء - ٢٨ .

الشيطان ، و(قربنا) تمييز . وساء هنا منقولة إلى باب (نعم) وبئس (ففاعلها) المخصوص بعدها بالذم مثل فاعل بئس ومخصوصها ، والتقدير فساء الشيطان ^(١) .

ويقول أبو عبيدة في الآية نفسها " فساء قربنا ، أي فساء الشيطان قربنا ، على هذا نصح ^(٢) " .

وقال الطبري " وإنما نصبَ القربين لأن في (ساء) ذكرًا للشيطان كما قال جل ثناؤه " بئسَ للظَّالِمِينَ بَدَلًا " وكذلك تفعل العرب في (ساء) ونظائرها ^(٣) " .

وقد ذكر محققا التفسير أنّ أبا جعفر لم يبين معناها ، ولم يذكر أنّ أصحاب العربية يعدونها فعلا (جامدا) ^(٤) يجري مجرى نعم وبئس ، وإن كان تفسيره قد تضمن ذلك ^(٥) .

على أنّ القُرْطُبِيَّ قد ساوى ساء بئس صراحة في تفسيره للآية الكريمة عندما قال : " فساء قربنا أي فبئس الشيطان قربنا ، وهو نصب على التمييز ^(٦) " .

(١) إملأ ما مَن به الرحمن على هامش شرح الجمل على الجلالين ج ٢ ص ٢٥٥ .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة تحقيق فؤاد سركيس الخانجي ١٩٥٤ .

(٣) الكهف - ٥٢ .

(٤) جامع البيان من تأويل آي القرآن للطبري ج ٨ ص ٢٥٨ تحقيق محمد شاكر واحمد شاكر - دار المعارف دون تاريخ .

(٥) الأنسب أن يُقال غير متصرف كما بينا في بداية البحث .

(٦) السابق ج ٨ ص ١٢٨ و ١٢٩ (هامش) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ج ٥ ص ١٩٤ دار الكتب ١٩٣٧ .

ولم يَجِءْ في لسان العرب ولا في القاموس المحيط ذكرٌ للفعل
(سأ) غير متصرفٍ ، فقد تناول القاموسان سأ وتصرفهما
واستعمالاتها وشاهد هذه الاستعمالات ولكنهما أهفلا (سأ) فعلاً
غير متصرفٍ .

ونرى أن (سأ) في هذه الآية وما شابهها من آياتٍ أخسر
وأسالينها غير متصرفٍ فلم يرد مثلاً فسوء ما ... ، بل إنَّ الأسلوبَ
مقصودٌ على الماضي (سأ) ، ويدلُّ على ذلك أيضاً شُءٌ أخسر
واضحٌ وبسيّرٌ وهو اقترانها بالفاء عندما تقع جواباً للشرط كما
في الآية الكريمة التي نحن بمدها " ومن يكن الشيطان له قريناً
فسأ قريناً " ومعروفٌ أن الفاء تقتضي جواب الشرط إن كان فعلاً
ماضيّاً غير متصرفٍ .^(١)

(١) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٣٧٥ .

العمل الشاق

ميتسوبيشي

صيفتا التعجب

تَكَادُ تُجْمَعُ الروياتُ التي اعتمدَ عليها مؤرخو النحو على أَنَّ
ابنةَ أبي الأسود الدؤلي قالت له : ما أحسنُ السماءِ (بضم النون) ،
فقال : أي بنية نجومها . فقالت : إني لم أَرِدْ أيَّ شيءٍ منها
أحسن ، وإنما تعجبت من حسنها ، فقال : إذن فقولى ^(١) ما
أحسنُ السماءِ (بفتح النون) فحينئذٍ وقع كتابا .

وقيل إنَّ ابنةَ أبي الأسود قالت له : يا أبتِ ما أشدَّ الحرَّ
(بضم الدال) ، في يوم شديد الحر ، فقال لها : إذا كانتِ
الصقعا من فوقك ، والرمضاء من تحتك ، فقالت : إنما أردتُ أنَّ الحرَّ
شديدٌ . فقال لها : فقولى إذن ما أشدَّ الحر (بفتح السدال)
والصقعا الشمس ^(٢) .

فإذا عَرَفْنَا أنَّ وفاةَ أبي الأسود كانت سنة تسع وستين من
الهجرة ، أدركنا أنَّ أسلوبَي التعجب أسلوبان قديمان ، وأنهما
كانا محلَّ دراسة القدماء منذ نشأة النحو ووضع قواعدِهِ .

وللتعجب صيغتان : ما أَلْعَلَّهُ وَأَلْعَلَّ بِهِ ، وهاتان الصيغتان
هما المشهورتان اللتان يأتى ذكرهما في باب التعجب في كتب النحو ،
غير أنَّ هناك صيغاً أخرى سماعيةً وقلياسيةً ، فمن الأولى (لَلَّذَرَّةِ فارساً)
والثانية (لَلَّذَرَّةِ فارساً) .

(١) أنباء الرواة على أنباء النحاة للوزير جمال الدين القلطي
تحقيق محمد أبي الطفل إبراهيم ج١ ص ١٥ دار الكتب المصرية
سنة ١٩٥٠ م ونزلة الألباء ص ١٢ .

(٢) أنباء الرواة ج١ ص ١٥ .

و (سبحانَ الله) و (الله أنتَ) و (بالله) و (لله) ، وقوله تعالى
 " كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ " ^(١) . وقوله تعالى : " عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ " ^(٢) وقوله
 تعالى : " الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ " ^(٣) . وأنشد سيوطي :

لِلَّهِ يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ ذُو حَيْسٍ ۖ يَمْشِي بِهَ الظِّيَّانُ وَالْأَسَى ^(٤)

ونجد معنى التعجب موجوداً في قولنا " جلَّ اللهُ وعزَّ اللهُ
 على معنى ما أجل الله وما أعزّه ، لا على الخبر بأنه صار خليلاً
 ولا بأنه صار عزيزاً ، وهكذا عظم شأنك ، وعلت منزلتك ، إذا لم ترد
 الخبر " ^(٥) .

والثانية بناءً الثلاثي على (فعل) بفهم العين للمدح أو السدح
 وفي الوقت نفسه للتعجب ^(٦) ومن ذلك قولُ الله سبحانه وتعالى
 " كَبُرَتْ كَلِمَةً ... " ^(٧) " وَكَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مِثْلَ
 تَفْعَلُونَ " ^(٨) .

(١) البقرة آية ٢٨ .

(٢) النبا آية ١ .

(٣) الحاقة آية ٢ .

(٤) الكتاب ج ٢ ص ١٤٤ .

(٥) الأشباه والتباين للسيوطي ج ٢ ص ١٤٤ ط حيدر آباد سنة ١٣٥٩ هـ .

(٦) انظر مثلاً شرح ابن عقيل ج ١ ص ١٦٨ وفتح الهوامع ج ٢ ص ٩٢
 وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ج ٢ ص ٨٤ و ٨٤ .

(٧) الكهف آية ٥ .

(٨) المائدة آية ٢ وقد بينا وزن (فعل) في الفصل السابق .

وأجار الكوفيون استعمال (أفعل) دون (ما) فيقولون
(أعنت رجلاً) و (أكرمت رجلاً) بمعنى (ما أحسك) و (ما أكرمك) .^(١)

وللنحاة رأى حسن في تعريف التعجب من الماحية النفسية ،
فهم يَرَوْنَ " أن التعجب استعظامٌ زيادةً في وصف الفاعل ، نفسي
سببها وخرج بها المتعجب منه عن نظائره أو قُلْ نظيره " .^(٢)

فإذا قلنا " ما أجمل السماء " كان قولنا تعجباً من الفاعل
الذي جعل السماء على هذه الصورة من الجمال .

ويرى بعضهم بأنه انفعال يحدث في النفس عند الشعور بأمر
خفى سببه ، ولذا يقال إذا ظهر السبب بطل التعجب .^(٣)

ويترتب على ذلك شيكان :

الأول خفاء أمر الفاعل بالنسبة للمتعجب (بكسر الجيم)
فكيف تفسر - على ذلك - قوله سبحانه وتعالى : " فما أمبرهُمُ
على النارِ " .^(٤)

يقول النحاة في الرد على ذلك " ولا يُطلق على الله أنـه
متعجب ، إذ لا يخفى عليه شيء . وما وقع معاً ظاهره ذلك فليس
القرآن لمصروف إلى المخاطب أي أن حالهم في ذلك اليوم ينبغي لك
أبها المخاطب أن تتعجب منها " .^(٥)

(١) شرح التصريح على التوضيح ج٢ ص ٨٩ .

(٢) شرح التصريح على التوضيح ج٢ ص ٨٦ .

(٣) السابق ج٢ ص ٨٦ .

(٤) المقرة آية ١٧٥ .

(٥) شرح التصريح ج٢ ص ٨٧ .

الثاني : أن هناك فاعلا جعل الله عظيما في قولنا (مسا
اعظم الله) أي " شيء عظيم جعله عظيما ، وهذا لا يليق بمقام
الله سبحانه وتعالى ، وقد ردّ ابن الأنباري على ذلك بقوله " معنى
قولهم شيء أعظم الله أي وصفه بالعظمة ، كما يقول الرجل : إذا
سمع الأذان : كبرت كبيرا وعظمت تعظيما ، أي وصفته بالكبرياء
والعظمة لاصيرته كبيرا عظيما " (١) .

وكعادة البصريين والكوفيين لابد أن يختلفوا في الصيغة
الأولى من التعجب (ما أفعله) هل هي اسم أو فعل ؟

ولقد ذهب الكوفيون إلى أن (ما أفعله) اسم بدليل :

١ - أنه لا يتصرف ولو كان فعلا لوجب أن يتصرف لأن التصرف من
خصائص الأفعال .

٢ - أنه يدخله التعمير قال الشاعر :

يأما أميلح غزلنا شدة لنا ^(٢) من هاو لياشكن الخال والسمير

٣ - أن عينه تصح في نحو " ما أقوم وما أبيع " كما
تصح العين في الاسم في " هذا اقوم منك وأبيع منك " .

ولو أنه فعل لوجب أن تَعْلَمَ عينه بقلبها ألها كما قلبت
من الفعل في نحو قام وباع .

(١) الإنصاف ج١ ص ٩٤ .

(٢) ينسب هذا البيت إلى العرجي أو لكامل المنتفضي ، وهو مسنن
شواهد المغنى ص ٨٩٤ ، ومن شواهد السيوطي في شرحه على
شواهد المغنى ص ٣٢٤ وفي شرح المفصل ج٥ ص ١٣ وفي خزانة
الأدب ج١ ص ٤٥ وفي الإنصاف ج١ ص ٨١ .

وأورد البصريون دلائل تعليلته وهي :

١ - دخول نون الوقاية عليه إذا وصل بياء الضمير نحو ما
أحسننى عندك .

٢ - أنه ينصب المعارف والنكرات ، وأفعل إذا كان اسماً
لا ينصب إلا النكرات خاصة على التمييز نحو قولك (زيد أكبر
منك سناً) ولو قلت (زيد أكبر منك السن) لم يَجُزْ ، ولما
جار ما أكبر السن له دل على أنه فعل .

٣ - أنه مفتوح الآخر ولولا أنه فعل ما لم يكن لهناؤه على
الفتح وجه ، إذ لو كان اسماً لارتفع لكونه خبراً لـ (ما)
على كلا المذهبين ^(١) .

وتستطيع أن تقرأ في الإنصاف أدلة أخرى كثيرة كما
تستطيع أن تقرأ معارضة لكل دليل من هذه الأدلة .

والذي يدعو إلى العجب أن النحاة الذين أوردوا هذه الدلائل
على اسمية (ما أفعله) أو فعليتها هم أنفسهم الذين عللوا عدم
التصرف في (ما أفعله وأفعل به) لكونه - أي لكون التعجب -
غير محتاج إلى التصديق للزومه طريقة واحدة ^(٢) .

وعلى ذلك فإن أسلوب التعجب له صيغة خاصة لا هي بالفعل ولا هي
بالاسم ، بل إنها جمعت من خصائص الاثنين ، وتركت أيضاً خصائص
هي من خصائص الاثنين .

(١) الإنصاف ج١ ص ٨١ وما بعدها بتصرف .

(٢) جمع الهوامع ج٢ ص ٩٠ .

والدكتور تمام حسان كان على حق حينما قدّ هذا الأسلوب وما شابهه من أساليب تسمياً خاصاً من أقسام الكلام اسمياً (١)
(٢)
(الخاتمة) .

وبغض النظر عن هذا الاصطلاح (الخاتمة) فإن ما أفعله وأفعل به لا يدخلان تحت جنس الاسم ولا تحت جنس الفعل ، بل هما - كما قلنا - يجمعان خصائص من خصائص الاثنين ، ويتركان أيضاً خصائص من خصائص الاثنين ، فاستخلصنا أن يكونا قسماً منفرداً بنفسه من أقسام الكلام .

وإذا كان النحاة قد اختلفوا في اسمية ما أفعله أو فعليته ، فإنهم قد " أجمعوا على فعلية أفعل به ، لأنه على صيغة لا تكون إلا للفعل ، ولفظه الأمر ومعناه الخير " (٣) .

إلا أنهم لابد أن يصلوا إلى أمل أفعل به ، فيروّون أن أصله فعلٌ ماضي صيغته على صيغة أفعِل بفتح العين وهمزته للصيغة ضرورة بمعنى صار ذا كذا ، فأصل (أحسن بريد) أحسن زيدٌ ، أي صار ذا حسن ... ثم غيرت الصيغة الماضية إلى الصيغة الأمرية ، فعار أحسن

(١) مثل أسلوب المدح والذم .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ص ١١٣ - ١١١ . الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣ وانظر أيضاً أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة للدكتور فاضل مصطفى السائق ص ٢٥٣ - ٢٥٥ ط . الخانجي بمصر ١٩٧٧ فقد أورد في هذه الصفحات معبراً الخوانف التي تبرر إفرادها بقسم خاص من أقسام الكلام .

(٣) شرح التصريح ٢٤ ص ٨٨ .

زيد بالرفع ، فليصح إسناد لفظ صيغة الأمر إلى الاسم الظاهر ،
لأن صيغة الأمر لا ترفع الاسم الظاهر ، فزيدت الباء
في الفاعل ليصير على صورة المفعول به المجرور بالباء
كما سرر يزيد ، ولذلك القبح التزم زيادتها مونا للفظ عن
الاستفاح ، بخلاف زيادة الباء في فاعل الفعل الماضي نحو (كفى
بأله شهيدا) فيجوز تركها ^(١) .

وهذا كله من تمورات النحويين التي لا علاقة لها بالواقع
اللغوي ، فالعربي عندما نطق بأسلوب التعجب (أحيى يزيد) أو
عندما قرأ الآية الكريمة (أسمع بهم وأبصر) ^(٢) لم يكن يسدري
أن أمه كذا ثم تحول إلى كذا ثم زيدت الباء حتى لا يكون المرفوع
بكلمة (أفعل) اسما ظاهرا ...

ولعل في هذا تذكيرا بالنحو التحويلي الذي يفترض بنسبة
أساسية يُرجع إليها لكل تعبير تنطق به أو تسمعه ^(٣) .

أما عدم التصرف في أسلوب التعجب فقد أبدينا منذ قليل
تأييدنا لتعليل النحاة " لكونه غير محتاج إلى التصرف للزوم
طريقة واحدة ، إذ معنى التعجب لا يختلف باختلاف الأرمنة " ^(٤) .

(١) يقصد أنها ترفع المضمّر نحو اكتب ، والراء ، والفاعل ليس
كليهما ضمير مستتر وجوبا تقديره أنت .

(٢) شرح التصريح ج ٢ ص ٨ .

(٣) آية ٢٥ من سورة مريم .

(٤) انظر كتابنا " في علم اللغة التقابلي ، دراسة تطبيقية " ص ٢٧ وما بعدها دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٤ .

(٥) الهمع ج ٢ ص ٩٠ .

على أن هناك تعليلاً آخر مقبولاً لعدم التصرف فقد قالوا
 "إنهم كما لم يفعلوا للتعجب حرفاً يدل عليه جئوا له صيغة"
 لا تختلف ^(١) .

ويقول الشيخ خالد في هذا المعنى "وعلة جمودهم ^(٢) ،
 تغميئتهما معنى حرف التعجب الذي كان يستحق التوضيح ولم يوضح ^(٣) " .

وهو يقدم أن الحرف (على) مثلاً بمعنى الاستعلاء والمصاحبة
 والمجاورة والتعليل ... والحرف (في) بمعنى اللطفية والمصاحبة
 والاستعلاء إلى آخر ما ذكر ابن هشام في المعنى في الجسر
 الأول ^(٤) ولكن ليس هناك حرف يدل على ما يدل عليه أسلوبا : (ما
 أفعل) و (أفعل به) ، لذلك لزما صيغة واحدة لا يتعديانها ،
 كالحرف تماما .

وقد تكلمنا من ليس وعسى عن حيث عدم تصرفيهما ، إلا أنهما
 يفتقران من أسلوب التعجب في بعض نقاط أوردها صاحب الإنصاف في
 مجال آخر . هذه النقاط هي :

أولا : أن (ليس) و (عسى) يرلغان الظاهر والمضمــــر ،
 و (أفعل) في التعجب إنما يرفع المضمــــر دون الشاهر .

ثانيا : أن (ليس) و (عسى) وملا بفماثر المتكلمين

(١) الإنصاف ج١ ص ٨٧ .

(٢) يقدم عدم تصرفيهما .

(٣) شرح التصريح ج٢ ص ٨٨ .

(٤) انظر معنى اللبيب حرف (في) ص ٢٢٣ ، حرف على ص ١٨٩ .

والمخاطبيين والمخاطبين مثل لست ولستم وليسوا وعسيت وعسيتم وعسوا ، و (أفعل) في التعجب ألزم ضمير الغيبة لا غير .

ثالثا : أن ليس وعسى لا مصدر لهما من لفظهما ، بخلاف (أفعل) في التعجب فإن له مصدرًا من لفظه .

وقد نقلنا هذه النقاط بتصرف عن صاحب الإنصاف ، هي تبدل على نظري شائب في استعمال ليس وعسى من ناحية واستعمال صيغتي التعجب من ناحية أخرى ، بالرغم من ورود هذه النقاط في مجال أقرب إلى السفسطة اللغوية منه إلى الواقع اللغوي ^(١) .

وعدم تصرف ما أفعله وأفعل به له علاقة وثيقة باستعمال (كان) بين (ما) و (أفعل) ، التي قال عنها النحاة إنها زائدة ، وهي زائدة من ناحية الإعراب ، ولكنها ليست زائدة من حيث المعنى ^(٢) ، ذلك أن صيغتي التعجب بعدم تعرفهما ولزومهما صورة واحدة لا يدلان على زمن معين ، أو قل إن الدلالة فيهما على الزمن دلالة باهتة غير واضحة مما أدى إلى اختلاف النحاة فيهما ^(٣) .

(١) هذا المجال هو الرد على الكوفيين في استنادهم إلى أن (ما أفعله) اسم بدليل تمغيرها في بيت الشعر

ياما أميلح غزلاننا ... السابق روايته منذ قليل .

وعندي أن الضرورة الشعرية هي التي ألجأت الشاعر إلى تمغير اسم ملح حتى يستقيم البيت على البحر البسيط (الإنصاف ١ : ٩١)

(٢) قد يبدو هذا غريباً ، لأن المعنى يترشح في الإعراب ، ولا ينفصلان ولكن النحاة يقولون عن (كان) في مثل " مسسا كان أحسن زيدا " كان فعل ماضٍ زائد ، أي أنه يدل على المضى ولكن الزيادة من حيث عدم وجود اسم أو خبر له .

(٣) الهمع ج ٢ ص ٩١ .

فمنهم من يرى أن صيغتي التعجب تدلان على الماضي المتصل بالحوال،
ومنهم من يرى أنهما تدلان على الحال دون الماضي ، ومنهم من
يجمع بين الأزمنة الثلاثة فيرى أنهما يدلان على الحال والماضي
والاستقبال . من أجل هذا استعملوا (كان) وكلمات أخرى لتحديد
الزمن .^(١) فإذا أُريدَ الماضي المنقطع أتى بكان وأمسى ، وإذا أُريدَ
الحال أتى بالان ، وإذا أُريدَ المستقبل أتى سيكون ونحوه
من الظروف المستقبلية كقوله تعالى :

" أَسْمَعْ بِهِمْ وَأُفِضْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا " ^(٢)

لقد وضع النحاة شروطاً للفعل الذي يصاغ على (ما أفعله) أو
(أفعل به) وهي شروط مبنية على استقراء ورود هاتين الصيغتين
في كلام العرب والرجوع إلى الأفعال التي بنيت عليها هاتان
الصيغتان .

فلا بد أن يكون الفعل ثلاثياً متصرفاً تاماً مثبتاً مبنياً
للمعلوم ليس الوصف منه على أفعل ^(٣)

أما كونهما لا يجيشان إلا من الثلاثي ، فهذا وضع من أوضاع
اللغة لا تحليل له إلا بعدم إمكان أن تأتي بصيغتي التعجب من
الرباعي أو الخماسي أو السداسي فلا تقول (ما انطلق أو انطلق
به) لأنَّ كلاً من (ما أفعله) و (أفعل به) إنما يتكون من الفاء

(١) السابق ج٢ ص ٩١ .

(٢) آية ٢٨ من سورة مريم .

(٣) انظر مثلاً شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٥٤ ، وشرح التصريح ج٢ ص ٩١
وإذا العرف ص ٨٠ ، وهي الشروط نفسها لصياغة الفعل على اسم
(أفعل) للتفضيل .

والعين واللام ليس غير ، فلا يجزئ على صيغتهما إلا ما كان ثلاثياً ،
ولا يجوز التعجب هنا إلا بزيادة ، مثل ما أكثر انطلاق زيد .

ولا بدّ أن يكون هذا الثلاثي متصرفاً حتى يتشكل على هاتين
الصيغتين : ما أفعله ، وأفعل به ، إذ لو كان غير متصرف للزم
صورة واحدة لا يتعداها .

وأما كون هذا الثلاثي المتصرف مبنياً للمعلوم فيرجع إلى
سبب دقيق يذكره السيوطي في الأشباه والنظائر عندما يسأل :
كيف تتعجب من قُرب زيد (بضم الصاد) ، فيجيب : ما أكثر ما قُربَ
زيد ، فإذا قيل : ولماذا لم يُتَعَجَّب من المفعول (وهو زيد) بلا
وسادة ، (ويقصد بالوسادة زيادة كلمة أو أكثر) ، كما جاز
التعجب من الفاعل بلا زيادة في مثل قولنا : قام زيد ؟ كان
الجواب : لأن التعجب يكون الفعل فيه لازماً ، فإذا قيل أخرجه إلى
باب التعجب ، جعلنا الفاعل مفعولاً به ، كما تقول قام زيد ،
وما أقوم زيداً . فإذا جئنا إلى ما لم يُسمَّ فاعله لم يجز أن
نتعجب منه حتى نزيد في الكلام ، لأنه لا فاعل فيه ^(١) ، ولا نستطيع
أن نتعجب من المفعول ؛ لأننا بذلك نجعل المفعول قبل التعجب
مفعولاً بعده ^(٢) .

وقد أورد ابن عقيل في شرحه على ألفية ابن مالك تعليلاً
آخر لذلك . يقول : " السابع (أي السابع من هذه الشروط) ألا يكون
مبنياً للمفعول نحو (قُرب زيد) بضم الصاد ، فلا تقول ما أفسدَ قُربَ

(١) في الأشباه والنظائر "لأنه فاعل فيه" والصحيح ما اشتهر
وهو الذي يوافق السياق . والظاهر أن (لا) سقطت سهواً عن
الطبع .

(٢) الأشباه والنظائر ج٢ ص ١٢٨ بتلخيص وتصرف .

زيداً " تريد التعجب من قَرَبِ أَوَّلِجَ بِهِ ، لثلاً يلتبس بالتعجب مـسـن
نـسـب أولـمـه هـو " (١)

" أما قولهم في التعجب من (جَنَّ زيد) (ما أجَنَّهُ) فهو محمولٌ
إلى المعنى لما استجاوزا فيه ما استجازوا فيما حُمِلَ عليه ، ألا تسرى
أنَّ (جَنَّ زيد) فهو مجنونٌ داخلٌ في خير الأوصاف التي لا تـكـسـبـون
أعمالاً وإنما تكونُ خصالاً في الموصوفين بغير اختيار مثل كرم فهو
كرم ولؤم فهو لئيم ، خصال لا يفعلها الموصوف ، فهكذا جَنَّ زيدٌ
فهو مجنون وإنما هي خصلة في الموصوف لا اختيار له فيها " (٢)

أما عدمُ تعجبهم من الأفعال الدالة على الألوان بلا زبادة
فيقول الخليل معللاً لذلك " لم يقولوا ما أحمر زيدا وما أشبهه ؟
لأنه صار عندهم بمنزلة اليد والرجل ، لأنك لا تقول (ما أبيضداه)
ولا (ما أرجله) وخالف باب الثلاثي لهذه العلة " (٣)

وأما عدم ورود هاتين الصيغتين لما لا يقبل المفاضلة مثل
(مات) و(فنى) ونحوهما ، فراجع إلى عدم وجود مزية فيهما
لشيء على شيء " (٤)

لم يثبت إلا النفي، ومن الأمور الواضحة أن الإنسان لا يتعجب
من شيء منفي لم يحدث .

وصيغة (أفعل به) جاءت على صورة الأمر ومقصود بهـــــــــــــــــا

(١) شرح عقيل ج٢ ص ١٥٤ .

(٢) الأشباه والنظائر ج٢ ص ١٤٥ و ١٤٦ .

(٣) السابق ج٢ ص ١٤٠ .

(٤) شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٥٤ .

التمجب . وقد أورد السيوطي في الأشباه والنظائر القاعدة التمسني
تقول :

" الأصل مطابقة المعنى للفظ " وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الْكُوفِيُّونَ : إِنْ
معنى الفعل به في التعجب أمرٌ كلفظه . وأما البصريون فقالوا إِنْ
معناه التعجب لا الأمر . وأجابوا عن القاعدة بأن هذا الأصل قد
ترك في مواضع عديدة ، فليكن متروكاً هنا " .

والتمس ابن النحاس مبرراً لترك هذا الأصل فقال : إِنْ اللفظ
إِذَا احتيج في فهم معناه إلى إعمال فكرٍ كان ابلغ وأكد ممسماً
إِذَا لم يكن كذلك ، لأنَّ النفس حينئذٍ تحتاج في فهم معناه إلى
فكرٍ وتعجب فتكون به أكثرَ كلفاً وضناً مما إِذَا كَمْ تتعجب فليس
تحصيله ، وباب التعجب موضعُ المبالغة فكان في مخالفة المعنى للفظ
من المبالغة ما لا يحصل باتفاقهما ^(١) .

ونكاد نشك في هذه الرواية التي أوردها السيوطي لما نحسب
أبداً ولا نتوقع من الكوفيين أن يكونوا على هذا النمط من التفكير
الذي يجعلهم يَقْرُونَ أَنَّ صِغَةَ (أفعل به) مراد بها الألف
لا التعجب ، لا سيما أَنَّ قاعدة اتفاق المعنى للفظ متروكة في مواضع
بلاغية كثيرة وأن الحامل أو السبب لترك هذه القاعدة لم يأت به
واحد من البصريين ، بل أتى به " بها " الذين بنى النحاس المتوفسي
عام ثمانية وتسعين وستمائة ويعد من نحاة مصر ^(٢) . ثم إننا
نسال هل كان الكسائي والفراء وشعلب وابو بكر الأنباري وغيرهم
من أعلام الكوفة جاهلين أَنَّ هذه القاعدة قد تكسر في أحيان كثيرة
لأسباب بلاغية .

(١) الأشباه والنظائر ج ١ ص ٦٣ و ٦٤ بتصرف وتلخيص .

(٢) بشية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ص ٦ ط الخانجي

سنة ١٣٢٦ هـ .

العمل التاسع

المسائل الاستثنائية

أدوات الاستثناء

سمينا هذا الفصل (أدوات الاستثناء) مع معرفتنا أن كلمة (أدوات) غير دقيقة ، وكان يجب أن نقول (أفعال الاستثناء) أو حروفها ، لكن الشحاة على خلاف في ذلك بالنسبة للكلمة (حاشا) كما سبقين في هذا الفصل ، لذلك آثرنا الإصلاح (أدوات) ، لأنه يستوعب الأفعال والحروف والأسماء أيضا .

والأدوات التي نقتطعها وتدخل في نطاق بحثنا هي —————
 (١) وخلا وحاشا ، وجميعها تستعمل كأفعال للاستثناء ، وهي في هذا الاستعمال — ليس غير — تُعَدُّ أفعالا غير متصرفة ، ولئن نتعرف لقواعد الاستثناء بها تفصيلا ، فهذا ليس موضوع بحثنا ، ولكننا قد نتعرف لهذه القواعد عندما يكون لها صلة باستعمال هذه الأدوات كأفعال غير متصرفة أو كحروف ، على أنه ينبغي أن نقول إن هناك فاعلين آخرين يستعملان للاستثناء ، همسا (ليس) و (لا يكون) وقد ذكرناهما في باب (كان وأخواتها) حيث إن هذا الباب هو الأصل في استعمالهما .

فأما الفعل الأول وهو (عدا) فنجد له اشتقاقا عدة ومعانٍ مختلفة . فالْعَدُوُّ الحُضْرُ ، وَعَدَا الرجلُ والفرس وغيره يَعْدُو عَسَدًا وَعُدُوًّا وَعَدَوَانًا وَتَعَدَا ، ويقال للخيل الصغيرة عادية . قال الله تعالى : " والعاديات ضبحا " (٢) . وَيُعَادِي الصَيْدُ : يُلْحَقُهُ ، وَتَعَادَى القَوْمُ : تَبَارَوْا في العدو . وقد عَدَا فلان قَدَا وعُدُوا وَعَدَوَانَسَا

(١) لا علاقة لبحثنا بغيرها ، مثل إلّا وسوى وغير .

(٢) الآية الأولى من سورة العاديات .

وَعَدَاً ، أي ظلم ظلمًا جاوزَ العُدْرَ . والعادي الظالم ، أصله مِن
تجاوز الحد في الشيء . وَعَدَا الأمر يَعُدُّهُ ، أي تجاوز الحد فيه
قال تعالى " ومن يتعدَّ حدودَ اللَّهِ " (١) ، أي يتجاوزها
وَتَعَادَى ما بينهم ، أي تَبَاعَدَ . قال الأعشى :

وَتَعَادَى عَنْهُ النَّهَارُ فَمَا تَعَدَّ جُودُهُ إِلَّا عَفَاةً أَوْ لُسُوقًا (٢)

والعدوى اسمٌ من أَعْدَى يُعَدِّي فهو مُعَدٍّ ومعنى أَعْدَى جاوز
الجرب الذي به إلى غيره . (٣)

فهذه المعاني والاشتقاقات تدلُّ على أن هذا الفعل متصرفٌ كل
التصرف ، إلا أنه في أسلوب الاستثنا يبقى في حالة الماضي لا
يتجاوزُه إلى زمنٍ آخر أو إلى صيغةٍ أخرى ويكون فاعله في هذه
الحالة مستترًا كقول الشاعر :

تَمَلُّ النَّدَامَى مَا عَدَانِي فَيَأْتِنِي * بَكْلٌ الَّذِي يَهْوِي نَدِيمًا مَوْلَعٌ (٤)

فـ (عدا) هنا ملازمةً لزمن الماضي لا تتجاوزُه إلى زمنٍ
المضارع أو إلى صيغةٍ أخرى كاسم الفاعل مثلاً :

(١) الآية الأولى من سورة الطلاق .

(٢) القصيدة الثانية والثلاثون . تحقيق المرحوم الدكتور محمَّد
حسين وأول البيت في الديوان : ما تعادى عنه

(٣) كل هذه المعاني والاشتقاقات نقلناها من لسان العرب مادة
عدا ج ١٩ ص ٢٥٧ ومن القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٦٢ .

(٤) من شواهد الأشموني على الألفية رقم ٤٦٣ .

ولكن ما العلاقة بين ما تدل عليه (عدا) في أسلوب الاستثناء وما تدل عليه من المعاني التي أوردناها منذ قليل ؟ الجواب بسيط واضح ، فهذه المعاني كلها إنما تدلُّ على البعد أو المجاوزة . والاستثناء باستعمال (عدا) يدلُّ على هذا المعنى بعينه . فإذا قلت : قام القومُ ما عدا زيداً ، فكانك قلت : قام القومُ مجاوزين زيدا ، أو بعيدين عن زيد . وقد لفتن النحاة إلى ذلك عندما أولوا (ما) مع الفعل بعدها (عدا) فقالوا : " إن موضع الموصول مع علته نصب : إما على الظرفية على حذف مضاف ، أو على الحالية على التأويل باسم الفاعل فمعنى قاموا ما عدا زيدا : قاموا وقت مجاوزتهم زيدا ، أو مجاوزين زيدا " ^(١) .

وما قلناه في (عدا) نقوله في (خلا) من حيث إنّه غير متصرف في أسلوب الاستثناء ليس غير ، وإنَّ معانيه المختلفة لها اتصالٌ بمعنى الاستثناء . فقد جاء في اللسان ^(٢) : " خلا المكان خلوا وخلأ ، وأخلى إذا لم يكن فيه أحدٌ ولا شيء فيه . وخلأ لك الشيء وأخلى بمعنى فرغ . وفي المثل : وَبَلِّغْ لِلْخَلَى مِنَ الشَّجَى . فالخلى الذي لا همَّ له ، الفارغ . وتخلَّى عن الأمر : تركه ، وامسحاً خلى ، أي لا زوج لها . وخلأ الشيء خلوا أي مضى ، ومنه قولُــه تعالى : " وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ " ^(٣) أي مضى ، والقسرون الخالية أي الماهية " .

(١) من كلام الشيخ محمد محيي الدين عند تعليقه على شرح الأشموني ج٢ هامش ص ٤٦٤ .

(٢) مادة خلا ج١ ص ٢٦٠ .

(٣) آية ٢٤ من سورة فاطر .

وهذه المعاني كلها تدلُّ على النهي والسلب والمُفَى والفسسراج
والشَّرك. وكلُّها تتفق مع الاستثناء ، فلي قولنا : جاءوني خلا زيدا ،
أي جاءوني خلا بعضهم زيدا ، أي فرغ بعضهم من زيد ، أو جاءوني
تاركين زيدا . وقد قدر ابن هشام مثل ذلك حيث قال :
" فمعنى (قاموا ما خلا زيدا) على الأول ^(١) : قاموا خاليين عن
زيد ، وعلى الثاني : قاموا وقت خلوعهم عن زيد ^(٢) و ^(٣) فلا فسرق
أذن بين معانيها تلك وبين معناها في الاستثناء إلا أنها فسي
الاستثناء باقية في حالة المفى .

وهاتان الكلمتان (عدا وخلا) تسبقهما (ما) فتشبتان على
الفعلية وقد تبيحان دونهما فتكونان فعلين أو حرفين " ذلك لأن
(ما) ممدرة ، فدخولها يُعَيِّنُ الفعلية ^(٤) : لأنها لا تدخل إلا على
الأفعال ^(٥) .

ومن استعمال (خلا) كحرف جر قول الشاعر :

خلا اللو لا أرجو سواك وإنما + + أعد عيالي شعبة من عيالي ^(٦)

-
- (١) وهو أن يكون مفعلاً ما خلا نصباً على الحال .
(٢) وهو أن يكون مفعلاً ما خلا نصباً على الظرف لأن ما وصاتها
خلا تنويبان من الوقت .
(٣) المغنى ص ١٧٩ .
(٤) من تعليق الشيخ محمد محيي الدين على شرح الأشموني على
الألفية ج ٢ ص ٤٦٣ .
(٥) السابق ص ١٧٩ .
(٦) من شواهد الأشموني ج ٢ رقم ٤٦١ ولم ألق له على قائل معين .

وقول الآخر :

أَبَخْنَا حَيْثَهُمُ قَتَلْنَا وَأَسْرَأُ * * * عَدَا الشُّمَطَاءُ وَالظُّفُلُ الْعَفِيرُ

على أَنَّ من النحاة من يرى أن (عدا) تكونُ حرفَ جرٍّ

وإنَّ سُبقتْ بِـ (ما) كما سبق في قول الشاعر :

تَمَلَّ النَّدَامَى مَا عَدَانِي فَيَأْتِنِي * * * بِكَلِّ الَّذِي يَهْوَى نَدِيمِي مُوَلِّعُ

وواضحٌ أنَّ (عدا) هنا فعلٌ يدلُّل اتصاله بنونِ الولاية التي

تدخل على الفعل لِتَتَقَيَّهُ الْجَرُّ إِذَا اتصلَ بِهَا العتكلم ، ولسبقها بما المصدرية .

إِلَّا أَنَّ هؤلاء النحاة يَرَوْنَ أَنَّ (ما) في هذا البيت وما جاء

نحوه رائدةٌ، ودخول النون لا يتعين معه أن تكون الكلمة فعلا ، لأنها تلحق ببعض الحروف ، نحو مَنْشٍ وَعَنْشٍ ^(١) .

وقد ردَّ ابنُ هشام على رأيهم هذا بقوله : " فإن قالوا

ذلك بالقياس فلما سد ، لأن (ما) لا تزداد قبل الجار، بل بعده نحو

" عَمَّا قَلِيلٍ ^(٢) " و " فَبِمَا رَحْمَةٍ ^(٣) " ، وَإِنْ قَالُوا بِالسَّمَاعِ فَهَسُو

من الشذوذ بحيث لا يُقاس عليه ^(٤) " . هذا إلى أن " إِجْسَرَاءُ

(١) شرح الأشموني ج٢ هامش ص ٤٦٥ للمرحوم الشيخ محمد محيي الدين .

(٢) المؤمنون آية ٤٠ .

(٣) آل عمران آية ١٥٩ .

(٤) المغنى ص ١٧٦ .

الكلام على المختلف فيه مع إمكان الجادة لا يجوز^(١) .

وإذا كان الفعلان (عدا) و (خلا) يُسبقان أحيانا ب (ما) وأحيانا أخرى يجهشان متجريدين منها ، فإن استعمال (حاشا) جاء دون سبقها ب (ما) ، لذلك عدّها سيهويه حرفاً عندما قال : "وأما (حاشا) فليس باسم^(٢) ، ولكنه حرف يجر ما بعده ، كما تجسّر حتى ما بعدها ، وفيه معنى الاستثنا ، وبعض العرب يقول : ~~مسما~~ أتاني القوم خلا مبدأ الله ، فجعلوا خلا بمنزلة حاشا (يقصد بمنزلتها في الجر) ... ألا ترى أنك لو قلت : آتوني ما حاشا زيدا لم يكن كلاما ... " ^(٣) .

وربما كان قول سيهويه هذا تعبيراً عن الشائع الراجح في (ما حاشا) فهناك شاهد على استعمال ما حاشا وهو : رأيت الناس ما حاشا قريشاً * * * فإننا نحن أهلهم قعلاً^(٤)

(١) شرح الأشموني ج٢ هامش ص ٤٦٦ للمرحوم الشيخ محمد محسن الدين .

(٢) يقدّم أنها لا تؤول مع (ما) قبلها باسم كما هو الحال مسج (خلا) و (عدا) .

(٣) الكتاب ٢٧/١ .

(٤) هذا البيت هو الشاهد رقم ١٧٨ في ابن عليل ورقم ٤٦٦ في الأشموني و ١٩٩ في المغنى (حرف الحاء) ، وينسب إلى الأخطل ، إلا أنني بحثت في ديوانه "شعر الأخطل" تعليق الأب انطوان مالحان اليسوعي المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩١ فوجدت ص ١٦٤ بيتين من الوافر ومن الروي نفسه والقافية نفسها ولم أجده هذا البيت .

كما أن هناك شاهدين على استعمال (حاشا) فعلاً ناصباً
لما بعده فالأول قول الشاعر :

حاشا قريشاً فإنَّ اللهَ فَطَّلَهُمُ * * * على البرية بالإسلام والدين^(١)

وأما الثاني قول الطماح الأسدي :

حاشا أبا ثوبان إنَّ أبا * * * ثوبان ليس بيكفَّ قَسِيمِ^(٢)

هذا بالإضافة إلى ما حكاه أبو عثمان العازني عن أبي زيد ،
قال : سمعت أعرابياً يقول : " اللهم اغفر لي ولمن سمع حاشا
الشیطانَ وأبا الأصمغ " ^(٣)

وإذا نظرنا إلى (خلا) و (عدا) و (حاشا) وجدنا أن الفعل
(خلا) لا فرق بين كونه للاستثناء ، وكونه فعلاً متصرفاً ، وذلك من
حيثُ النطق أو الكتابة ، وكذلك الشأن في الفعل (عدا) .

ولكنَّ الأمر يختلف في (حاشا) فيوجد فرق بين كونه للاستثناء

(١) الشاهد رقم ٤٦٤ من شرح الأشموني ، وقد نسبه محققه الشيخ
محيي الدين إلى الفرزدق ولم أجده في ديوانه " ثافية الشون
من ص ٨٦٤ . تحقيق عبد الله الصاوي ، التحاریر الكبرى ١٩٣٦ .

(٢) المفضليات القصيدة ١٠٩ ص ٣٦٧ . تحقيق أحمد شاکر وهارون .
دار المعارف ١٩٦٤ وقد رواه ابن الأنباري في الإنصاف :
حاشي أبا ثوبان إنَّ به ضناً على العلحاة والشتيم
المسألة ٢٨ ص ١٧٩ .

(٣) شرح الأشموني ج ٢ ص ٤٦٩ وشرح المفصل ج ٢ ص ٨٥ لابن يعيش وقد
أورد (ابن الأصمغ) بدلاً من (أبا الأصمغ) .

وكونه فعلاً متصرفاً ، فهو في الحالة الثانية يكتب حاشي ومضارعـه
يحاشي ، وشاعده قول النابغة :

ولا أرى كاعلاً في الناس يشبهه * ولا أحاشي من الأقوام من أحدي

وعدم التطابق هذا هو الذي أوجد - في رأيي - شيخين :

الأول : كثرة اللغات في (حاشا) ففي الآية الكريمة " حاشا
لله " ^(١) " يُقرأ بالخين وهو الأمل ، ويُقرأ بغير ألف وهما قراءتان
سبعيتان " ^(٢) . وقراءات فرقة (حش الله) على وزن وهى ، وقسراً
الحسن (حاش) بستكون الشين وملاً ووقفاً ^(٣) وذكر ابن عقيـل
أن (حاشا) يقال فيها حاش وحشا . ولا يتأتى ذلك في (عدا)
و (خلا) فلم يرد فيهما إلا هذان اللفطان .

الثاني : الاختلاف في كونها فعلاً بالنظر إلى الأصل
المشتقة منه أو الماخوذة عنه ^(٤) ، أو حرفياً بجسـم
مما بمددها - كما قال سيبويه - بالنظر إلى أن (حاشا)
الاستثنائية كلمة ، وحاشي الفعل المتصرف الذي مضارعـه يحاشي

(١) شرح الأشموني الشاهد رقم ٤٦٧ وفي الديوان ص ٢٨ . تحقيق

عبد الرحمن سلام . ط المصباح بيروت ١٩٦٩ .

(٢) يوسف آية ٥١ .

(٣) حاشية الجمل على الجلالين ٤٥٠/٢ وبيامشه إعراب القسـران

للعكبري ٤١٢/٣ .

(٤) البحر المحيط لأبي حيان ج ١ ص ٣٠١ - ٣٠٣ بتصريف مطبعة السعادة

بمصر سنة ١٣٢٨ .

(٥) الفعل حاشي يحاشي مأخوذ من الحاشية وهي الجانب ، وحاشيتـها

الثوب جانباه اللذان لا هذب فيهما تقول تحاشيت أي اتخـذت

جانباً وبعدت ، و(حاشيت من القوم فلاناً) أي جنبته أو جعلته

جانب ، أي استثنيت (اللسان ج ١٦ ص ١٩٦) .

كلمة أخرى لا علاقة لها بالأولى ^(١) . وربما كان هذا سبب التباين في رواية الثواهد التي ذكرناها منذ قليل ، فهناك من يرويها بنصب ما بعد حاشا وهناك من يرويها بجر ما بعدها . ولا يتأتى هذا الاختلاف في (خلا) و (عدا) ، أو قل إنه غير مشهور ، فسيبويه مثلا قد ذكر النصب ليس في الاسم الذي بعد (عدا) ، أما (خلا) فقد ذكر النصب أيضا ، وذكر أن الجر بها في بعض اللغات ، وشرح ذلك في سطر واحد أو في جزء من السطر حيث يقول " وبعض العرب يقول ما أتاني خلا عبد الله ، فجعلوا (خلا) بمنزلة (حاشا) فسادا قلت (ما خلا) فليس فيه إلا النصب " ^(٢) .

(١) هذا هو في رأيي سبب الخلاف ، وهناك كثير من الدلائل التي أوردها نحاة البصرة والكوكة في هذا الموضوع (انظر المسألة

٢٨ ص ١٧٨) .

(٢) الكتاب ١/ ٣٥٩ .

(٣) الكتاب ١/ ٣٧٧ .

الفصل العاشر الأخير

أعمال متفرقة

أفعال متفرقة

في هذا الفصل نحاول أن نجتمع من كتب اللغة والأدب الأفعال غير المتصرفية التي لم يجمعها باب واحد من أبواب النحو ، وهذه هي السمة المميزة لأفعال هذا الفصل ، ومن ثمّ جمعناها معاً ، فهي ليست من النواسخ مثلاً حتى نجدّها مجتمعةً في باب واحد شأن عسى وليس وكاد وكرب ... أو من الاستثناء كخلا وعددا وحاشباً أو من أفعال الذم والمدح كنعم وبش وحيدا ودا . على أن بعض النحاة قد أتى ببعض هذه الأفعال مجتمعةً مندماً تحدث عن تقسيم الفعل إلى متصرف و (جامد) ؛ أي غير متصرف ، فالسيوطي مثلاً قبّل أن يتحدث عن نعم وبش وحيدا ولا حيدا ، ألم ببعض هذه الأفعال غير المتصرفية فقال " الفعل متصرف وهو ما اختلفت أبنيته لاختلاف زمانه ، وهو كثير ، وجامد بخلافه وهو معدود ، ومنه غير ما مرّ في النواسخ والاستثناء : قَلَّ للنظي المحض فترفع الفاعل متلوّاً بصفة ومنه تَبَارَكَ من البركة وَهَذَكَ من رجل وسلط في يده ... وَكَذَّبَ في الإلراء وَيَهِيْطُ أي يَمِيح ... " (١)

ولقد ذكر السيوطي أيضاً بعض هذه الأفعال في المزهـر (٢) نقلاً عن التسهيل لابن مالك ، قال : ابن مالك : " مُنِعَتِ التَّصَرُّفُ أفعالٌ منها المثبتة في نواسخ الابتداء وباب الاستثناء والتعجب وما يليه ، ومنها (قَلَّ) الشافية ، و (تَبَارَكَ) و (مُقَطَّعٌ في يده) و (هَذَكَ من رجل) و (عَمَرْتُكَ الله) و (كَذَّبَ) في الإلراء ، و (يَهِيْطُ)

(١) الجمع ج ٢ ص ٨٢ ، ومكان النقط شرح لبعض أحكام هذه الأفعال وستعرض لها بالتفصيل بعد قليل .

(٢) المزهـر ج ٢ ص ٤٥ .

و (يهبط) و (أهْلَمْتُ) و (أَمَأْتُ) بمعنى أخذ و (أعطى) و (هَلَسْتُ) التيميمية و (هَأَ) و (هَأَرُ) بمعنى خَذَ و (يَمُ صَاحَا) و (تَعَلَّسْتُ) بمعنى اعلم ، و (يَجِرُ الخيل) اقدم و اقدم و (يَمُ و ارجب و مجد ، وليست أصواتا ولا أسماء أفعال لرفعها الضمائر البارزة ، واستغنى غالبها بترك عن (وَدَرَ) و (وَدَعَ) و بالتَّشْرِكِ عن الوَدَرِ و الوَدَعَ ، وربما قيل وَدَعَ و وَدَعَ و وَدَرَ^(١) .

ونحن في بحثنا هذا نحاول درس هذه الأفعال مبهينين استعمالاتها وشواهدا وآراء النحويين في كل منها . والتتبُّع التاريخي لاستعمال هذه الأفعال أمرٌ بالغُ الصَّعوبة ، " ذلك أن العقل ينسى خطوات التطور المعنوي التي مرت بها ، ونقول ينساها إذا افترضنا أنه عرفها في يوم من الأيام ، للكلمات دائماً قيمة حاضرة actuelle ، يعني أنها محدودة بال لحظة التي تستعمل فيها ، ومفردة بمعنى أنها خاص بالاستعمال الوقتي الذي تستعمل خلاله^(٢) " .

ومع ذلك فسنحاول قدر جهدنا القاء الضوء على التتبُّع التاريخي لاستعمال هذه الأفعال أو بعضها .

(١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ص ٢٤٦ و ٢٤٧ تحقيق

محمد كامل بركات دار الكتاب بمصر سنة ١٩٦٧ م .

(٢) اللغة : فندريس ص ٢٢٦ بتصرف .

وقد عوّل الشيخُ خالد الأزهرى على أن الفعلين وذر وودع بديلاً وهو شرك - عوّل على ذلك فى تعليقه لعدم تصرفهما ، السبيل " ... والثانى يكون بمجرد الاستغناء عن تصرفه بتصرف غيره

(٢) المزهر ج ٢ ص ٤٦ •

وإنَّ كَانَ بِالْفَيْءِ عَلَى أَصْلِهِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَدَثِ وَالزَّمَانِ، كَيُذَرِّعُ وَيَسْجَعُ
حَيْثُ اسْتُغْنِيَ عَنْ مَاهِيئِهِمَا بِمَا فِي تَرْكِهِ " (شرح التمهيد ٩٢/٢) .

وهذا خطأ لأنَّ الفعلين متصرفان كما بيننا ، إِلَّا أَنَّ الاسْتِعْمَالَ
هُوَ الَّذِي هَجَرَ الْمَاهِيَّ مِنْهُمَا ، وَيَقْبَلُ الْمَضَارِعُ وَالْأَمْرُ ، وَفِي ذَلِكَ
يَقُولُ ابْنُ جَنَى " فَإِنْ كَانَ الشَّيْءُ شَاذًا فِي السَّمْعِ مَطْرُودًا فِي الْقِيَاسِ
تَحَامَيْتَ مَا تَحَامَتِ الْعَرَبُ مِنْ ذَلِكَ وَجَرِيَتْ فِي نَظِيرِهِ عَلَى الْوَاجِبِ
فِي أَمْثَالِهِ ، مِنْ ذَلِكَ امْتِنَاعُكَ مِنْ وَذَرٍ وَوَدَعٍ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوهُمَا
وَلَا غَرَوْا عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَعْمَلَ نَظِيرَهُمَا نَحْوَ وَزْنٍ وَوَعْدٍ لَوْ لَمْ تَسْمَعْهُمَا .
فَأَمَّا قَوْلُ أَبِي الْأَسْوَدِ :

كَيْتَ شَعْرِي مِنْ خَلِيلِي مَا الَّذِي ۞ ۞ ۞ غَالَهُ فِي الْحُبِّ حَتَّى وَدَعَهُ ^(١)

فَشَاذٌ ، وَكَذَلِكَ قَرَأَ بَعْضُهُمْ (مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)
بِتَخْلِيفِ الدَّالِ فَأَمَّا قَوْلُهُمْ : وَدَعَ الشَّيْءُ يَدْعُ - إِذَا سَكَنَ - فَاتَدَعُ
مَسْمُوعٌ مُتَّبِعٌ ، وَعَلَيْهِ أَنْشَدَ بَيْتُ الْفَرَزْدَقِ :

وَعَفَى زَمَانٌ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدْعُ ۞ ۞ ۞ مِنَ الْمَالِ إِلَّا مَسَحَتْ أَوْ مَجَلَّتْ ^(٢)

فَمَعْنَى لَمْ يَدْعُ - بِكَسْرِ الدَّالِ ، أَي لَمْ يَدْعُ وَلَمْ يَشْبُكْ ^(٣)
وَالِاسْتِغْنَاءُ مِنَ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ نَحْوُ عَلَيْهِ سَبَبِيهِ فِي مَوَاضِعَ مَسْنُونِ

(١) سنحلق هذا البيت بعد قليل .

(٢) شرح ديوان الفرزدق . عبدالله إبراهيم الصاوي ص ٥٥٦ التجارة
بمصر سنة ١٩٣٦ م .

(٣) الخصائص ج ١ ص ٩٩ .

كتابه فيقول " فقد يستغنون عن الشيء بالشيء ، وقد يستعملون فيه جميع ما يكون في بابه " ^(١) .

ويقول " هذا باب يستغنى فيه عن (ما أفعله) ب (ما أفعَل فعله) ومن (أفعل منه) بقولهم (هو أفعَل منه فعلا) ، كما استغنى بتركت عن ودعت " ^(٢) .

ويقول " كما أَنَّ يَدْعُ عَلَى وَدَعْتُ ، وَيَدْرُ عَلَى وَدَرْتُ وَإِنْ لَمْ يَسْتَعْمِلَا ، اسْتَغْنَى عَنْهُمَا بِتَرَكْتُ " ^(٣) .

على أن بيت أبي الأسود :

لَبِيتَ شُعْرِي عَنْ خَلِيلِي مَا الَّذِي * * * غَالَهُ فِي الْحَبِّ حَتَّى وَدَعَسَهُ ^(٤)

(١) الكتاب ج٢ ص ١٩١ .

(٢) الكتاب ج٢ ص ٢٥١ .

(٣) الكتاب ج٢ ص ٢٢٨ .

(٤) هذا البيت أنشده ابن جني في خصائصه ج١ ص ٩٩ كما سبق ، ولم يحققه الأستاذ النجار محقق الخصائص في هذا الموضع ، غير أنَّهُ عاد وذكر في ص ٢٦٦ من الجزء نفسه أَنَّ نسبة هذا البيت لأبي الأسود خطأ ، وإنما قائله هو أنس بن زعيم الليثي في عبيد الله بن زياد بن أبيه ، وكذلك عدل في روايته بأن جعله : سَلَّ أَمِيرِي مَا الَّذِي غَيَّرَهُ * * * مَن وَصَالِي الْيَوْمِ حَتَّى وَدَعَسَهُ وقد بحثت في الكتب التي تَرَجَمَتْ لأبي الأسود على أَجْدُ الْحَقِيقَةِ في هذا البيت ، لاني سأبني عليه حكما ، فبحثت في الأغاني للأصفهاني ج١٢ ص ٣٠١ ، دار الثقافة ببيروت ١٩٧٤ ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، نسخة قديمة دون ذكر للناسخ أو تاريخ النشر ، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري : تحقيق إبراهيم السامرائي ص ١ ، دار المعارف ببغداد ١٩٥٩ ،

له دلالة "كبيرة" من حيث التتبع التاريخي لاستعمال الفعل (ودع) ،
ذلك أننا إذا أضفنا إلى هذا البيت قراءة الآية الكريمة " مَا
وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى " ^(١) بتخفيف الدال وهي قراءة عروة بن الزبير
وابن هشام وابن أبي مبله ^(٢) واضفنا أيضا ما ورد

ومراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ٦ نهضة مصر ١٩٥٥ ، فلم
أجد ذكراً لهذا البيت في كل هذه المراجع التي ترجمت لحياة
أبي الاسود . ثم بحثت في بغية الوعده في طبقات اللغويين
والنحاة للسيوطي ص ٢٢ تحقيق محمد إبراهيم طبعة عيسى
الحلبي ١٩٦٤ ، فلم أجد هذا البيت فيه ، إلا أنني وجدت
بيتين آخرين من نفس البحر (الرمل) والغافية :

لَا يَكُنْ بَرْقُكَ بَرْقًا خَلْبًا * * * * * إِنَّ خَيْرَ الْبَرْقِ مَا الْغَيْثُ مَعَهُ
لَا تَهْنِ بَعْدَ إِكْرَامِكَ لِس * * * * * فَشَدِيدٌ عَادَةٌ مُنْتَرَفَقَةٌ
وقد ورد هذا البيت في اللسان إلا أن فيه رواية أخرى ولاءلاً
آخر غير أبي الاسود . يقول صاحب اللسان " وهذا البيت ، روى
الازهري عن ابن أخي الأصمعي أن معه أنشده لأنس بن ربيعة
الليثي :

كَبِيتَ شَعْرِي مِنْ أَمِيرِي مَا الَّذِي * * * * * فَالَهُ فِي الْحَبِّ حَتَّى وَدَّعَسَ
لَا يَكُنْ بَرْقُكَ بَرْقًا خَلْبًا * * * * * أَنْ خَيْرَ الْبَرْقِ مَا الْغَيْثُ مَعَهُ
وإذا عرفنا أن أنساً هذا قد قال البيت في عبيد الله بن زياد
بن أبيه الملقب بابن مرجانة ، وعرفنا أيضا أن عبيد الله
توفي سنة ٦٧ هـ ، وأن أبا الاسود توفي سنة ٦٩ هـ - إذا عرفنا
كل ذلك فلا يهمننا من قائل البيت بقدر ما يهمننا الفترة التي
قيل فيها وهي الستينات من القرن الأول .

(١) الآية الثالثة من سورة الضحى .

(٢) اللسان ج ١٠ ص ٢٦٣ .

في اللسان وفي حديث ابن عباس أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
" لَيَنْتَهِيَنَّ الْقِرَامُ عَنْ وَدَعِهِمُ الْجَمْعَاتِ أَوْ لَيُخْتَمَنَّ عَلَى قُلُوبِهِمْ " أي
من تركهم إياها ^(١) " استنتجنا أن هذا الفعل (ودع) بصيغته الماضية
وكذلك المصدر (ودعاً) لم يكونا مهجورين في فترة نزول القرآن الكريم
وعلى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستمرَّ استعمالُهما حتَّى
السنين الأولى من النصف الثاني من القرن الأول ، وبعد ذلك هُجِرَ
استعمالُهما ولم يبقَ مستعملاً إلا المضارع والأمر .

(١) اللسان ج ١٠ ص ٢٦٢ .

كَذَّبَ عَلَيْكَ

أما الفعل (كَذَّبَ) فَعَيْنٌ من القول أنه متصرف : كَذَّبَ يَكْذِبُ
كَذَبًا وَكَذَابًا وَكَذَابًا فهو كاذب وكذّاب وكذّوب^(١) .

وأما (عليك) فهو جار ومجرور ، هذه - هي النظرة الأولى لهذا
الأسلوب ولكنهم يعدونه من أساليب الإغراء ، وقد جاء على هذا
النمط أو هذه الصورة دون تغيير ، وتكون الكلمة (كذب) في هـ سنده
الحالة فعلاً غير متصرف ، لزم صورة واحدة وهي الماضي ، و (عليك)
يشبهونها بتلك التي تستعمل في الإغراء ، كما في قوله تعالى :
" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ " ^(٢) فعليك هنا اسمٌ فاعِلٌ
منقولٌ عن الجار والمجرور بمعنى الزم أو احفظ .

وربما استعمل الفعل (كذب) غير متعدي بالحرف ، بل يجيء بعده
المفعول به مباشرة فيقال (كذبك) وذلك كقول عمر بن الخطاب حين
جاءه رجل يشكو النقرس " كَذَّبَتْكَ الظَّهَائِرُ " أي بالمشي فيها ،
والظواهر جمع ظهيرة وهي شدة الحر^(٣) .

أما شواهد (كَذَّبَ عَلَيْكَ) فنقول عمر أيضا حين شكاه إليه عمرو
ابن معد يكره المعص (التواضع) فقال له : كَذَّبَ عَلَيْكَ
العسل . يريد القسلان وهي مثنى الذئب ، أي عليك بسرعة المشي ، وقوله
أيضا : " كَذَّبَ عَلَيْكَ العمرة " كذب عليكم الحجج ، ثلاثة أسفار

(١) اللسان مادة ك ذ ب .

(٢) المعتمدة آية ١٠٥ .

(٣) اللسان مادة ك ذ ب ج ٢ ص ٢٠٤ .

ولقد استشهد بهذا البيت على إتيان الشاعر بأم منقطعة بعد
(١) الخبير .

والثانية : عندما أنشد بيت خز بن لودان أو عنزة :

كَذَّبَ الْعَتِيقُ وَمَاءُ شَنْ بَارِدٍ * * * * * إِنْ كُنْتُ سَأَلْتُكَ عُبُوقًا فَادْهَبْ (٢)

ولم يعلق سيبويه على البيت إلا بقوله يريد (فادهب) ، وكان ذلك في (باب وجوه القوافي في الإنشاد) ، ولم يذكر سيبويه أن (كذب) في أول البيت قد أتت بمعنى الإغراء ، وربما يكون سبب ذلك ندرة هذا الأسلوب على عهد سيبويه ، بل انعدامه . صحيح أن سيبويه قد أورد البيت في مقام غير مقام استعمال (كذب) للإغراء ، ولكننا لا ننسى أن سيبويه من طبعه الاستطراد ، والدخول في موضوع جديد طارئ ، ثم الرجوع إلى الموضوع الذي كان يبحثه

على أن الشنتمري ذكر ذلك حيث قال :

" ومعنى (كذب العتيق) عليك به ، وهي كلمة نادرة تغرى بها العرب لترفع ما بعدها وتنصب " (٣)

ومهما يكن من أمر فإن هذا التعبير نادر الاستعمال في عصره ، مهجور الآن تمام الهجر ، إلا أن السؤال الذي يطرحه للباحث : ما علاقة الفعل (كذب) سواء أكان متصرفاً أم غير متصرف بالإنشاء أو بالوجوب ، فنقول : كذب عليكم الحج ، بمعنى وجب ؟

(١) الكتاب ١٠ أسفل هامش ٤٨٤ (الشنتمري) .

(٢) الكتاب ٢ ص ٢٠٢ .

(٣) الكتاب ٢ أسفل ص ٢٠٢ .

ظلت أفكر في هذا السؤال على أحسن إجابة مقنعة، وقد رأيت أن العلاقة بين الكذب والإغراء علاقة "غريبة"، والأسلوب نفسه نادر غير مألوف، وقد قال ابن فارس كلاماً قيماً في هذا الصدد: "ذهب علماءنا أو أكثرهم إلى أن الذي انتهى اليه من كلام العرب هو الأقل، ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعراً كثيراً وكلاماً كثيراً وأحرى بهذا القول أن يكون صحيحاً، لأننا نرى علماء اللغة يختلفون في كثير مما قالته العرب، فلا يكاد واحد منهم يُخبر عن حقيقة ما خولف فيه، بل يسلك طريق الاحتمال والإمكان، ألا ترى أننا نسألهم عن حقيقة قول العرب في الإغراء: كَذَبَكَ كذا، وعما جاء في الحديث من قوله: كَذَبَ عَلَيْكُمْ الْحَجُّ، كذب العمَل، وعن قول القائل:

كَذَبْتُ عَلَيْكُمْ أَوْعِدُونِي وَعَلَّوْا * يَتَى الْأَرْضَ وَالْأَقْوَامَ يَرُدُّ أَنْ مَوْطِنِي

وعن قول الآخر:

كَذَبَ الْعَتِيقُ وَمَاءٌ كُنَّ بِسَارِدٍ * إِنْ كُنْتِ سَائِلَتِي قَبُولًا فَادْهَبِي

ونحن نعلم أن قول (كَذَبَ) يبعد ظاهره عن باب الإغراء، وكذلك قولهم (١) ثم يذكر بعد ذلك أمثلة أخرى في يعلق اللغة وغريبها، لا يهتمنا منها إلا أسلوب (كذب عليك)، ثم يعلق

(١) المزهر ج ١ ص ٦٦ و ٦٧، والمصاحبي في لغة العرب وسنن العرب لأحمد بن فارس ص ٦٧ و ٦٨ تحقيق مصطفى الشوايبي - بيروت ١٩٦٤ - والبيت الأول - في اللسان - لخداش بن زهير - والبيت الثاني هو الذي أنشده سيويه ج ٢ ص ٢٠٢.

على كل ذلك قائلًا " وقد كَانَ لَدَيْكَ كُلُّ نَاسٍ بِعَرْفُونَهُ ، وَكَذَلِكَ يَكُونُ
يَعْلَمُونَ مَعْنَى مَا نَسْتَفْرِئُهُ الْيَوْمَ (١) ... " .

فهذا الأسلوب إذاً كان له تفسيره عند قائله في الماضي بالرغم
من استغرابنا إياه اليوم . ونحن هنا نجتهد ، فنقدم على
استحياء تفسيراً له . لقد اشتهر القولُ بين العامة في عصرنا الحاضر
" عليك الحرام تفعل كذا ... " يقول العاميُّ ذلك مخاطباً غيره أو
لن مغرباً غيره ، وربما قال مغرباً نفسه أو مقيماً " على الحرام
افعل كذا ... " اليس هذا مشابهاً للأسلوب (كذب عليك) ؟ بلى هو
مشابه . فالأسلوبُ العاميُّ يعني أنَّ الحرامَ يَحِلُّ بِإِذْنِ مَنْ أَفْعَلَ كَذَا ،
والأسلوبُ الثاني يعني أنَّ الكذبَ يكون على - أي أنس أكون كاذباً - إن
لم أفعل كذا ، والعلاقة بين الكذب والحرام علاقة وثيقة .

(١) المزهر ج١ ص ٧٠ و ٧١ والمصاحبي ص ٧١ و ٧٢ .

تَبَارَكَ

يَرْجِعُ هذا الفعلُ إلى المادة بِ ر ك ، ومن هذه المعادة : الْبَرَكَةُ أي النماءُ والزيادةُ ، والتَّبَرُّكُ أي الدعاءُ لِلْإِنْسَانِ ، فيقالُ بَرَكْتُسْتَ عَلَيْكَ تَبَرُّكًا ، أي قلتُ : بَارِكْ اللَّهُ عَلَيْكَ . وفي التَّشْهيدِ " السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ " الْبَرَكَاتُ أي السَّعَادَةُ .^(١)

وَتَبَارَكَ عَلَى وزن تفاعلٍ مثلُ تَلَاتَلٍ ، وكان القياسُ أَنْ يَكُونَ متصرفاً مثله ، ولكنه جاء "غيرَ متصرفٍ" فلا ياتي منه مفعولٌ "ولا أمرٌ ولا اسمٌ فاعلٌ، وهو بمعنى تعظيمٍ وتمجّدٍ وارتفع " .^(٢) ولقد ذكر السيوطي هذا الفعلَ مع الأفعال التي لا تتصرف . وكذلك ذكره ابنُ مالك^(٣) . وقد استعمل القرآن الكريمُ كثيراً من اشتقاقات هذه المادةِ كقوله تعالى : " وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ قَوَّيْهَا وَبَارَكَ فِيهَا " .^(٤) و " فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا " .^(٥) و " اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ " .^(٦) و " وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ " .^(٧)

(١) اللسان مادة بِ ر ك ج ١٢ ص ٢٧٥ .

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ١٥٠ .

(٣) همع الهوامع ج ٢ ص ٨٢ .

(٤) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ص ٢٤٦ . تحقيق محمد
بركات دار الكاتب العربي بمصر ١٩٦٧ م .

(٥) فعلت : ١٠ .

(٦) النمل : ٨ .

(٧) هود : ٤٨ .

(٨) الأنبياء : ٥٠ .

- ولكنه تم يستعمل الفعل تَبَارَكَ إِلَّا مُسْتَدًا إِلَى اللَّهِ سبحانه وتعالى في كل المواضع التي ذُكِرَ فيها وهي :
- ١ - تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ^(١) .
 - ٢ - فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ .
 - ٣ - تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ^(٢) .
 - ٤ - تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ^(٣) .
 - ٥ - تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ^(٤) .
 - ٦ - فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ^(٥) .
 - ٧ - وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ^(٦) .
 - ٨ - تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ^(٧) .
 - ٩ - تَبَارَكَ الَّذِي يَمْلِكُ الْمُلْكَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ^(٨) .

-
- (١) الأعراف : ٥٤ .
 - (٢) المؤمنون : ١٤ .
 - (٣) الفرقان : ١ .
 - (٤) الفرقان : ١٠ .
 - (٥) الطور : ٦١ .
 - (٦) طه : ٦٤ .
 - (٧) الزخرف : ٨٥ .
 - (٨) الملك : ١ .

فهذا الفعلُ غيرُ المتصرفِ مقصورٌ استعمالُهُ على إسناده للهِ سبحانه وتعالى. وربما كان هذا هو سببُ عدمِ تصرُّفه؛ لِإشعارِ بـسببِ التمجيدِ والعظمةِ والرفعةِ لله سبحانه دونَ غيره ، ولِإشعارِ أيضًا بأنَّ هذا الفعلَ - وإن كان قد توقَّفَ عند مِيفَةِ الماضي - يبدلُ على الحالِ والاستقبالِ أيضًا ، مَثَلُهُ في ذلك مَثَلُ الطَّعْلِ (كان) في مواضع كثيرةٍ من القرآن الكريم كقوله تعالى : " وكان الله غفوراً رحيماً " (١) ، و " كان الله عليماً حكيماً " (٢) و " كان الله سميعاً بصيراً " (٣) .

(١) النساء : ١٠ •

(٢) النساء : ١١١ •

(٣) النساء : ١٣٤ •

قل

غَنِيٌّ عَنِ الْقَوْلِ أَنَّ الْفِعْلَ (قَلَّ) فِعْلٌ مُتَصَرِّفٌ ، وَقَدْ كَتَبَ فِيهِ
صَاحِبُ اللِّسَانِ مَا يَزِيدُ عَلَى سِتِّ صَفَحَاتٍ مُبِينًا اشْتِقَاقَاتَ هَذَا
الْمَادَّةِ (قَلَّ) وَاسْتِعْمَالَاتِهَا . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : " وَلِلنِّسَاءِ
نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ " ^(١) وَ " مَتَّاعٌ
قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِشْنِ الْمِهَادِ " ^(٢) وَ " إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَسْلَفُ
مِنْكَ مَا لَوْ وَلِدَا " ^(٣) وَ " إِنْ هَؤُلَاءِ لَشُرْدِمَةٌ قَلِيلُونَ " ^(٤) .

غَيْرَ أَنَّ بَعْضَ النُّحَوِيِّينَ قَدْ جَعَلُوا الْفِعْلَ (قَلَّ) غَيْرَ مُتَصَرِّفٍ ،
وَذَلِكَ فِي اسْتِعْمَالٍ خَاصٍّ بِهِ لَا يَتَعَدَّاهُ ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى (مَا)
الَّتِي هِيَ لِلنَّفْسِ الْمُحْضَى ، كَقَوْلِهِمْ " قَلَّ رَجُلٌ يَفْعَلُ ذَلِكَ " وَيَسْتَأْوِي
فِي الْمَعْنَى " مَا رَجُلٌ يَفْعَلُ ذَلِكَ " وَ (مَا) هُنَا حَرْفٌ ، وَمَادَامُ الْفِعْلُ
(قَلَّ) قَدْ اسْتَعْمِلَ مَوْضِعَهَا فَهُوَ غَيْرُ مُتَصَرِّفٍ لِشِبْهِهِ بِالْحَرْفِ .

يَقُولُ السِّيُوطِيُّ فِي ذَلِكَ " وَمِنْهُ - أَيُّ مِنَ الْجَامِدِ - قَلَّ لِلنَّفْسِ
الْمُحْضَى فَتَرْفَعُ الْفَاعِلَ مَتَلَوًّا بِمَعْنَى مُطَابِقَةٍ لَهُ نَحْوُ (قَلَّ رَجُلٌ)
يَقُولُ ذَلِكَ) وَ (قَلَّ رَجُلَانِ يَقُولَانِ ذَلِكَ بِمَعْنَى (مَا رَجُلٌ ...) ^(٥) .

وَقَدْ كَرَّرَ هَذَا الْقَوْلَ فِي الْمَرْهَرِ نَقْلًا عَنْ ابْنِ مَالِكٍ فَمَنْ
التَّسْهِيلِ حَيْثُ قَالَ " مُنَعَتْ التَّصَرُّفَ أَعْمَالٌ : مِنْهَا الْمُثَبَّتَةُ فَمَنْ

-
- (١) النِّسَاءُ / ٧ .
 - (٢) آلِ عِمْرَانَ / ١٩٧ .
 - (٣) الْكَهْفِ / ٣٩ .
 - (٤) الشُّعْرَاءِ / ٥٤ .
 - (٥) الْهَمْعِ / ٨٣/٢ .
 - (٦) الْمَرْهَرِ / ٤٥/٢ .
 - (٧) تَسْهِيلُ الْفَوَائِدِ وَتَكْمِيلُ الْمَقَامِدِ ص ٢٤٦ .

نواسخ الابتداء، وباب الاستثناء، والتعجب وما يليه ، ومنها قُلْ
النافية " .

ولم يذكر ابن مالك تفصيلاً لاستعمال هذا الفعل في هــسـسـدا
الموضع ، إلا أنه عقّد فصلاً قبله مباشرة بيّن فيه الصلة بين (قُلْ)
(ما) النافية ، فقال فيه " قد يقوم مقام (ما يفصل أحد) (أقُلْ)
ملارماً للابتداء ، والاضافة إلى نكرة موصوفة بصيغة مُغْنِيَةٍ عن الخبر
لأن كونهما فعلاً أو ظرفاً ، وقد تجعل خبراً ، ولا بدّ من مطابقة لفاعليها
للنكرة المضاف إليهما ، ويساوي (أقُلْ) المذكور (قُلْ) رافعاً مجسّـسـرور
(أقُلْ) .

ولسنا مع ابن مالك أو السيوطي في ذلك لما ياتي :

- ١ - أنا - فيما اطلعنا عليه من المراجع النحوية - لم نجد
هذا الفعل إلا في المرجعين اللذين ذكرناهما ليس غير .
- ٢ - أَنَّ (قُلْ رجل يفعل ذلك) مثال لا يُعتدُّ به ، ولم نجد شاهداً
على نمط هذا المثال يؤيد قولهما .
- ٣ - أَنَّ القول بأن (قُلْ) تساوي (ما) ، ومن ثمّ فإنّ (قُلْ) غير
متصرفٍ لشبهه بالحرف - هذا القول يحتاج إلى دليل ، وهو بعيد
من واقع اللفّة لعلاقة المساواة هذه نجدها في المسائل
الرياضية ، ولفرق كبير في اللفّة بين استعمال الفعل واستعمال
الحرف .

وإذا دخلت على (قُلْ) (ما) الكافّة ، أصبحت (قلما) ، وحينئذ
يجيء بعدها جملة فعلية ، بعكس (قُلْ) مفردة . فإنها تتطلب بعدها
فاعلاً . وقد ذكر سيبويه أنه من قبح الكلام أن تجيء (قلما) وبعدها
اسم يقول " ويحتملون قبح الكلام حتى يفهموه في غير موضعه ؛ لأنّ

مستقيم ليس فيه تناقض ، فمن ذلك قولُ عمر بن أبي ربيعة :
 مَدَدَتِ فَأَطَوَّتِ الْمُدَوَّدَ وَلَقَمَا ١٢٠٠ وصال على طول الصدود يسدوم
 ولكنَّ الكلام : قلما يدوم وصال " (١) .

ذكر سيبويه ذلك ، ولكنه لم يذكر في هذا المقام أنَّ قَلَّ
 فعلٌ غير متصرفٍ أو أنها تساوي (ما) ولم يذكر أيضًا المثال (قَلَّ
 رجلٌ يفعل ذلك) ، مع أن من منهج سيبويه أنه قد يستطرد فيذكر
 موضوعاً أو حكماً متعلقاً بالموضوع الذي يتكلم عنه ثم يرجع إلى
 هذا الموضوع مرةً ثانية .

وذكر سيبويه (قلما) مرةً أخرى في كتابه عند عرضه " للحروف
 التي لا يَلِيها بعدها إلَّا الفعلُ ، ولا تغير الفعل من حاله التي كسان
 عليها قبل أن يكون شيء منها " (٢) وذكر من هذه الحروف قَلَّ
 وسوف والسين وربما وقلما ، أي أنه عد (قلما) كلها حرفاً (٣) ،
 يقول " ومن تلك الحروف ربما وقلما وأشباههما ، جعلوا رَبَّاً مع
 ما بمنزلة كلمة واحدة وهيؤها ليذكر بعدها الفعلُ ، لأنَّه
 لم يكن لهم سبيلٌ إلى (رَبَّ يقول) ولا إلى (قَلَّ يقول) " (٤) .

والمهم في ذلك كله أن سيبويه لم يستطرد فيذكرُ أثناء ذلك
 أن (قَلَّ) في استعمال بعينه فعلٌ غير متصرفٍ أو أنه يساوي (ما)
 في المثال (قَلَّ رجلٌ يفعل ذلك) .

(١) الكتاب ج١ ص ١٢ .

(٢) الكتاب ج١ ص ٤٥٨ .

(٣) يرى النحاة أنَّ قَلَمًا مَكُونَةٌ من الفعل الماضي (قَلَّ) وما الكافسة
 عن عمل الرفع (انظر المغنى ص ٤٠٣) .

(٤) الكتاب ج١ ص ٤٥٩ .

" سَقِطَ فِي يَدَيْهِ "

رأى النحاة أَنَّ الفعل " قَلَّ " متصرفٌ إِلَّا في استعمال خاص لا يتعداه ليكون فيه غير متصرف ، وهو ما كان على مثال " قلَّ رجل يفعل ذلك " بمعنى " ما رجل يفعل ذلك " . وقد اختلفنا مع النحاة في ذلك لعدم وجود شواهد تؤيد رأيهم ، وتدل على أن (قلَّ) تستعمل للنفي المحض مكان (ما) .

أما بالنسبة للفعل (سَقِطَ) ، فالأمر يختلف كل الاختلاف ، إذ نجده غير متصرف في استعمال بعينه دالاً على الندم والحسرة ، ويؤيد ذلك قوله سبحانه وتعالى " ولما سَقِطَ في أيديهم ورَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ قُتِلُوا قَالُوا كُذِّبَتْ كَلِمَةُ رَسُولِنَا وَيُفْلِرُ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (١) .

فاستعمال هذا الفعل دالاً على الندم والحسرة مقصورٌ على صيغة الماضي الذي لم يُسم فاعله دون إسناد آية ضاعتر له فلا يقال يسقط ولا سقطوا ولا يسقطون

أما بَقِيَّةُ استعمالاته فيكون فيها متصرفاً ومن ذلك قوله تعالى " وهزِّي إليك جذع النخلة سَقِطْ عليك زَبْطاً جَنِيًّا " (٢) و " أَوْ تَسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَّمْتَ عَلَيْنَا كَيْدًا " (٣) و " إِنْ يَرَوْا كَيْدًا يَسْنَ " (٤)

(١) الأعراف - ١٤٩ .

(٢) مريم - ٢٥ .

(٣) الإسراء - ٩٢ .

(٤) الشعراء - ١٨٧ .

السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ " (١)

ومن النحاة من يُجيزُ (أُسْقِطَ في يده) ، إلا أن الجمهور لا يُعتمدُ بها ويرى أن (سُقِطَ) التي استعملها القرآن هي الأجود والأحسن (٢) .

وقد ذكر هذا الفعل السيوطي وابن مالك فمسن الألفــال غير المتصرفه وأثبتنا له هذا التركيب دون غيره (٣) .

وهذا التركيب لم تعرفه العرب إلا بعد نزول القرآن (٤) ، ويبرهن أبو القاسم الزجاجي على ذلك قائلا " سُقِطَ في أيديهم نظم لم يسمع قبل القرآن ولا عرفته العرب ، ولم يوجد ذلك في أشعارهم ، والذي يدل على ذلك أن شعراء الإسلام لما سمعوا هذا النظم واستعملوه في كلامهم خلس عليهم وجبة الاستعمال ، لأن عادتهم لم تجر به ، فقال أبو نواس :

(١) الطور - ٤٤ .

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج٢ ص ١٩٥ . ومعاني القرآن للفسراء ج١ ص ٢٩٢ ص ٣٩٣ تحقيق الأستاذين محمد نجاتي ومحمد النجار الهيئة المصرية العامة للكتاب ٩٨٠ .

(٣) المزهر ٤٥/٢ والهمع ٨٣/٢ والتسهيل ٢٤٦ .

(٤) حاشية الجمل على الجلالين ج٢ ص ١٩٢ ، ومجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بابن الأشير ج١ ص ٣٤٤ . الناشر : عبدالرحمن محمد . ميدان الأزهر بمصر ١٣٥٢ هـ .

وَنَشْوَةٌ سَقَطَتْ مِنْهَا فِي يَدِي ^(١) .

وأبو نواس هو العالم النحوي ، فأخطأ في استعمال هذا اللفظ ، لأن (قَعَلْتُ) لا يُبْنَى إِلَّا من فعلٍ يَتَعَدَّى . لا يُقال رغبت ولا يقال غضبت ، وإنما يقال رغبت في ، وغضبت على ^(٢) .

وقد اهتم كثير من النحاة واللغويين والمفسرين بتأصيل هذا التركيب ، وجميعهم أرجعوه إلى صورة مشخصة مضمومة . قال سليمان الجمل " ... وأصله سقطت أنفواهم على أيديهم ، لا (في) بمعنى (على) وذلك من شدة الندم ، فإن العادة أن الإنسان إذا ندم على شيء عض بضمه على أصابعه فسقطت الأنفوا على الأيدي لازم للندم ، فأطلق اسمُ اللازم وأريد الملزوم على سبيل الكناية ^(٣) " .

وقال أبو جعفر الطبري " وأصله الاستسار ، وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يهرقه ، فيترمين به بين يديهما لياسره ، فيكتفه فالترمين به مسقوط في يدي الساقط به ، فقييل لكل عاجز عن شيء وصارع لعجزه فنندم على ما فاتته ^(٤) " .

وقد عقب المحققان على ذلك بقولهما " والذي قاله أبو جعفر تفصيل جيد وبيان من أصل الحرف قلما يوجد في كتب اللغة ^(٥) " .

(١) أجهدت نفسي في البحث عن البيت بتمامه في ديوان أبي نواس ، فلم أجده ، وربما كنت غير موفق في ذلك ، فحرف الروي يحتفل أن يكون الدالّ وغيره ، ومع ذلك فقد بحث في كل القاصد التي من بحر الرجز ، ثم من الكامل على سبيل الاحتياط ولا أدري كيف أتى به صاحب مجمع الأمثال .

(٢) مجمع الأمثال ج١ ص ٣٤٤ .

(٣) حاشية الجمل ج٢ ص ١٩٢ .

(٤) تفسير الطبري ج١٢ ص ١١٨ و ١١٩ تحقيق محمود أحمد شاكر دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٨ .

(٥) تفسير الطبري ج ١٧ ص ١١٩ .

وقال الرمخشري " لأنَّ من شأن من اشتدَّ ندمُهُ
وحسرتُهُ أن يَغشَّ يده غمًّا فتصير يده مسقوطة فيها " ^(١) .

ونلاحظ أن القرآن الكريم قد استعمل هذه الجارحة - الیسسدَ -
- في صورتين أخريين ليعبِّرَ بهما عن الندم والحسرة . ويقول
سبحانه وتعالى : " وَيَوْمَ يَغْشَى الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي
اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا " ^(٢) . ويقول سبحانه : " وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ
فَأَصْبَحَ يَقْلُبُ كُفَيْدًا عَلَى مَا أُنْفِقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ " ^(٣) .

-
- (١) الكشف من حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل
لجاء الله الرمخشري ج٢ ص ١١٨ . بيروت دون تاريخ .
- (٢) الفرقان آية ٢٧ .
- (٣) الكهف آية ٤٢ .

عَمَّ صَبَاحًا

- (١) ذكر السيوطي هذا الفعل مع ظرف الزمان في جمع الهوامس
(٢) على أنه من الأفعال غير المتصورة ، وكذلك ذكره في المعزهر
(٣) نقلا عن ابن مالك في التسهيل .

وهذه الجملة تحية عند العرب ، يقال عَمَّ صَبَاحًا ، وَعَمَّ مَسَاءً
وَعَمَّ ظِلَامًا (٤) ، ولكن (عَمَّ صَبَاحًا) هي التي كَثُرَ ورودها في الشعر:

قال زهير بن أبي سلمى :

قَلَمًا تَرَفَّتِ الدَّارُ قُلْتُ لِتَرْبِعَهَا * * * أَلَا انْعَمَ صَبَاحًا أَبَا الرِّبْعِ وَسَلَمِ (٥)

وقال عنتره :

يَا دَارَ عَيْلَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمَسِي * * * وَعَمِي صَبَاحًا دَارَ عَيْلَةٍ وَأَسْلَمَسِي (٦)

وانشد يونس بن حبيب شطراً من الطويل وهو :

عَمَّا طَلَّقَ جُمْلَى النَّأْيِ وَأَسْلَمَسَا (٧)

-
- (١) الجمع ٨٢/٢ .
(٢) المعزهر ٤٥/٢ .
(٣) التسهيل ٢٤٧ .
(٤) خزانة الأدب للبغدادي ج١ ص ٦٠ تحقيق عبدالسلام هارون . الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٩ .
(٥) شرح القصائد السبع الطول لابن الأنباري ص ٢٤٣ تحقيق هارون . دار المعارف بمصر ١٩٨٠ .
(٦) الساق ص ٢٤٦ .
(٧) شرح القصائد السبع لابن الأنباري ص ٢٩٦ .
(٨) اللسان مادة وعَمَّ ج١ ص ١٢٨ .

أَمَّا عَمَّ ظَلَامًا وَعَمَّ مَسَاءً فَقَدْ قُلَّ وَرَوَّدَهُمَا . قَالَ شَمِيرُ بْنُ
الْحَارِثِ الصَّبِيِّ :

أَتَوْا شَارِي فَقُلْتُ مَنْوُنُ قَالُوا * * * سُرَاةُ الْجَنِّ قُلْتُ عَمُّوا ظَلَامًا^(١)

ويبدو أَنَّ السُّيُوطِيَّ وَابْنَ مَالِكٍ كِلَيْهِمَا قَدْ تَابَعَا الْفَرَا ، فِي عَدِّ
هَذَا الْفِعْلِ فَعَلَّ أَمِي ، لَا يَأْتِي مِنْهُ مَضَارِعٌ وَلَا مَاضٍ . يَقُولُ الْفَرَّاءُ
" قَدْ يَتَكَلَّمُونَ بِالْأَفْعَالِ الْمُسْتَقْبَلَةِ وَلَا يَتَكَلَّمُونَ بِالْمَاضِي مِنْهَا ، فَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُهُمْ (عَمَّ مَبَاحًا) وَلَا يَقُولُونَ (وَعَمَّ) ، وَيَقُولُونَ (ذَرَّ ذَا)
(وَدَعَّ) وَلَا يَقُولُونَ (وَذَرَّتْهُ) وَلَا (وَدَعَّتْهُ) " ^(٢) . وَيَقُولُ الْأَصْمَعِيُّ
كَذَلِكَ : " هَكَذَا تُنَشِّدُهُ عَامَّةُ الْعَرَبِ وَتَقْدِيرُ الْفِعْلِ الْمَاضِي مِنْهُ وَعَمَّ ،
يَعْمُ وَلَا يَنْطِقُ بِهِ " ^(٣) .

وَيَرَى أَبُو عمرو بن العلاء رَأْيًا آخَرَ فِي (وَعَمَى صَبَاحًا) الَّتِي
جَاءَتْ فِي بَيْتِ عَنُتْرَةَ ، يَقُولُ " عَمَى مِنْ قَوْلِهِمْ : عَمَّتِ السَّمَاءُ
تَعْمَى ^(٤) وَيَقُولُ أَيْضًا : " هُوَ كَمَا يَعْمَى الْمَطَرُ وَيَعْمَى الْبَحْرُ
بِزَيْدِهِ ، وَأَرَادَ كَثْرَةَ الدَّعَاءِ لَهَا بِالْإِسْتِسْقَاءِ " ^(٥) وَقَدْ خَطَبْنَا
ابْنَ الْأَنْبَارِيِّ أَبَا عمرو فقال : " وَهَذَا عِنْدَنَا خَطَأٌ ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ
كَذَلِكَ لَكَانَ (اعْمَى) عَلَى مِثَالِ (وَأَقَشَى) ، لِأَنَّ مَعَّتَ تَعْمَى عَلَى مِثَالِ
قَعَّتَ تَقَعَى ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَمْرُ الْمُؤَنَّثِ مِنْهُ (أَمَعَى) عَلَى مِثَالِ

(١) النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري ص ١٢٢ . دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٩٦٧ م .

(٢) شرح القصائد المبع الطول لابن الأنباري ص ٢٤٤ .

(٣) السابق ص ٢٤٤ .

(٤) السابق ص ٢٩٧ .

(٥) اللسان ج ١ ص ١٢٨ وخزانة الأدب ج ١ ص ٦٤ .

(اقصّ) . وكان أصحابنا ينكرون قول أبي عمرو ، ويحتجون بهذا الذي ومعناه " (١)

وكذلك خطأ الأزهري وردَّ عليه بمثل ما ردَّ ابن الأنباري (٢) ومن النحاة من لا يَعدُّ (وَقَمَ ، يَعمُ ، عَمَ) أصلاً مستقلاً بنفسه بل إنَّ (يعم) عندهم محذوف من ينعم ، ولذلك أجازوا قَمَ صياحاً بفتح العين وكسرهما ، كما يقال انعم وانعم ، وزعموا أنَّ بعضَ العرب أشدَّ : ألا يمَّ صياحاً أيُّها الظلل البالي .

(٣) بفتح العين .

ويقول الأزهريُّ معللاً لذلك : " كأنه لما كثر هذا الحرف في كلامهم ، حذفوا بعضَ حروفه لمعرفة المخاطب به ، وهذا كقولهم (لاهم) وتسام الكلام (الهم) وكقولك (لَهْنَك) والأصل (الله انك) " (٤)

والرأي عندي أن هذا العمل (عَمَ) إنما هو الأمر من الماضي وعم ، والمضارع يَعمُ ، قد التبس الأمر على أبي عمرو بن العلاء عندما ظنه من عَمَى يَعمى ، مثل قَصَى يَقْصِي على ما بينه ابن الأنباري

(١) شرح القواعد السبع الطوال ص ٢٩٧ .

(٢) اللسان ج ١٦ ص ١٢٨ .

(٣) الخزانة ج ١ ص ٦٠ بتصرف .

(٤) اللسان ج ١٦ ص ١٢٨ . ويلاحظ أنَّ بعضَ النحاة يَهَوِّنُ في (لهنك) إبدالاً وليس اختصاراً ، فالأصل لَهْنَك ثم أبدلت الهمزة هاء ، وهذا متحققٌ عندهم في قول الشاعر :

لَهْنَكُ مِنْ مَيسِيَّةٍ لَوَسِيمةٌ * على هَنَوَاتٍ كاذِبٍ مَنْ يَقُولُهَا
أي لأنك . وانظر الإنصاف في مسائل الخلاف ص ١٢٩ ، وشرحه

القواعد السبع الطوال ص ٢٦ و ٢٦٥ .

والأزهري ، كما أننا لا نميل إلى رأى من يرى أن (يَعْمُ) اختصارٌ
لِيَعْمَ . وقد التبس الأمر أيضا على الفراء والأصمعي ، ثم عيسى
ابن مالك والسيوطي من بعدها عندما رأوا أن الأمر هو المستعمل
كما بينا ، أما المضارع فَيَعْمَرُ كيف شأب عنهم قول امرئ
القيس :

أَلَا يَمُ صباحاً أيُّها الظِّلُّ البالي * * * وهل يَعْمَنُ من كان في العَصْرِ الخالي
وهل يَعْمَنُ إِلَّا سعيدٌ مَخْلُودٌ * * * قليلُ الهموم ما يَبِيتُ بأوْجَالِ
وهل يَعْمَنُ من كان أحدثُ عهدِهِ * * * ثلاثين شهرا في ثلاثة أحوال^(١)

فقد استعمل المضارع (يعم) ثلاث مرات ، لا مرة واحدة
ولم يجمعها جاء مقترنا بنون التوكيد الخفيفة لوقوعه بعد طلب
وهو الاستفهام ، كما أن شرح الأستاذين السقا والسندوبي على هذه
الآبيات يدل على أن الفعل (يعمن) مضارع .

أما الماضي فلم نعثَر على شواهد لاستعماله ، ولكننا لاستبعاد
استعماله حيث أن الأمر والمضارع مستعملان ، كما أن الأزهري
ذكر عن يونس بن حبيب أنه قال : " وَعَمْتُ الدَّارَ ، إِمُّ وَعَمْسًا ؛
أَي قُلْتُ لَهَا انْعَمِي " ^(٢) .

(١) شرح ديوان امرئ القيس . الأستاذ حسن السندوبي ص ١٥٨ التجارية
الكبرى بمصر ١٩٥٢ ، ومختار الشعر الجاهلي ص ٣٤ جمع الأستاذ
مطفى السقا الحلبي بمصر ١٩٤٨ .

(٢) اللسان مادة وعم ص ١٦٨ .

يَنْبَغِي

ما كان لهذا الفعل أَنْ يَأْخُذَ مَكَانَهُ فِي بَحْثِي هَذَا ، فهو فعل
متصرف ، لولا ما ذكره السيوطي في الهمع ^(١) وكذلك في المزهـر ^(٢)
نقلا عن ابن مالك في التسهيل ^(٣) . وفي كل هذه المواضع تَصَرَّفَ
على أنه فعلٌ غير متصرف لا يأتي منه إِلَّا المفسارعُ ليس غير ،
وقيل سَمِعَ الماضي .

أما عن استعمال المفسارع ، فهذا مالا شبهة فيه ، بدليل
الآيات " وما يَنْبَغِي للرحمن أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا " ^(٤) ، و " ما كان يَنْبَغِي
لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ " ^(٥) و " وما يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا
يَسْتَطِيعُونَ " ^(٦) و " لا الشمسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ " ^(٧)
و " وما عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ " ^(٨) و " قال رَبِّ اغْلُظْ
لِي وَهْبِي مَلَكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ " ^(٩) .

أما الماضي فقد نَحَى صاحبُ اللسان وصاحبُ القاموس وصاحبُ
الصحاح على استعماله :

-
- (١) الهمع ٨٣/٢ .
 - (٢) المزهـر ٤٥/٢ .
 - (٣) التسهيل ص ٢٩٦ .
 - (٤) مريم : ٩٢ .
 - (٥) الفرقان : ١٨ .
 - (٦) الشعراء : ٢١١ .
 - (٧) يس : ٤٠ .
 - (٨) يس : ٦٩ .
 - (٩) ص : ٢٥ .

يقول ابن منظور : " ... هو من أفعال المطاوعة ، تقول
بَغَيْتُهُ فأنبغى ، كما تقول كسرتَه فأنكسر ويقال : انْبَغَى
للغلان أن يفعل كذا ، أي صلح له أن يفعل كذا ، وكانـــــــــــــــــه
قال : طَلَبَ ففعل ذلك ، فاستَطَلَبَ له أي طأوعه ، ولكثهم اجتسروا
بقولهم : انْبَغَى الشيء : تيسر وتسهل ^(١) " .

ويقول الفيروز آبادي " انْبَغَى الشيء : تيسر وتسهل
وما انْبَغَى لك أن تفعل وما انْبَغَى وما يَنْبَغِي وما يَنْبَغِي " ^(٢) .

ويقول الجوهري : " وقولهم يَنْبَغِي لك أن تفعل كذا ، هو
من أفعال المطاوعة ، يقال : بَغَيْتُهُ فأنبغى كما تقول كسرتُـــــــــــــــــه
فأنكسر ^(٣) .

صحيح أننى لم أعثر على شاهد لاستعمال (انْبَغَى) ، ولكن
منذما ينص أصحابُ ثلاثة من المعاجم الذين يوثقُ بهم على أن الماضى
مستعملٌ ، فربما يكون فى هذا شيئٌ من الاطمئنان الذى يبعثـــــــــــــــــه
الشاهد فى النفس .

يُضاف إلى ذلك ما أورده أبو زيد الأنصارى فى نواتره " ما
ينبغى لك أن تفعل كذا وكذا ، وما يُنبغى بهم الباء ، وقـــــــــــــــــد
انْبَغَى له " ^(٤) .

(١) اللسان ج ١٨ ص ٨٠ .

(٢) القاموس المحيط ج ٤ ص ٢٠٥ و ٢٠٦ .

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية ٢٢٨٣/٦ تحقيق أحمد عبد الغفور عطا
دار الكتاب بمصر .

(٤) النواتر ص ٢٣٩ .

فإذا سلمنا بأن المضارع والماضي كليهما مستعمل^{*} ، فسادا
عن الأمر ؟ نقول إن القياس لا يمنع من وجود فعل الأمر (انبغ)
كما أن فعل الأمر من (ابتغى) موجود^(١) وهو (ابتغ) ، وكل من
الفعلين مزيد بحرفين الالف والنون ، ثم الالف والهاء إلا أن الفعل
(انبغ) غير مستعمل ، لأن معناه في الأمر بعيد عن أية مناسبة
تستدعي استعماله ، وما كان لإنسان أن يخاطب آخر أو يأمسه
بقوله (انبغ) ، وهذا يماثل تماما فعل الأمر (انكسر) .

(١) قال تعالى : " وَلَا تَجْهَرْ بِحَلَاثِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا " الإسراء - ١١٠ .

أهلم وهما

لقد جمعتُ بين هذين الفعلين لأنهما مشتركان في نـسـبـة الاستعمال ، بل نستطيع أن نقول في عدم الاستعمال ، لا سيما في العصر الحديث ، هذه واحدة ، وأخرى أنهما مشتركان في وجسود حرف الهاء الذي هو بمشابة تشبيه وإعلام لما سيأتي بعده ، ولا بد أن نتحفظ فنقول إنَّ (ها) اسم فعل بمعنى خذ ، إلّا أنَّ لها اشكالاَ أخرى تُعد فيها فعلا ، وسأتي إلى تفصيل ذلك .

فاما الفعل الأول (أَهْلَمُ) فهو جواب من قيل له (هَلُمَّ) ، إذ يرد قائلا (أَهْلُمُ) أو (لا أَهْلُمُ) ، تماما كمن يؤمر بفعل الأمر: أَتَبَل ، فيرد قائلا (أتَبَل) أو (لا أتَبَل) . جاء في اللسان ، إذا قال هَلُمَّ إِلَيَّ ، قلت : إَلَامَ أَهْلُمُ ، وإذا قال لك : هَلُمَّ كَذَا وكَذَا ، قلت : لا أَهْلُمُهُ^(١) وَمِنْ شَمَّ فَيَانَ (أَهْلُمُ) لا يتصرف ، بل هو بساق في زمن المضارع ، ليس ذلك فحسب ، بل المضارع المنسوب إلى المتكلم ، والهمزة في أوله دليل على ذلك ، فلا يقال يَهْلُمُ أو تَهْلُمُ كما هو الشأن في يقبل ، ونص السيوطي على أنه لم يستعمل منه الماضى ولا الأمر في أكثر اللغات كما نص أيضا على أنه يجيء بعد الحركتين (لا) و(لم)^(٢) كما ورد في (أَهْلُمُ) عدّة لغات هي :

أَهْلِمُ أَهْلَمُ أَهْلَمُ أَهْلَمُ^(٣)

(١) اللسان ج ١٦ ص ١٠٢ والمصاحح أيضا ج ٥ ص ٢٠٦٠ وشرح المفصل ج ٤ ص ٤١ .

(٢) الهمع ٨٢/٢ .

(٣) اللسان ج ١٦ ص ١٠٢ : الأولى بضم الهمزة وفتح الهاء وكسر اللام وضم الميم مع التشديد . والثانية مثلها إلا أن اللام مضمومة . الثالثة بضم الهمزة وفتح الهاء واللام وضم الميم مع التشديد . والرابعة بفتح الهمزة والهاء وضم اللام ، وضم الميم مع التشديد

غير أننى لم أعثر على شواهد لاستعمال هذا الفعل ممساة
يجعل هذه الأحكام غير متيقنة ، هذا إلى أن القياس والصنعنة
لا يبايان مجزئة الماضي ، فيقال هَلُمَّتْ كَصَعَرَتْ ، وَشَمَلْتُ عَلَى
وزن فَعَلْتُ (١) .

وقد بينا أن (أَهْلُمُ) إنما هي جوابٌ مَنْ قيل له (هَلُمَّ) ، فلا
باس إذاً من أن نبيين أصلها شيء من الإيجار ، فاما الكوفيون
فَيَرَوْنَ أن الأصل فيها . هل أم (٢) . وزاد الرضى تفسيرا فقال " قال
الكوفيون : أصله هَلَا أُمُ ، (هَلَا) كلمة استعجال كما مر ، فُغَيِّرَ
إلى (هَلْ) لتخفيف التركيب ، وَنُقِلَ ضمة الهمزة إلى اللام ، وَحُذِلَتْ
كما هو في القياس نحو (قد افلح) " . وَيُؤَيِّدُ نسبة هَذَا
الرأي إلى الكوفيين أن الفراء قد أوردته في (معاني القرآن) حيث
يقول " ونرى أن قول العرب (هَلُمَّ إِلَيْنَا) مثلها - يقصد مشسل
اللهم - إنما كانت (هل) فضم اليها (أُم) ، فتركت على نصبها (٣)
واما البصريون فَيَرَوْنَ أن " أصلها (ها المُمَم) فاجتمع ساكنان :
الألف من (ها) ، واللام من (المم) ، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين ،
ونقلت ضمة الميم الأولى إلى اللام ، وَأُدْغِمَتْ إحدى الميمين فسوى
الأخرى فصارت (هلم) (٤) وهذا الرأي نقله ابن يعيش عن
الخليل (٥) وكذلك رواه سيبويه حيث قال " كأنها (لَم) بضم اللام

(١) الخصائص ج١ ص ٣٧٨ .

(٢) الإنصاف ج١ ص ٢١١ .

(٣) شرح كافية ابن الحاجب لرفى الدين الاسترأبادي ج٢ ص ٧٢
بيروت ط ٢ سنة ١٩٨٢ م والآية هي الأولى في سورة المؤمنين .

(٤) معاني القرآن للقرطبي ج١ ص ٢٠٣ تحقيق أحمد يوسف نجاشي
محمد على النجار الميثة المصرية للكتاب سنة ١٩٨٠ .

(٥) الإنصاف ج١ ص ٢١٤ .

(٦) شرح المفصل ج٤ ص ٤١ .

وفتح العيم وتشديدها ، ثم أدخلت عليها الهاء كما أدخلت على
(١) - (١٣) .

وإذا كانت شواهد (أَهْلُم) معدومة فإن شواهد (هلم) كثيرة

يبقى بعد ذلك (هَلُمَّ) في لغة بني تميم التي عدّها بعض النحاة فعلا غير متصرف يقول السيوطي : " وهلم التميمية لاسم يستعمل منها إلا الأمر، أما الحجازية فهي اسم فعل لا تلحقه ضمائر الضمائر " (٢) فبنو تميم يجرونها كجرو الفعل في اتصال ضمائر الوقع بها فيقولون هَلَمَّا ، هَلَمُّوا ، هَلُمَّيْ هَلَمُّنْ ، (٣) إلا أنها وردت في القرآن الكريم على لغة الحجازيين ، قال تعالى : هَلَسْتُمْ شُهَدَاءَكُمْ " (٤) ولم يقل هلموا ، (٥) ولهذا السبب - فيما نظن - من الرضى على أنّ لغة بني تميم ليست بالفصحى ونحن نأخذ على هذا المجال برأي ابن جنى أنّ اللغات تختلف ، ولكن كلّها حجة وليس لك أن تورد إحدى اللغتين بصاحبيتها ، لأنها ليست أحقّ بذلك من رسلتها. وقرّب مثالا على ذلك (ما) التي أعملها الحجازيون وبها جاء القرآن ولم يعملها بنو تميم، ورأى أن الاثنين يقبلهم القياس . (٦) غير أننا لا نستطيع أن نقول مع السيوطي أنّ هَلَسْتُمْ التميمية فعل (جامد) بل هي باقية على أنها اسم للفعل ويدلّ ابن

(١) الكتاب ج ٢ ص ٦٧ .

(٢) الهمع ج ٢ ص ٨٢ .

(٣) شرح الكافية ج ٢ ص ٧٣ .

(٤) سورة الانعام آية ١٥٠ .

(٥) شرح الكافية ج ٢ ص ٧٢ .

(٦) السابق ج ٢ ص ٧٣ .

(٧) الخصائص ج ٢ ص ١٠ بتصرف .

يعيش على ذلك قائلًا : " واعلم أن بنى تميم وإن كانوا يحرونها مجرى الفعل في اتصال الضمائر بها لشدة شبهتها بالفعل وإفادتها إفادة الفعل ، فهي عندهم أيضًا اسمُ الفعل ، وليست مبنية على أصلها من الفعلية قبل التركيب والضم ، والذي يدل على ذلك أن بنى تميم يختلفون في آخر الأمر من المضاعف، فمنهم من يُتَّبِعُ ، فيقول (رُدُّ) بالضم و(فَرَّ) بالكسر ، و(عَضَّ) بالفتح ، ومنهم من يكسر على كل حال ، فيقول رُدٌّ وفَرٌّ وعَضٌّ بكسر الأواخر ، ومنهم من يفتح على كل حال ، ثم رأيناهم كلهم مجتمعين على فتح الميم من هَلَمْ ليس أحدٌ يكسرها ولا يضمها ، فدل ذلك على أنها خَرَجَتْ من طريق الفعلية وأُخِلَّتْ اسمًا للفعل نحو دوتك ورويدك وعندك " (١) .

وأما (هَأَ) " فهو اسمٌ لخذ، وفيه ثمانى لغات " (٢) أوردها الرضي ، نتخذ منها ثلاث لغات " تكون فيها أفعالاً غير متصرفة لا ماضٍ لها ولا مضارع وليست بأسماء أفعال " (٣) .

فأما الأولى فهو أن تستبدل بالالف همزة ساكنة فتصبح هَأُ وتتصرف تصرف ذر ودع فيقال هَأُ وهَيَّ وهَأُ وهَيَّوْا وهَأَنَ .

وأما الثانية فهي كالأولى إلا أنها تتصرف تصرف ذل فيقال : هَأُ هَيَّيْ ، هَأَا ، هَأُتُوا ، هَيَّانَ .

وأما الثالثة فهي كالأولى أيضًا إلا أنها تتصرف تصرف نساد

(١) شرح المفصل ج٤ ص ٤٢ و ٤٣ .

(٢) شرح الكافية ج٢ ص ٦٩ .

(٣) السابق ج٢ ص ٧٠ .

فيقال هاءٌ وهائِى وهائِىا وهائِوا وهائِين^(١) ومن هذه اللفظة قولُ الشاعر :

وَمُرَبِّحٌ قَالِ لِي : هَائِ ! فَقُلْتُ لَهُ : هَيَّْاكَ رَبِّى لَقَدْ أَحْسَنْتَ بِي هَائِى^(٢)

فالمُؤرَّةُ واحدةٌ إِذَا وَلَكِنَّ الاختلافُ فى طريقةِ التصريفِ. ومن اللغويين من يرى أن هاءَ بكسر الهمزة تعنى هائِ ، وبفتحةا (هاءٌ) بمعنى خَذَ^(٣) .

وكما أنَّ (أَهْلُم) ردٌّ وجوابٌ عن (هَلُم) ، كذلك (هَاءٌ) لها جوابٌ وهو (أَهَاءُ) وهو فعلٌ غيرٌ متصرفٍ لم يأت فيه إلا المضارعُ المنسوبُ إلى المتكلم. قال الرضُّ ، " وإذا قيل لك (هَاءٌ) بالفتحة قلت ما أَهَاءُ أي ما أَخَذُ وما أَهَاءُ على ما لم يسمَّ فاعله أي ما أُعْطَى " ^(٤) وقد أورد السيوطي هذا الفعلَ رِأًى أَنَّهُ حذفَ الهمزةَ التى فى آخره قال " و(أها) مبني للفاعل بمعنى أخذ ، وللمفعول بمعنى أُعْطَى ، لم يُستعملْ منه غيرُ المضارعِ " ^(٥) .

ويجدُرُ بنا أنْ نقولَ إِنَّ كَلَّ هذه الصورِ من الفعلين أَهْلُم هاءٌ قد هجرت الآن، ولم يبق من هذه المادةِ إلا (هَلُم) التى قيسلَ بِإِنَّ جوابَها أَهْلُم .

(١) السابق ج٢ ص ٦٩ و ٧٠ بتصريف وشرح المفضل ج٤ ص ٤٣ و ٤٤ .

(٢) اللسان مادة ها ج ١٥ ص ٤٨٢ .

(٣) الصحاح ج١ ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٤) شرح الكافية ج٢ ص ٧٠ .

(٥) همع الهوامع ج٢ ص ٨٢ .

هَاتِ وتَعَالَى

وقد جمعنا هذين الفعلين معاً ، لأنهما من أشهر الأفعال غير المتصرفة وأكثرها استعمالاً ، ولأنهما اتَّحَدَا في صيغة الأمر .

ولعلَّ هناك شيئاً من التجاور في جعلنا الفعل (هَاتِ) فعلاً غير متصرف ، إلاَّ أنَّ هذا التجاور ربما كان له ما يبرره ، فقد ذكر صاحب اللسان أنَّ (هَاتِ) فعلٌ أمرٌ من هَاتَيْ يَهَاتِي مَهَاتَاءً بسوزن مُفاعلة مثل مَاطَى يُعَاطِي ^(١) ، وتحققنا لهذه المشابهة ، فلقد وضعه صاحب اللسان في باب الواو والياء فصل الهاء : هتا مثلـه عطا ، ولم يُعَدِّ الأصل فيه هيت ، وكذلك فعل صاحب القاموس المحيط ^(٢) .

وذكر المرحوم الشيخ محمد محيي الدين أنَّ (هَاتِي) (هَاتِي) بفتح الهاء على مثال قَاتِي يُقَاتِي ^(٣) .

وذكر السيوطي هذا الفعل (هَاتِي) مع الأفعال غير المتصرفة ، إلاَّ أنه قال " وربما قيل هَاتِي يَهَاتِي " ^(٤) .

ونصَّ ابنُ الأنباري على أنَّ المضارع من هذا الفعل كان مستعملًا " فإِذَا قَالَ رَجُلٌ لِرَجُلٍ : هَاتِ يَارَجُلُ ، فَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ لَهُ : لَا أَفْعَلُ . قَالَ : لَا أَهَاتِي " ^(٥) .

(١) اللسان مادة هتا ج ٢٠ ص ٢٢٧ .

(٢) القاموس المحيط مادة هتا ج ٤ ص ٤٠٥ .

(٣) شرح تذوُّر الذهب هامش ص ٢٩ .

(٤) همع الهوامع ج ١ ص ٨٣ .

(٥) شرح القصائد السبع الطوال ص ٥٦ .

وهناك شطر من الرجز أنشده ابن منظور وابن يعيش ولسم^(١)
ألف على ثالثة وفيه المضارع : لك ما يعطى وما يهاتى^(٢) .

من الواضح إذن أن هذا الفعل متصرف ، ولكن المبرر الذي من
أجله وضع السيوطي في باب الأفعال غير المتصرف^(٣) أن كل هذه
التصرفات قد أميتت ولم يبق إلا الأمر فقط فكانه بذلك
قد نزل منزلة الفعل غير المتصرف . وقد شخ على ذلك ابن منظور
حيث يقول " ولكن العرب قد أماتت كل شيء من فعلها غير الأمر^(٤) ،
فيقال : هات ، وهاتيا ، وهاتوا وهاتى وهاتيا وهاتين^(٥) .

قال امرؤ القيس :

إذا قلت هاتى تؤليبنى تمايلت^(٦) علق هفيم الكشح ربا المظحل^(٧)

وربما اتعلت به هات المفعول به ، فيقال :

هاتى ، هاتيا ، وهاتوا ، وهاتى ، وهاتين^(٨) .

ولم يأت هذا الفعل في القرآن الكريم إلا في صيغة الأمر
المسند إلى واو الجماعة (هاتوا) كقوله تعالى : " قل هاتوا^(٩)
برهانكم إن كنتم صادقين " .

(١) اللسان مادة هتا ج ٢٠ ص ٢٢٧ وشرح المفصل ج ٤ ص ٣٠ .

(٢) جمع الهوامع ج ٢ ص ٨٢ .

(٣) اللسان ج ٢٠ ص ٢٢٧ .

(٤) شرح الصائبد للسبع الطوال ص ٥٦ .

(٥) السابق ص ٥٦ . (٦) اللسان ج ٢٠ ص ٢٢٧ .

(٧) البقرة آية ١١١ ، وقد جاء أيضا في الأنبياء - ٢٤ والنمل

- ٦٤ والقصص - ٧٥ .

وبنغرد الزمخشري من يلقى النحاة بأنّه يعدّ هذه الكلمة (هات) اسم فعل وليست فعلاً ، وقد ذكرها في أول مبحث أسماء الأفعال والأصوات وتابعه في ذلك شارح مغلله دون اعتراض عليه . قال الزمخشري " أسماء الأفعال والأصوات ، وهي على ضربين وهات الشيء أي أعطيته " ^(١) . وقال ابن يعيش شارحاً قول الزمخشري : " ومن ذلك هات الشيء أي أعطيته ، وهو اسم لا عطني وناولني ونحوهما ، وهو مبنى لوقوعه موقع الأمر ، وكُسِرَ لالتقاء الساكنين الألف والتاء وكأنه من لفظ (هَيْت) ومعناه " .

ووافح أنّ ابن يعيش جعل أصل المادة (هَيْت) من حيث اللفظ والمعنى لكي يستقيس زأيه أنّ (هات) اسم فعل ، بعكس ما فصل صاحب اللسان والقاموس المحيط اللذان جعلاً أصل المادة (هتا) كما سبق .

وقد ردّ ابن هشام وكذلك الشيخ محمد محيي الدين على قول الزمخشري بأنّ (هات) فعل بدليل اتصال فاعل الرفع البارزة بها ، ثم أنشد ابن هشام بيت امرئ القيس إذا قلت هاتي دليلاً على فعلية (هات) لاتصال ياء المخاطبة به ، أما اسم الفعل فهو كالعقل لا يتغير فتقول له الواحد والاثنين والجماعة .

وربما كانت (الهاء) التي في أول (هات) هي التي أوهمت

(١) شرح المفصل ج٤ ص ٢٥ .

(٢) السابق ج٤ ص ٢٠ .

(٣) شرح شذور الذهب ص ٢٨ و ٢٩ وانظر هامشيتهما .

الزمخشريّ أن الكلمة (هات) اسمُ فعلٍ ، لأنَّ هناك كثيراً من أسماء
الأفعال والأصوات تبدأ بحرف (الهاء) نحو : هَا وَهَيْتَ ، وَهَبَاتٍ
وَهَلَا وَهَى ... (١)

وقد رأى بعضُ النحاة - ربما من أجل رُبع هذا الوهم - أنَّ
(الهاء) في (هات) إنما هي مبدلةٌ من الهمزة ، فالأصل آتيسى
يُواتِى (٢) ، ولا يُستبعدُ مثلُ هذا الرأي ، فهناك كثيراً من حالات
هذا الإبدال كقول رجلٍ من نَحْيٍ فيري معروفٍ :

أَلَا يَبَاسُنَا بَرِّقَ عَلَى قَلِيلِ الْيَحْسِ * * * لَيْهَنَّكَ مِنْ بَرِّقٍ عَلَى كَرِيمٍ (٣)

أي لأنك :

وكبيت الشعر الذي لم يُعرف قائله :

وَأَتَى مَوَاجِبُهَا فُقُلْنَ : هَذَا الَّذِي * * * مَنَحَ الْمَوَدَّةَ لِمَبْرُوسَا وَجَفَانَا (٤)

أي أذا والهمزة للاستفهام .

(١) انظرُ مبحثُ أسماء الأفعال والأصوات في شرح المفصل ج٤ ص ٢٥
والكافية ج٢ ص ٦٥ وشرح التصريح على التوضيح ج٢ ص ١٩٦
وغيرها من المراجع .

(٢) اللسان ج ٢٠ ص ٢٢٧ وشرح المفصل ج٤ ص ٢٠ .

(٣) مقنن اللبيب ص ٢٠٤ .

(٤) السابق ص ٤٥٥ .

وكقول الشاعر :

لَهْنَكِ مِنْ عَيْسِيَّةٍ لَوْ سِيَمَةٌ * عَلَى هَفَوَاتٍ كَاذِبٍ مَنْ يَقُولُهُنَّ^(١)

ويقال : أَرَقْتُ الماءَ وهناك من يبدل من الهمزة هاء فيقول هَرَقْتُ الماءَ .^(٢)

ولا يُستبعد مع هذه الحالات أن يكون آتِي يُؤَاتِي هي الأصل في هَاتِي يُهَاتِي ، وبذلك ندفع وهم من رأى أن هات اسم فعل .

كان هذا من فعل الأمر (هات) فماداً عن (تعال) ؟ إنَّ التاء في (تعال) زائدة كقولك في الأمر تَعَلَّمْ وَتَمَرَّنْ وَتَفَضَّلْ . وقد ذكر ابنُ منظور هذا الفعل - تعال - في مادة علا، وذكر من اشتقاقاتها علا ويعلو وحرف الجر على واستعلى والأعلى ، وَعَالِيَّتُهُ على الحمار وَعَلَّيَّتُهُ عَلِيَّةٌ وَنَاقَةٌ عَلِيَّةٌ وَعِلْبَانٌ أي مرتفعة السير ، والعَلَيَّونَ الذين ينزلون أعالي البلاد ..^(٣)

فكل اشتقاقات هذه المادة تدل على العلو والارتفاع ، ومن كَمَّ كان فعلُ الأمر (تعال) بمعنى ارتفع واسمٌ ، وهو من تَعَالَى يَتَعَالَى كَتَرَامَى يَتَرَامَى^(٤) ، فهذا هو الأمر ثم الماضي ثم المضارع فكيف يكون الفعلُ فيز متصرفاً إنَّ عدمَ التصرف هنا مقترونٌ باستعمال معين لا يتعداء ، وذلك إذا استعملت (تعال) في النداء بمعنى (أقبل)

(١) الإنصاف ج١ ص ١٢٩ .

(٢) شرح القوائد السبع الطوال ص ٢٦ و ٢٦٥ .

(٣) اللسان مادة علا ج١ ص ٢٢٤ .

(٤) حاشية الجمل على الجلالين ج١ ص ٢٨٢ .

ففي هذه الحالة يقتصر الاستعمال على الأمر دون غيره ، " فلا تقول تعاليت ولا ينهى عنه " (١) .

وأملُ الفعل (تعال) كما يتبين من معناه " طلب الإقبال من مكان مرتفع تفاؤلاً بذلك وإدناً للمدعو لأنه من العلو والرفعة ، ثم توسع فيه فاستعمل في مجرد طلب مجيء حتى يقال ذلك لمن تريد إهانته كقولك للمدو : تعال، ولمن لا يعقل كالبهائم ونحوها ، وقيل هو الدعاء لمكان مرتفع ، ثم توسع فيه حتى استعمل في طلب الإقبال إلى كل مكان حتى المنخفض " (٢) . ولا يُجائزُ أيُّ يكون المدعو في مكان أعلى من مكان الواعى أو مكان دونه " (٣) .

أمّا إذا استعمل في غير النداء فهو مستمر كأن تقول تعالني فلان من المفاخر " أي بعد وارتفع ، وكان يتعالى عليه " أي ينأى بجانبه ويتكبر . وكما قلنا في (هات) نقول في (تعال) " إشتهسا فعل أمر صريح وليس باسم فعل لاتصال المفاخر المرفوعة البارزة به : تعالينا وتعالوا وتعالني وتعالين ، وجاء هذا الفعل مسنداً إلى أو الجماعة في القرآن الكريم سبع مرات (٤) كما جاء مسنداً إلى نسوة النسوة مرة واحدة (٥) .

ونحن أن هذين الفعلين في صيغة الأمر : هات وتعال كثر استعمالهما الآن ، لا سيما على ألسنة العوام .

(١) اللسان ج ١٩ ص ٢٢٤ .

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ١ ص ٢٨٢ .

(٣) اللسان مادة علا ج ١٩ ص ٢٢٤ .

(٤) آل عمران : ٦١ و ٦٤ و ١٦٧ والنساء : ٦١ والمائدة : ١٠٤ ،

الانعام : ١٥١ والمنافقون : ٥ .

(٥) الأحزاب : ٢٨ .

يَهِيْطُ وَيَسْوِي

هذان الفعلان غير مستعملين . فأما الأول فقد أُميت ، وقد ذكره السيوطي في الهمع حيث قال : " ويهيط : يصيح ويضع ، لسم يستعمل إلا مضارعاً . يقال : ما زال منذ اليوم يهيط هبطساً .^(١) وقد ذكره ابن مالك أيضاً في التسهيل .^(٢)

وقد اقترن لفظ (الْيَهِيْطُ) بلفظ (الْمَهِيْطُ) ، فيقال هَيْطٌ وَمَهِيْطٌ أي سياح وجلبة أو دنو وتساعد . والهاشط الذاهب ، والهاشط الجاش .^(٣)

والذي أظنه أن هذين اللفظين وأشباههما كانا من نطق عوام العرب في عصر قديمة ، يدلُّ على ذلك اختلاف عين الكلمة فيهمسها وفي أشباههما فيقال " مهايطة مهايطة ومعايطة ومسايطة " ثمَّ إنَّ النحاة - من بعد - قد وفعوا اسمي الفاعل (هاشط وماشط) ، والفعل المضارع (يَهِيْطُ) ، فقالوا " ما زال منذ اليوم يهيسط أي يصيح " .^(٤)

ولم أجد فيما اطلعت عليه من مراجع نحوية ولغوية - عدا همع الهوامع وتسهيل الخواشي واللسان - شواهد لاستعمال هسسسا الفعل أو اسمي الفاعل ، بل لم أجد ذكرًا للفعل نفسه أو لاسمسي الفاعل . وقد نصَّ ابن منظور على أنَّ هذا الفعل قد أُميت .^(٥)

(١) همع الهوامع ٨٣/٢ .

(٢) التسهيل ٢٤٧ .

(٣) اللسان مادة هيط ج ٩ ص ٣٠٢ .

(٤) السابق ٣٠٢/٩ .

(٥) السابق ٣٠٢/٩ .

ولكن الشيء اللافت للنظر هنا أنَّ ابنَ منظورٍ قد جمعَ بين (مَهايِطة ومَسايِطة ومَعايِطة ومَمايِطة) ، فقال " يقال بينهما مهايطــــــــــــــــة ومسايطه ومعايطه وممايطه " أي بينهما كلامٌ مختلفٌ " فهل هناك علاقة بين هذه الكلمات ؟ أو قل هل هناك علاقة بين مادة هيظ التي نحن بمدها وبين المواد الميظ وميظ وسيظ ؟

لقد رأينا أنَّ الذهلَ (يَهِيظُ) بمعنى يصيح ، وهو غير متصرف ، فلا يستعمل الماضي هاظ ولا الأمر هظ . غير أنَّ اقترانَ (هيظ) بـ (ميظ) في قولهم : " مازال في هيظ وميظ " وفي قول الفراء " تهايط القوم تهايطا " إذا اجتمعوا وأملحوا أمرهم ، وتمايطوا إذا تباعدوا " ^(١) يشير في النفس الظنَّ أنَّ (هاظ) كسان متصرفاً ومستعملاً ، لأنَّ مَاط الذي اقترن به متصرفٌ مستعملٌ . فسال الأعرشي مستعملاً المفارع والأمر :

فَمِيطِي تَمِيطِي يُمِيطُ الْفَوَادِ * * * وَوَصَّالٍ حَبِيلٍ وَكُنَادِهِ ^(٢)
وقال المثقب العبدى :

وَلَكِنَّهَا يَمَّا تُمِيطُ مَسْوَدَةً * * * بِشَاشَةٍ أَدْنَى ظِلِّ تَسْتَفِيدُهَا ^(٣)
وماظ وأماظ بمعنى بُعد وتحنُّ ، ومنه إِمَاطَةٌ الأذى عن الطريق ^(٤) ، وحديثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم " .. فإذا وقعتْ لِقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فليأخذَهَا ، وليُمِيطْ ما كانَ يَها مِنْ أذى وليأكلَهَا ...

وأما مادة عيظ فلها كثير من الاشتقاقات ، فعنها مَاطَتِ النَّاقَةُ عَيَاطًا وَتَعَيَّطَتْ ، واعتاطت أي لم تحمل سنين من غير عقر ، والأعبطُ العالى ، قال سويدُ بن كاهل الشكري :

مُتَعَبِيًا يَرْدِي صَفَاةً لَمْ تَرِمَ * * * فِي ذُرَى أَعْيَظَ وَهَرِ الْمَطْلَعِ ^(٥)

-
- (١) اللسان مادة هيظ ج ٢ ص ٢٠٢ ومادة ميظ ج ٩ ص ٢٨٦ .
(٢) في ديوانه القصيدة الشامنة ، البيت الثالث وعجزه : ومول حَسَّالٍ وَكُنَادَهَا .
(٣) المغفليات ص ١٤٩ .
(٤) اللسان ج ٩ ص ٢٨٦ .
(٥) صحيح مسلم ج ٦ ص ١١٤ كتاب الأشربة . ط صبيح دون تاريخ .
(٦) المغفليات ص ١٩٩ .

وقال حارث بن حلزة :

قَبْلَ مَا الْيَوْمُ بَيَّضَتْ بَعْيُونِ الْ ^١ شَانِ فِيهَا تَعِيْطُ وَإِنْ سَا ^(١)
أي ارتفاع وامتناع .

وأما سَاطَ ، فَالَسَّوْطُ خُلِطَ الشَّيْءُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَسَاطَ الشَّيْءُ ^(٢)
سَوَاطًا وَسَوَاطَةً ، خَاضَهُ وَخَالَطَهُ . قال كعب :

لَكُنْهَا خَلَّةٌ قَدْ سَيْطَ مِنْ نَرْمِهَا ^٣ فَجَّ وَوَلَعَ وَإِخْلَافًا وَتَبْدِيلًا ^(٣)
وَسَمَّى السَّوْطَ سَوَاطًا ، لِأَنَّهُ إِذَا سَيْطَ بِهِ إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ خُلِطَ السَّدَمُ ^(٤)
بِالْحَمِّ . قال الشماخ :

فَصَوَّبَتْهُ كَأَنَّهُ صَوَّبٌ غَيْبِي ^٤ عَلَى الْأَمْعَرِ الْفَاحِشِ إِذَا سَيْطَ آخَرًا ^(٥)
وقد أوردتُ كُلَّ هَذِهِ التَّصَوُّصِ لِأَنَّهُ ثَبَتَ أَنَّ مَا اقْتَرَنَ بِالسَّوْطِ ^(٥)
(بِالْهَيْطِ) مَتَعَرِّفٌ مُسْتَعْمَلٌ ، فَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَمْنَعُ مِنَ الظَّنِّ أَنَّ (بِالْهَيْطِ)
نُظْمَةً كَانَتْ مَتَعَرِّفًا وَمُسْتَعْمَلًا ، ثُمَّ إِنَّهُ تَلَاشَى تَدْرِيجًا حَتَّى انْقَرَضَ
وَأُمِيتَ .

(١) شرح المصطلحات ص ٤٥٨ .

(٢) اللسان ج ٩ ص ١٩٨ .

(٣) شرح ديوان كعب بن زهير ص ٨ . تحقيق السكري . دار الكتب ،
١٩٥٠ .

(٤) اللسان ج ٩ ص ١٩٨ .

(٥) بحثت في ديوانه ص ٢٦ (بتحقيق الشنقيطي . مطبعة السعادة
١٣٢٧هـ) ، فلم أجدَ هَذَا الْبَيْتَ ، وَوَحَّدْتُ قَصِيدَةً كَامِلَةً مِّنَ
الْبَحْرِ الطَّوِيلِ عَلَيْهِ وَحَرْفَ رَوِيهِ الرَّاءِ ، وَنَفْسَ الْقَافِيَةِ ، وَلَكِنِّي
لَمْ أَجِدْ هَذَا الْبَيْتَ مِنْهَا ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ سَقَطَ ، أَوْ أَنَّهُ زَائِدٌ
فِيمَا أَطْلَعَ عَلَيْهِ ابْنُ مَنْظُورٍ .

وأما الشان (يَسَوِي) فقد وضعه السيوطي أيضا في عداد الأفعال غير المتصرفية ، حيث لم يستعمل إلا المضارع ولكن أبسن مالك لم يذكره في التسهيل ^(١) .

وهناك أكثر من نحوي ولغوي أنكروا وجود هذا الفعل ، أو حكموا بندوته وبيان المستعمل هو سَاوَى يُسَاوِي . قال الفراء : هذا الشيء لا يساوي كذا . ولم يعرف يَسَوِي كذا ^(٢) وأيده في ذلك الأزهرى وقال : " وقول الفراء صحيح " . وقال الليث : " يَسَوِي نادرة ولا يقال منه سَوَى ولا سَوَى " وقد روى من الشافعي : " وأما لا يَسَوِي فليس بعربي صحيح " ^(٣) .

ونظن - بعد أن رأينا أن (يَسَوِي) غير مستعملة ويساوي هي المستعملة - أن (يَسَوِي) معدولة عن يساوي إن صح هذا التعبير ^(٤) وربما كان هذا المعدل لهجة من اللهجات أو هو للتخفيف من المعد الذي في (يساوي) وأنه كان نطقا نفيرا من العرب ثم انقرض هذا النطق بعد ذلك .

(١) معجم الهوامع ٨٣/٢ .

(٢) الصحاح ج ١ ص ٢٤٨٥ .

(٣) اللسان ج ٩ ص ٣٠٢ .

(٤) أخذنا هذا الاصطلاح من قول النحاة في باب الممنوع ممن الصرف إنَّ عمرَ معدولٌ عن عامِرٍ وزفرٌ معدولٌ عن زافرٍ .

نَكَّرَ

ورد هذا الفعل في قول الله سبحانه وتعالى : فَلَمَّا رَأَى
أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ^(١) .

وردد أيضا في قول الأعشى :

وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَّرْتَ * * * من الحوادث إِلَّا الشَّيْبَ وَالْمَلَمَّةَ ^(٢)

وفي قول أبي ذؤيب :

فَنَكَّرْتَهُ ، فَتَفَرَّنَ ، وَأَمْتَرَسَتْ بِهِ * * * سَطَعًا هَادِيَةً وَهَادٍ جُرْمًا ^(٣)

وفي جميعها استعمل الفعل (نكَّرَ) في زمن الماضي ولم يجرى
المضارع ينكَّرُ بفتح الياء ، وأقول بالغشج لأن المضارع يشم الياء
جاء كثيرا وهو ماضى آنكَرَ .

وقد جاء في اللسان " أن نكَّرَ لم تستعمل في شاعر ولا أعرابي
ولا نهى " ^(٤) . وقد شككت في معنى شاعر : هل هي بمعنى الماضي ؟
فرجعت إلى اللسان أيضا (مادة) غير وجدت أن الفعل تَنَكَّرَ بمعنى
ذهب وبمعنى مكث زحلق ، والغابر الباعث والغابر الماضي وهو مسن

(١) هود - ٧٠ .

(٢) ديوان الأعشى الكبير ، القصيدة الثالثة عشرة . تحقيق د. محمد
محمد حسين بيروت ط ٢ ١٩٦٨ .

(٣) شرح المفغليات ص ٨٦٧ .

(٤) اللسان ج ٧ ص ٩١ .

الأضداد . وقال الأزهرى " المعروف الكثير أن الغابر الباقى
قال : وقال غير واحد من الأئمة أن يكون بمعنى الماضي " (١)

وعلى ذلك فإن معنى غابر فى قول ابن منظور بمعنى باقى
أي مضارع .

وحقيقة الأمر أن نكر وأنكر لغتان، ولكن المضارع يُنكر
(بضم الياء) مستعمل للثنيين ولم يجرى المضارع من (نكر). والذي
يبدل على ذلك :

١ - أن الطبري فى تفسيره للآية الكريمة " نكروهم وأوجس
منهم خيفة " (٢) قال : " نكرت الشيء وأنكرته وأنكرتُـه
وأنكرته بمعنى واحد . فجاء بالمضارع يُنكر بضم الياء للماضى
الرباعي وجعله للثلاثي أيضا، ولم يجرى له يُنكر بفتح الياء ، وأنه
عندما تعرض لبیت الأمشى .

وأنكرتنى وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والملح
قال : " فجمع بين اللغتين " أي أنكّر ونكر (٣)

٢ - كسر القرطبي ما قلّه الطبري وزاد عليه أن نكرت لما شراه
بمعينك وأنكرت لما شراه بقلبك (٤)

(١) اللسان ج٦ ص ٣٠٥ .

(٢) هود / ٧٠ .

(٣) تفسير الطبري (جامع البيان ٠٠٠) ج٥ ص ٢٨٨ تحليل
محمود شاكر دار المعارف ١٩٦٠ .

(٤) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج٩ ص ٦٦ دار الكتب
المصرية ٩٢٩ .

٣ - قال شارح ديوان الأعشى عندما علق على بيته الصاهسسق
 " نِكْرَه وأنكره : جهله ولم يعرفه " ^(١) فعطف الرباعي على
 الثلاثي مما يدل على أنهما بمعنى واحد .

فإذا عرفنا أنَّ (نِكر) و(أَنكر) لغتان جارتان أن نقول إنَّ
 الثلاثيَّ هو الأصل ، وأنه كان لهجةً من اللهجات القديمة ، وكان له
 مضارعٌ (بفتح الياء) ثم تعدى الماضى بالهمزة فأصبح (أَنكسر)
 ومضارعه يُنكر (بضم الياء) ، ثم أصبح هذا الفعل هو المضارع لكل
 من الثلاثي نكر والرباعي أنكر ، وذلك بعد أن هُجر المضارعُ يَنكسر
 (بفتح الياء) ، وصار الاستعمالُ مقصوراً على ما فيه لفظ (نِكر) .

(١) شرح ديوان الأعشى القصيدة الثالثة عشرة .

وَقُلْ (هَٰذَا مِنْ رَجُلٍ) لَفَتَانِ فَمَتَّعَهُمْ مِنْ يُجْرِهِ صُجْرَى الْمَصْدُورِ
فَلَا يَبُوتُهُ وَلَا يَشْنِيهِ وَلَا يَجْمَعُهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يُوْتِي وَيَشْنِي وَيَجْمَعُ
فَيَقُولُ : هَٰذَاكَ وَهَٰذَاكَ وَهَٰذَاكَ وَهَٰذَاكَ .^(M)

(١) القاموس المحيط ج١ ص ٣٦١ • (٤) السابق ج٤ ص ٤٤٤ •
 (٢) الجمع ٨٢/٢ • (٥) القاموس ج١ ص ٣٦١ •
 (٣) اللسان ج٤ ص ٤٤٤ • (٦) النهاية في غريب الحديث ج٤
 ص ٢٥٧ •
 (٧) اللسان ج٤ ص ٤٤٤ •

نقاشج البحث

وبعد ...

فَلَعَلَّسَ أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ الْأَفْعَالَ غَيْرَ الْمُتَصَرِّفَةِ وَشِبْهَ الْمُتَصَرِّفَةِ ،
وتناولها بالدرس والتحليل والتمحيص والتأصيل ، وَهَيْتَــــنَ
استعمالاتها المختلفة ورصد التطور في هذه الاستعمالات ، واجتهد
في بيان أسباب عدم تصرفها ، وهي أسباب تُمَتُّ بِمِلَّةٍ لِبِنْيَةٍ بَعْضُ
هذه الأفعال أو لأحكام استعمال بعضها ، أَوْ لَأَنَّ بَعْضَهَا قَدْ أُمِيتَ
وَحَلَّتْ مَحَلَّهَا أَعْمَالٌ أُخْرَى .

ولم أرتض في بداية البحث التسمية الشائعة لهذه الأفعال
وهي (الجامدة وشبه الجامدة) ورأيت أن التسمية اللائقة بهــــا
هي الأفعالُ غَيْرُ الْمُتَصَرِّفَةِ وَشِبْهُ الْمُتَصَرِّفَةِ ، ذلك أن الجامدة هو ما لم
يؤخذ من غيره ، وهذه الأفعالُ قَدْ أُخِذَتْ مِنْ غَيْرِهَا ، فكيف تكون
جامدة ؟ ثم إنَّ الجامدَ عكسُ المشتقِّ والأشنان قسمان للاســــم ،
أما التصرف وعدم التصرف فهما قسمان للفعل ، اصطلح على ذلك
جمهور النحاة ، إِلَّا أَنَّهُمْ عِنْدَمَا جَاءُوا إِلَى الْأَفْعَالِ مَوْضِعَ بَحْثِنَا
أطلقوا عليها الْأَفْعَالَ الْجَامِدَةَ وهذا كَسَبُّ وَقَعُوا فِيهِ ، وربما كانوا
يقصدون بالجامد عكسَ المتصرف ، وليس عكسَ المشتقِّ .

هذه الأفعال إذاً ليست جامدة ، بل إنها اشْتُقَّتْ أَوْ أُخِذَتْ مِنْ
غَيْرِهَا ، مِنْ أَجْلِ هَذَا بَحَثْنَا فِي الْأَشْتِقَاقِ فَوَجَدْنَاهُ نَوْعَيْنِ :

(أ) الاشتقاق بمعناه العام Derivation ، كَانَ تَشْتَقُّ من الكلمة
اسم فاعلٍ أو اسم مفعولٍ أو مفعلةً مشبهةً أو ... وهذا هو
الاشتقاق المتعارف عليه مدرسياً ..

(ب) الاشتقاق التاريخي Etymology ، وهو تتبع التاريخي للمعاني المشتقات من الكلمة الواحدة ، أو إرجاعُ معنى من المعاني إلى اشتقاقه من كلمة ما لعلاقة دلالية قديمة تجمع بينهما ، وقد ذكر السيوطي في مُزهره ، وياقوت في معجم البلدان ، وفندريس في كتابه (اللغة) أمثلة كثيرة لهذا النوع من الاشتقاق ، فـ (مِنَى) مثلا سُميت بهذا الاسم لما يُمنى فيها من الدماء . وَالسُّنْدُ بلادٌ بين الهند وكرمان وسجستان ، قالوا السند والهند كانا أخوين مِنْ وَلَدِ بُوَيْرَ بْنِ يَقْطَنَ بْنِ حَامِ بْنِ نُوْحٍ ، يقالُ للواحد من أهلها سندي والجمع سنسد ، وماريشال إنما كان اشتقاقها من خادم الاصطبل في الألمانية القديمة . . . إلى آخر ما جاء في هذه الكتب الثلاثة .

ولم يكن ذكرُ الاشتقاق التاريخي عبثاً أو إطالةً للبحث ، ذلك أننا اعتمدنا عليه في تأصيل أغلب الأفعال موضوع بحثنا ، بالرجوع تاريخياً إلى أصل المادة التي اشتقَّ منها الفعلُ وبيانِ العلاقة الدلالية بين أصل المادة والفعل ، وربما استعنا في ذلك أيضاً بالمقارنة اللغوية .

فالفعل غير المتعريف (لَيْسَ) مثلاً شراءً مكوناً من لا النافية والفعل ليس بمعنى يوجد أو يكون، بدليل قولهم لَا يَعْرِفُ أَيُّ مِثْنٍ*

كَيْسَ ، أي لا يعرف ما يكون مما لا يكون . والخليل يرى الأصل فيها لا آيس ثم طرحت الهمزة والزقت اللام بالياء ، وهي في العبرية تتقارب في نطقها مع العربية بعد ابدال السين شيئا .

والفعل (نَعَمَ) يَرْجِعُ إلى مادته الثلاثية (ن ع م) التي تَدُلُّ على الترف وسعة العيش وبحبوحته والرخاء . وكلُّها معانٍ تسدعو إلى المدح الذي يدل عليه الفعل غير المتصرف (نعم) والسدي وجسد بعد وجود هذه المعانسي .

وكذلك الحال في نقيضه (بش) فتجد فكرة الاشتقاق التاريخي متحققة أيضا ، فالمادة الثلاثية تشير إلى الضك والضييق والبؤس ، فيُرجع أنها في زمن ما قد استعملت في معنى متقارب لهذه المعانسي وهي الذم . ثم استمر هذا المعنى مستعملا إلى الآن .

وحيدا مكونة من حبٍّ واسم الإشارة ذا ، وواضح أن معنسى المدح قريب من (حب) بل ملتمق بها ، فالإنسان لا يمدح إلا ما يحبُّ .

والفعل (لا يكون) انتزع من استعماله كفعل ناقص ، ووقع في أساليب الاستثناء على حالته تلك دون أن يتعداها إلى ميغلة أخرى (كالماضي مثلا ...) ، ويدل على هذا (الانتزاع) أنه محدود الاستعمال ، إن لم يكن نادره ، في أسلوب الاستثناء ، وهذا لم يتم في فترة محدودة ، بل هو نتيجة للتطور في الاستعمال وهكذا نجد أن فكرة الاشتقاق التاريخي متحققة في معظم هذه الأفعال .

والأفعال غير المتصرفية وشبه المتصرفية من (كان وأخوتها) هي:

لا يكون وليس ودام وزال وفتى ، وبرج وانفك .

فأما (لا يكون) فهو غير متصرف في حالة خاصة به . وذلك
 عندما يكون فعلاً من أفعال الاستثناء . ولا يوجد شاهد على ذلك ،
 وكذلك الحال بالنسبة للفعل (ليس) ، فلم أرَ شاهداً على استعماله
 كفعل من أفعال الاستثناء ، إلا قول روية :

عَدَدَتْ قَوْمِي كَعَدِيدِ الطَّيْشِ * * * إِذَا فَهَبَ الْكِرَامُ لَيْسَ
 وحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " يُطَبِّعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ خُلُقٍ
 لَيْسَ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ " وقوله : " لَيْسَ أَبَا الدَّرْدَاءِ " وقد
 بحثت عن الحديث الأول في صحيح مسلم فلم أجده ، ووجدته في إحياء
 علوم الدين بنمي آخر ، لم يستعمل فيه (ليس) ، والثاني قال عنه
 محقق المغني إنه لم يجده في كتب الصحاح ، وورد في معظم تراجم
 سيويه . وهذا يدل على أن هذين الفعلين قد وُضعا أصلاً للنسخ
 وليس للاستثناء ، ويدل على ذلك أيضاً أن إعرابهما واحد فليس
 الاستثناء والنسخ . وربما كان استعمالهما في أسلوب الاستثناء
 راجعاً إلى أن معنييهما واحد ، وهو عدم الوقوع وتلفي الكسوف
 المطلق ، وهو ما سوغ للنحاة أن يقولوا بأنهما جاءا في بعض
 الأساليب للاستثناء .

واختلاف النحاة في حرفية (ليس) أو فعليتها راجع إلى الأصل
 الذي تتكون منه ، فهي مكونة - كما بينت - من الحرف لا والفعل
 ليس ، لذلك قلب بعض النحاة الحرفية عليها ، وقلب بعضهم الفعلية ،
 وكان لكل فريق شواهد من الاستعمال يؤيد بها رأيه ، والحقيقة
 أن الإنسان لا يستطيع أن يرفع تعريفاً جامعاً مانعاً لكل ألفاظ اللغة ،
 بحيث يرفع كل لفظ تحت عنوان محدد : اسم أو فعل أو حرف ،
 ذلك أن الحدود اللغوية إنما وُضعت بوجه عام ، ولم تحسب ورود

كلمة مثل (ليس) فيها كَدْرٌ من خصائص الحروف وقدرٌ من خصائص الأفعال، ومن غير الممكن أن نضع تعريفاً جامعاً لها ولأمثالها مانعاً غيرها من الدخول في هذا التعريف. وذلك لأن (ليس) ليست أصلاً في ذاتها .

والفعل (دام) متصرف، وله كثيرٌ من الاشتقاقات وذلك في كل معانيه ، إلا حيث يكون فعلاً ناقصاً من أخوات (كان) ، فإنه حينئذ لا يجيء إلا في زمن الماضي ، ولا يحاوره إلى المضارع أو الأمر أو اسم الفاعل وما كان ذاك إلا لسبقه بـ (ما) الممددة الطرفية التي لا تدخل في الأغلب الأعم إلا على الفعل الماضي ناقصاً كان أم تاماً ، وربما تدخل - في بعض الأحيان - على المضارع ، شريطة أن يكون مسبقاً بـ (لم) ، وغير بعيد عنا قول النحاة " لم حرف نفى وجزم وقلب " فالمضارع في تلك الحالة إنما هو ماضٍ في زمانه .

على أن الصبان لم يفرق بين استعمال (دام) الناقصة في الماضي وبينها في المضارع (يدوم) أو في الممدر (دوام) ولكنه لم يأت بشاهد على ذلك .

يبقى بعد ذلك من أخوات كان : زال وانكسرت وبرز وهي شبه متصرفية ؛ أي أنَّ صرفها غير كامل ، فلم يستعمل منها الأمر أو الممدر ، وجميعها تعطي معنى واحداً وهو الزوال والذهاب والتلاشي والانقضاء ، فكاننا عندما ندخل عليها حرف النفي (ما) تطبق القاعدة التي تقول : " نفى النفي إثبات " ، ومن ثمَّ فهي تدل

على الاستمرار . أما عن عدم مجيء الأمر أو المصدر من هــ هذه
الأفعال فامرٌ يرجع إلى طبيعة استعمالها ، إذ لا بد أن يكونَ
قبلها نفيٌ، ومعلومٌ أنَّ (لا) النافية لا تدخل على فعل الأمر، إذ إنه
حينئذٍ يصبح فعلاً مضارعاً مجزوماً بـ (لا) التي أصبحت ناهيةً
نحو : العبي ولا تعلبوا ، وكذلك الحال في تلك الأفعال ، فالأمرُ
من زال : زال ، فإذا أدخلنا (لا) قبلَ الأمرِ صارت بمشابهة نهي ،
وصار الفعلُ بعدها مضارعاً مجزوماً بها كقول الشاعر :

صَاحَ شَقَرٌ وَلَا تَزَلْ دَاكِرُ الْقَوْمِ * * * يَكْفِيَنَّاهُ ضَلَالٌ مُبِينٌ
أو بقيت نافيةً والفعلُ بعدها يكون مضارعاً مرفوعاً كقول
الشاعر :

فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا * * * وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسَ لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي
أي : لا أبرح .

هذا عن (لا) . أما (ما) النافية ، فهي لا تدخل على الأمر
بوجه عام . ولما كان المضارعُ يضرعُ اسمَ الفاعلِ جَارَ استعمالِ اسمِ
الفاعلِ من هذه الأفعال . هذا عن الأمرِ أمّا عن المصدرِ فإن استعماله
ناقصاً ، أي عاملاً عمل (كان) ، أمرٌ لم يجزِ الاستعمالُ بهـ ،
لأن التركيبَ حينئذٍ لا يجمع بذلك والمعنى لا يَتَأَثَّرُ . ويتضح ذلك في
قولنا " لا زوال لجرى محمد " إذا استبدلناها بـ " لا يزال محمدٌ
جارياً " أو " مازال محمدٌ جارياً " فاستعمالُ المصدرِ في الجملة
الأولى بَعْدَ المعنى ، وَجَعَلَهُ قَرِيباً غَيْرَ سَائِغٍ ، هذا بالإضافة إلى
استعمال حرف الجر (اللام) في (لجرى) الذي نقضَ عمل (زال) ،

وأمبحت الجملة مثالا على (لا) الشافية للجنس أكثر من كونها
شاهدًا على (زال) الناقصة .

ومن الأفعال موضوع بحثنا أفعال المقاربة : كاد وكسرب
وأوشك فهي شبه متصرفة . فأما (كاد) فيأتى منها الماضى
والمفارع ، والاشنان متقاربان فى الاستعمال ، أما اسمُ الفاعل
فلم نره مستعملا إلا فى بيت كثير عزة :-

أَمُوتُ أَسَى يَوْمَ الرَّجَامِ، وَإِنِّي * * * يَقِينًا لَرَهْنٌ بِالَّذِي أَنَا كَائِدٌ

ومع ذلك فإن هناك رواية أخرى لهذا البيت تنتهى بـ(كابد)

ولقد رأينا أن نلقى (كاد) نلقى ، وإشباتها إثبات بعكس
ما يرى بعض النحويين . وهناك لهجات فى (كاد) فقد ذكر سيبويه
(كيد) بكسر الكاف كما هى مكسورة فى (كيدت) ، وأورد ابن منظور
لغة لبنى عدى فهم يقولون : كُدت بلم الكاى .

وأما كَرَبَ فتأتى فى الماضى ليس غير ، وهى قليلة الاستعمال ،
أما الشائع فهما الفعلان كاد يكاد، ويوشك .

ومادة (كَرَبَ) فى الأمل تدل على الضيق والغم والحســزن
فما العلاقة بينها وبين (كرب) بمعنى قَرَبَ ؟ ان العلاقة تكمن فى
اللفظ وليس فى المعنى فكلمة (كرب) هى نفسها كلمة (كرب) بمعنى
إبدال القاف كافًا ، ثم إِنَّ القاف والكاف - موقع الاختلاف - مسن

مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين على ما بيننا في البحث ،
وعلى ذلك فنظن أنَّ الأمل هو (قَرَبَ) المتصرف، ثم إنَّه لننطق معين
فردى أو لجماعة ، خَلَّفُوا القاف فصارت كافاً، ويدلُّ على ذلك أيضاً
أن صاحب المخصص ذكر تحت عنوان (القرب) الفعلين قرب وكرب ولم
يفرق بينهما .

والأفعال الشروع : شَرَعَ وَأَنشَأَ وَطَلَّقَ وَأَخَذَ وَعَلِقَ وَهَبَ وَجَعَلَ
وَهَلَّلَ . ومن النحاة من زاد عليها قام وقعد ، وجميعها غيـسر
متصرف ، فهي ملازمة لصورة الماضي وذلك إذا استعملناها للشروع ،
أما إذا استعملت لغير الشروع فهي متصرفة . ولما كان لهـذه
الأفعال معانٍ متعددةٌ عندما تستعمل لغير الشروع، فقد رأينا أنَّها
استعملت للشروع نقلاً وليس ارتجالاً ، وقد بحث في نفس الاطمئنان
إلى هذا الرأي أنَّ فكرة النقل والارتجال متحلقةٌ في ظاهرتيهـن
لغويتين : العَلَمُ وأسماء الأفعال ، هذه واحدةٌ، وأخرى أنَّ شواهد
استعمال هذه الأفعال للشروع قليلةٌ، بل نستطيع أن نقول إنَّهـ
شاذٌّ ، وينجدم بالنسبة إلى بعضها في حين أنَّ استعمالها لغير
الشروع له شواهدٌ كثيرةٌ بينها في موضعها ، كلُّ هذا يقوي الظنَّ
أنَّ استعمالها للشروع كان نقلاً وليس أملاً ، ثم إنَّها عندما
استعملت للشروع لزمت صيغةً واحدةً لا تتعداها ، بعد أن كانت
متصرفةً في الأفعال الأخرى . وقد بينا كلَّ ذلك بالشواهد ،
ورأينا أن الفعل (عَلِقَ) مثلاً قد شغل من لسان العرب ما يزيد على
أربع صفحات تشمل استعمالاته المختلفة وشواهد هذه الاستعمالات في

غير الشروع ، أما استعماله للشروع فلا شاهد له إلا البيت الذي أنشده
الاشموني وهو غير معروف القائل :

أَرَاكَ عَلِقْتَ تَطْلِمَ مَنْ أَجْرَنْتَ * * * وَظَلَمَ الْجَارِ إِذْ لُلَ الْمُجِيرِ

وهذه الأفعال وإن كانت منقولة وليست مرتجلة ، فإن هناك
مبرراً لهذا النقل وهو أن من معانيها ما يُتلمس فيه البدايات
أو الشروع ، وقد بينا ذلك في موضعه ، ويبدو أن الفعل (طَلِمَ)
دون غيره من أفعال الشروع ، استعمل للشروع ارتجالاً وليس نقلاً ،
لأن المعنى الغالب عليه في المعاجم هو معنى الفعل لزم الذي يُعطى
معنى الشروع أيضا .

وعسى وحرى واخلولق أفعال للرجاء غير متصرفة . فأمّا
عسى لمعناها في غير الرجاء كما في اللسان : عَسَا الشَيْخُ يَعْسُو ، أي
كبر ، وعسى النبات أي غُلِظَ وَيَبَسَ وعسى الليل اشتدت ظلمته ، ولكسى
نوثق العلاقة بين معنى الشروع وتلك المعاني رأينا لذلك
احتمالين :

الاول : أن نتلمس هذه العلاقة بشيء من التلطف وحسن
المنعة ، وذلك أن عسا الشيخ بمعنى كبر ، أي بلغ النهاية أو قاربها
وعسى النبات أي غُلِظَ وَيَبَسَ أي بلغ النهاية أيضا أو قاربها ،
وبالنسبة ليل ، أي اشتدت ظلمته أي بلغت الذروة بعد انتهاء النهار
فهل تعنى (عسا) أو (عسى) بذلك بلوغ الشاية أو قاربها ؟ ويكون
في ذلك شبهة بالرجاء ، فهو أيضا يدل على بلوغ الشاية أو مقاربة
بلوغها . لو أننا نملك من أدوات البحث ما يمكننا من معرفة
الاستعمالات المختلفة لهذا الفعل وتطورها وترتيبها التاريخي -
أقول لو أننا نملك ذلك - لقطعنا بصحة هذا الاحتمال ، ولقلنا
إن هذه الاستعمالات تعود إلى الاشتقاق التاريخي لهذه الكلمة من
حيث المعنى .

الثانى : أن تكون (عَسَا) أو (عَمَى) اختصاراً لكلمة اكبر كانت تستعمل لتلك المعانى جميعاً ومنها الرجاء ، ثم اختزلت أو اختصرت حتى صارت على صورتها هذه ، يوجب ذلك أبحاث بعض اللغويين الذين يرون أن التطور فى بنى الكلمة كان نحو الاختزال والاختصار لا نحو التكثير أو التضمين ، مثال ذلك أن (سول) يقال فيها (سلف) و (س) و (سو) ، ويقال فى (كيف) (كسى) . يضاف إلى ذلك أن هناك الفاظاً مشتقة من هذا الفعل تدل على الرجاء ، وذلك نحو (المعساة) كمحسنة ، وهى الناقة يشك أنها كسب أو لا و (المعساة) الجارية المراهقة التى يظن من رآها أنها توفات ، فالناقة يرجى لبنها والفتاة يرجى طهرها . والحاجزون يلزمون على الأفراد والتذكير ، أما بنو تميم فيطابقون بينها وبين الاسم قبلها : زيد على ... الفتاة عست - الفتيان عسين ... ونظراً أن لغة بنى تميم هى الأقدم ، فإسناد الفعل إلى ضمير يرجع إلى المسند إليه أمر منطقي ويتمشى مع استعمال الأفعال الأخرى نحو الزيدان ضربا والهندات ضربن ، إلا أن عدم تصرف هذا الفعل ولزومه صيغة واحدة وهى صيغة الماضي قد جعله عند تطور الاستعمال بعد ذلك يتخلص من تلك الفعاشير وكأنه قد ثبت على صورة واحدة - وهى على - لا يتعداها . وقد بينت بعد ذلك الاستعمالات المختلفة لعسى من حيث كونها فعلاً أو حرفاً .

والفعل (اخلوق) نادر الاستعمال إن كنتم يكن غير مستعمل إطلاقاً ، وظنى أنه مصنوع ، فقد صاغه النحاة من (أخلق) على وزن الموعول ، كأعشب وأعشوب ، وهذه الطريقة ذكرها ابن

جنس وغيره كثيرا ، فقال : كيف تهنى من كذا على وزن كسدا ؟
 وَيَتَوَى ذلك أَنَّ الْمَشَالَ الْوَحِيدَ لِهَذَا الْفِعْلِ فِي كِتَابِ النُّحُو اِخْلُوقَاسَتْ
 السَّمَاءُ (أَنْ تُطَيَّرَ) . ويبدو أن هذا المشال له علاقة بالمشال الذي
 ورد في لسان العرب (اخلولق السحاب) ، أي استوى وارتقت جوانبه
 وصار خليقا بالمطر ، وربما كان هذا المشال مفسرا لاستعماله عند
 النحاة - وليس عند عامة العرب - كفعل من أفعال الرجاء ؛ ذلك
 أن (اخلولق السحاب) يدلُّ على أن المطر آتٍ ، والماء - كما هو
 معلوم - مَعْقِدُ الرجاء عند العرب ومَبْعَثُ الأمل فيهم .

والفعل (حَرَى) غيرُ مستعمل أيضا ، وربما كان من الاسـم
 (حَرَى) الذي يستعمل معه أيضا (أحرى) بمعنى (أخلق) ونظـر
 أن (حَرَى) استعمل في فترة لغوية محدودة ، وبقي على حالته تلك
 لا يتصرف ثم أميت ولم يرد ذكرُ (حرى) و (اخلولق) في القرآن .

ومن الأفعال غير المتصرفة (تَعَلَّمَ) بمعنى (اعلم) و (هَبَّ)
 بمعنى (ظنَّ) وهما من أفعال القلوب نسبة إلى القلب موطن الفهم
 والمعاني العقلية عند العرب .

فأما الفعل الأول وهو (تَعَلَّمَ) ، فإنه غير متصرف ويبقى في
 صيغة الأمر بشرط أن يكون معناه (اَعْلَمَ) . والفرق بين تَعَلَّمَ وَاَعْلَمَ
 أن الأول بمعنى تكلف العلم ، والفعلان يدخلان في دائرة الأسمـور
 العقلية التي موطنها القلب عندهم . ويبدو أن بعض القبائل العربية
 كانت تستعمل فعل الأمر تَعَلَّمَ مكان اَعْلَمَ ، ولا يزال المعوديون

يقولون: (أَعْلَمَكَ) ، ولا يقدمون بها التعليم أو التدريس مثلاً ، بل يقدمون أمرك .

وأما الفعل الشانئ (هَبَّ) فلا يتم صرفاً إلا إذا كان بمعنى (ظَنَ) ، أما إذا كان بمعنى أَعْطَى أو أَنْعَمَ فهو يتم صرفاً ، كذلك يجيء الفعل (وَهَبَ) مع أفعال التمييز : جعل واتخذ وترك .. ويبدو أن (هَب) بمعنى (ظَنَ) كان ميمراً متمصلاً لتخصيصه بهذا المعنى دون غيره .

ومن الأفعال غير المتمصرفة نعم وبئس وهما منقولان - كما بينا - من نَعِمَ وبَئَسَ . وبسبب هذا النقل لزما صورة واحدة لا يتعديانها ، واكتسبا في الوقت نفسه شيئاً من ماضي الاسم التي تظهر في دلائل الكوفيين ، وشيئاً من خصائص الفعل التي تظهر في دلائل البصريين . وعبداً ولا عبداً يشبهان نعم وبئس في المعنى ويأتيان على صورة الماضي ليس غير وقد تناولناهما من حيث التركيب والإعراب والاستعمال ورجحنا أنهما لاسم يستعملان حتى العصر الإسلامي وأنَّ كلاً من (نعم) و (بئس) أقدم في الاستعمال منهما .

ومن الأفعال غير المتمصرفة التي ألحقها النحاة بنعم وبئس - فعلان الأول : الفعل الماضي على وزن (فَعَلَ) بضم العين ، فالفعل الماضي لا يجيء على هذه الصورة - ويكون متمصلاً - إلا إذا دلَّ على غريزة أو طبيعة أو شبه ذلك . والميقتان الأخريتان (فَعِلَ) بكسر العين و(فَعَّلَ) بفتحها ، إذا حولتا إلى صيغة (فَعَلَ) بضم

العين ، فإنَّ هذه الميعة لا تتصرف دليلاً على أنها منقولة نحو
 قَضُو الرجلُ وعُلِمَ (بضم الضاد واللام) بمعنى ما أَقْضَاهُ وما أَعْلَمَهُ .
 وهذا المعنى يوضح لنا أن من النحاة من الحقَّ هذا الميعة سميعة
 التعجب (ما أفعله) ، ولم يرتفع إلحاقها بالمدح والذم ، ولا لسرق
 مندي فهي تفيد المدح والتعجب منه ، أو الذم والتعجب منه فليس
 الوقت نفيه .

الثاني : ساء وهو فعلٌ يبقى في حالة الماضي إذا كان للذم ،
 ويتصرف في غير ذلك ، ويُشبه في ذلك (لا يكون) فهو لا يتصرف في
 الاستثناء ، ويتصرف في غير ذلك وقد جاء الفعل (ساء) غيرُ
 المتصرف في القرآن كثيراً ، وقد ساوى القرطبي بين (ساء)
 و(بئس) في تفسيره للآية " لساء قرينا " ، وهذه الآية تدل على
 أن (ساء) غيرُ متصرف ، وذلك لسبب بسيط وهو اقترانه بالساء ،
 فالفاء - كما هو معروف - تقترن - فمن ما تقترن - بجسواب
 الشرط إن كان ماضياً غير متصرف .

وميفتا التعجب القياستيان في العربية (ما أفعله) و(أفعل)
 به) وهما فعلا غير متصرفين ، لأنَّ التعجب قد لزم هاتين الميقتين
 ولم يتعداها إلى صيغ قياسية أخرى . وهاتان الميقتان من أقدم
 صيغ العربية وتمثلان اللَّيْنَةَ الأولى في بناء النحو بدليل ورودها
 في حوار أبي الأسود الدؤلي مع ابنته " ما أحسن السماء " وما
 أشد الحر " حيث أخطأت الابنة ونطقت الجمليتين برفع النون والذال

واختلفت النحاة في (ما أفعله) : هل هي اسمٌ أو فعلٌ ،
 واختلفهم لِمُر منهجى ، فقد جمعت خصائص من الاسم وخصائص
 من الفعل ، وكان الدكتور تمام حسان على حقَّ حينما عدَّها اسماً

خاصاً من أقسام الكلام أسماء (الخالفة) . ولم نرتض تأصيل
 النحاة لصيغة (أفعل به) ، لأنّه تأصيل لا أمل له في اللغة وليس
 مطابقاً لواقع الاستعمال اللغوي . ولقد وضع النحاة شروطاً للفعل
 الذي يصاغ على (ما أفعله) أو (أفعل به) وهو شروطٌ مبنيةٌ على
 استقرار ورود هاتين الصيغتين في كلام العرب ، وقد علمنا لوجود
 هذه الشروط تعليلاً لغوياً يمسّ واقع استعمال، ويبعدُ عن الفلسفة
 والمنطق ، وقد نقلنا في تعليلنا لهذه الشروط بعضَ أقوالهم فسي
 ذلك .

ويبقى بعد ذلك بابُ الاستثناء ، وفيه أفعالٌ غيرُ متصرفة
 وهي ليس ولا يكون - وقد تناولناهما في أول هذا البحث في باب
 كان وأخواتها - وعدا وحاشا . وهذه الأفعال لها معان كثيرةٌ ،
 وبعضُ المعاني له صلة بالاستثناء فهي تدلُّ - فيما تدلُّ - على
 المجاوزة أو البعد أو الترك ، وهو ما يتفق مع معنى الاستثناء ،
 وهي في ذلك غيرُ متصرفة لخصوصيتها بمعنى واحد وهو الاستثناء .

على أن هناك أفعالاً أخرى غيرَ متصرفة أو شبه متصرفة
 لا تندرج تحت باب من أبواب النحو :

من هذه الأفعال الفعلان وَدَرَ وَوَدَعَ ، فالمستعملُ منها الأمر
 والمضارع ، أما الماضي فلم يستعمل ، فهما شبه متصرفين من ناحية
 الاستعمال ليس غير ، إذ إنّ القياس لا يباي مجزأ الماضي أيضاً
 كما هو الحال في وَزَنَ يَزِنُ وَزَنًا ، إلّا أن الاستعمال هجر الماضي

منهما واستعاض عنه بـ (ترك) . وباستقراء النصوص التي ورد فيها الماضي (ودع) والمصدر (ودعا) تبين لنا أنهما لم يكونا مهجورين في فترة نزول القرآن ، وعلى حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) واستمر استعمالهما حتى السنين الأولى من النصف الثاني من القرن الأول للهجرة ، وبعد ذلك هُجِرَ استعمالهما ولم يبق مستعملاً إلا المضارع والأمر .

ومنها (كَذَبَ عَلَيْكَ) وهو أسلوب خاص في الإعراف يكون فيه الفعل (كَذَبَ) غير متصرف ، وقد هُجِرَ الآن ولم يعد مستعملاً، وجميع شواهد لم يتعد زمانها زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين من بعده . وربما كان هذا الأسلوب (كَذَبَ عَلَيْكَ) مستفهماً اليوم، ولكنه لم يكن كذلك حين استعمل ، وربما كان مشابهاً للتعبير الذي يستعمله قوامنا اليوم (عليك الحرام أن تفعل كذا) أي يحل الحرام إن ... ، كما أن (كذب عليك) معناها : يحل بك الكذب . وواضح أن بين الكذب والحرام علاقة وثيقة .

ومنها الفعل (تبارك) ، ومادته بَرَكَ يَبْرِكُ منها معان كثيرة ولكن الفعل (تبارك) غير متصرف ، فلا يأتى منه مضارع ولا أمر ولا اسم فاعل .. وقد جاء في القرآن الكريم مقصوداً إسناده إلى الله ليس غير ، وربما كان هذا هو سبب عدم تصرفه للإشعار بأن التمجيد والرفعة إنما هي لله دون غيره ، ولإشعار أيضاً بأن هذا الفعل ... وإن كان قد توقف عند صيغة الماضي - يدل على الحال والاستقبال أيضاً ، مثله في ذلك مثل الفعل (كان) في القرآن الكريم

عندما يكون اسمه لفظ الجلالة مثل " وكان الله سميعا بصيرا " " وكان الله عليما حكيمًا " .

و(قَلَّ) فعلٌ متصرفٌ، إلَّا أن من النحاة من جعله غير متصرفٍ في أسلوب خاص به لا يتعداه وهو " قَلَّ رجلٌ يفعلُ ذلك " بمعنى " ما رجلٌ يفعلُ ذلك " ولما كان الفعلُ (قَلَّ) هنا يساوي (ما) الحرفية في المعنى، فقد مُنِعَ من التصرف لشبهه بالحرف . وَلَمْ نُوَسِّدِ الشُّعَاةَ في ذلك ، لأنهم لم يأتوا بشاهد، واعتمدوا على مثال من صنعهم ، ولم يذكر سببونه هذه المسألة في كتابه ثم إنَّ قولهم إنَّ (ما) تساوي (قل) فيه نظرٌ ، فعلاقة المساواة هذه تجدها في المسائل الرياضية وهي بعيدة عن اللغة أو قُلْ غريبة عليها .

والفعل (سَقَطَ) غير متصرف في استعمال بعينه، ويدل حينئذ على الحسرة والندم ، وهذا الاستعمال هو (سُقِطَ في يده) ويكسبون الفعل (سَقَطَ) في هذا الاستعمال مقصوراً على الماضي الذي لم يُتِمَّ فاعله دون إسناد أية شائز له ، فلا يُقال يسقط ولا سقطوا ولا يسقطون ... وهذا التركيب لم يعرفه العربُ إلَّا بعد نزول القرآن حيث جاء في الآية السابعة والأربعين بعد المائة من سورة الاعراف " ولما سُقِطَ في أيديهم ورأوا ... " ولم يُعرف قبل ذلك .

ومن النحاة من يَعدُّ (يَعَمُّ) في (يَم صابحاً) غير متصرفٍ لا يأتى منه مضارعٌ ولا ماضي ، أي أنهم لم ينطقوا بـ(وَعَمَّ) (يَعَمُّ) . ومن النحاة من لا يعد (وعم وعم عم) أصلاً مستقلاً بنفسه، بل إنَّ

(يَعْم) عندهم محذوفٌ من (يَنْعِمُ) ، ولذلك أجازوا (عَم صباحاً)
بفتح العين وكسرها كما يقال انْعَم وانْعِم . ونحن لا نميل الى هذا
الرأي ، كما أنَّ القول بأنَّ المضارعَ غيرُ مستعملٍ مردودٌ بقول امرئ
القيس :

..... * * * وهل يَعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي

ثم كرر المضارع بعد ذلك مرتين .

أما الماضي فلم نعثر على شواهد لاستعماله ، ولكننا
لا نستبعد استعماله فقد ذكر الأزهري عن يونس بن حبيب أنه قال
وَعَصَتْ أَدَارَ ، أَعِمَّ وَعَمَّا أي قلت لها انْعِمِي .

ومن النحاة من يرى الفعلَ (يَنْبَغِي) فعلاً غيرَ متصرفٍ مقصوراً
على المضارع ليس غير ، ولا نَرَى رأيهم ، بل إنَّ ماضيه مستعملٌ
أيضاً بدليل ما جاء في نوادر أبي زيد الأنصاري وما نصَّ عليه
بعض أصحاب المعاجم ، أما الأمرُ منه فالقياس لا يابى مجيشه (انْبَغِ)
ولكنه غيرُ مستعملٍ لأنَّ معناه في الأمر بعيدٌ عن أية مناسبة
تستدعي استعماله ، وما كان لإنسان أن يخاطب آخر أو يأمُرَه
بقوله : انْبَغِ . وهذا يماثلُ فعلَ الأمر (انْكسر) .

ومن الأفعال غير المتصرفة التي تبقى في حالة المضارع
المنسوب إلى المتكلم الفعل (أَهْلُمُ) بمعنى ألقِ ، وهو جواب لمن
قيل له (هَلُمَّ) وفيه عدة لغات ولم أجد شواهد لاستعماله ، والمنعصة
والقياس لا يابيان مجيء الماضي فيقال هَلُمَّتُ كَصَرَرْتُ وَشَمَلْتُ عَلَى
وَرْنٍ فَهَلَلْتُ . وهَلُمَّ لم يزل مستعملاً حتى الآن ، ولكن جوابته
أهلم هو الذي هجر ، ولم يعمد مستعملاً .

ومنها - في رأي بعض النحاة - (ها) بمعنى (خذ) وفيها
لغات ثلاث - بينها في موضعها - وهي فيها ملازمة لميغة الأمر
دون الماضي أو المضارع ، ولا تُعَدُّ في هذه اللغات أسماء أفعال .
وكما أن (أَهْلُم) ردٌّ وجوابٌ عن (هَلَمْ) فإن (هَاء) لها جوابٌ وهو
(أَهَا) وهو فعل متصرفٌ لم يأت منه إلا المضارع المنسوبُ إلى
المتكلم . وهذا الفعل بلغاته الثلاث قد أميت ولم يبق منه
إلا العنصرُ الإشاري الذي نجدُه في أول أسماء الإشارة .

والفعل (هات) بقى هو وحده دون ماضيه هَاتِي ومضارعـه
يَهَاتِي اللذين أميتا ، وقد ذُكِرَ في أكثر من مرجع وعده الزمخشريُّ
وشارح مفصله ابن يعيش - دون النحاة - اسمَ فعلٍ ، وجَعَلَا (هَيْتَ)
أصلَ مادتيه ، وهذا خطأ، فإنَّ أصله الثلاثي : هتا مثل عطـا .
وربما كانت الهاءُ التي في أول (هات) هي التي أوهمت الزمخشريَّ
وابن يعيش أنه اسمُ فعلٍ؛ لأنَّ كثيراً من أسماء الأفعال والأصوات
تبدأ بهذا الصوت (الهاء) ، ومن أجل ذلك هذا التوهم رأى بعضُ
النحاة أنَّ الهاءَ فيه مبدلةٌ من الهمزة فالأصل آتَى يُؤَاتِي ،
ولا نستبعد ذلك لهنالك كثيرٌ من حالات هذا الإبدالِ مدعومةٌ بالشواهد .

و(تَعَالَى) لعلَّ أمرٌ متصرفٌ بشرط قصره على أسـسـو
النداء بمعنى : اقبل . أما إذا استعمل في غير النداء فهو
متصرف .

و(يَهَيْطُ) فعلٌ مضارعٌ غيرٌ متصرفٌ بمعنى يهيئ وقد أميت
هذا الفعل ، بعد أن كان مستعملاً ، يدل على ذلك أن ما اقتصرن
بهذا الفعل من أفعال (وهي ماضٍ ووسط وعاط) مستعملةٌ ولهـا
شواهدٌ في كتب الأدب : ويبدو أن (يَهَيْطُ) كان من نطق عـسـو
العرب ، بدليل اختلاف عين المصدر عندهم وهو أيضاً غيرٌ مستعملٍ؛

مُهَايَظَةٌ وَمُعَايَظَةٌ وَمَمَايَظَةٌ وَمَسَايَظَةٌ .

كذلك الفعل (يَسْوَى) بمعنى (يساوي) وقد أنكر أكثر من نحوي ولغوي وجودَ هذا الفعل أو حكموا بنُدْرته . ونظن أن يسوي معدولة عن يساوي وهذا الاصطلاح - العدل - أخذناه من أسباب الممنوع من الصرف كأن تقول : عمرُ معدولٌ عن عامرٍ وزلزلُ معدولٌ من زافيرٍ ، وربما كان هذا (العدل) - إن صحَّ هذا التعبيرُ - لهجةً من لهجات العرب ، أو هو للتخفيف من المد الذي في يساوي ، أو أنه كان نطقاً نغزياً من العرب ثم انقرض هذا النطق بعد ذلك .

و(نَكَرَ) لم يستعمل إلا ماضياً . ونكرَ وأنكرَ لغتان ، ولكنَّ المضارعَ (يُنَكِّرُ) يستعملُ للثنيين ، ولم يجرِ المضارعُ من (نَكَرَ) الذي هو الأصل في رأينا ، ثم تعدى بالهمزة وأصبح (أنكرَ) واستعمل مضارعه للثنيين الثلاثي والرباعي بعد أن هجر (يُنَكِّرُ) بفتح الياء .

و(هَذَّ) فعل متصرف بمعنى هَذَمَ وَكَسَرَ ، ولكنه في استعمال خاص دال على المدح لم يجرِ إلا ماضياً ، وذلك في مثل " مررتُ برجلٍ هَذَكٍ من رجلٍ " ، أي " أثقلتُ وصفَ محاسنه " وواضحٌ أنَّ هناك علاقةً معنويةً بين الفعل (هَذَّ) بمعناه العام وبين معناه في المدح " أثقلتُ أو أعجزتُ وصفَ محاسنه " ، على أنني لم أجِدْ شاهداً على هذا الاستعمال ، بل رأيتُ شاهداً على استعماله للتعجب كالقول أبي لهب " لَهْدَ مَا سَحَرَكُمُ صَاحِبُكُمْ " .

هذا وبالله وحده التوفيق .،،

يسهرس بالمصادر والمراجع

- (١) الاشتقاق لابن دريد : تحقيق عبدالسلام هارون : ط المنشى
بغداد ١٩٧٩ .
- (٢) الاشتقاق لمبداءك أمين : لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٥٦ .
- (٣) الأشباه والنظائر للسيوطي : حيدر آباد الهند ، ١٣٥٩ هـ .
- (٤) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : دار الثقافة بيروت ١٩٧٤ .
- (٥) أقسام الكلام العربي : د. فاضل مصطفى السائق ، الخانجسي
مصر ، ١٩٧٧ .
- (٦) أمالي السيد المرتضى : ط السعادة بمصر ، ١٩٠٧ .
- (٧) أمالي الزجاجي : ط القاهرة ، ١٣٨٢ هـ .
- (٨) أنباء الرواة على أنباء النحاة للوزير جمال الدين القلطي
تحقيق محمد أبي الفل ابراهيم : دار الكتب
١٩٥٠ .
- (٩) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري : ط صبيح ١٩٥٣ .
- (١٠) أوفح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام : تحقيق محمد
محيي الدين . ط السعادة بمصر ، ١٩٤٩ .
- (١١) البحر المحيط لأبي حيان : مطبعة السعادة مصر ١٣٢٨ هـ .

- (١٢) البرهان في علوم القرآن : لبدر الدين الزركشي : تحقيق
محمد أبي الفضل إبراهيم إحياء الكتب العربية ،
• ١٩٥٩
- (١٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي : تحقيق
محمد أبي الفضل إبراهيم ط الحلبي ، ١٩٦٤ •
- (١٤) تاج اللغة ومحاح العربية لأبي نصر اسماعيل بن حماد
الجوهري : تحقيق احمد عبدالغفور عطا دار الكتاب
بمصر •
- (١٥) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك : تحقيق كامل
بركات دار الكتاب بمصر ، ١٩٦٧ •
- (١٦) التطور النحوي لبرجشتراسر مطبعة السماح بمصر ١٩٢٩ •
- (١٧) الجامع لأحكام القرآن للطبري دار الكتب ، ١٩٤٠ •
- (١٨) جامع البيان في تأويل القرآن للقرطبي : تحقيق محمد
شاكر واحمد شاكر دار المعارف بمصر دون تاريخ •
- (١٩) حاشية الجمل على الجلالين وبهامشه اعراب القرآن للعكبري
المكتبة التجارية الكبرى ١٩٣٣ •
- (٢٠) حاشية الصبان على شرح الأشموني • المكتبة التجارية بمصر
دون تاريخ •
- (٢١) خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي : تحقيق
عبد السلام هارون دار الكتب العربي ، ١٩٦٩ •
- (٢٢) الخصائص لابن جني • تحقيق محمد علي النجار ط دار الكتب
• ١٩٥٥

- (٢٣) دراسات نحوية في خصائص ابن حنبل للدكتور أحمد سليمان
دار النشر الجامعي ، ١٩٨٥ .
- (٢٤) ديوان الأعشى : تحقيق د. محمد محمد حسين، بيروت
١٩٦٨ .
- (٢٥) ديوان الحماسة لأسس تمام تحقيق محمد عبدالمنعم خلفا جى ،
ط ، صحيح ، ١٩٥٥ .
- (٢٦) ديوان كثير عزة شرح الدكتور إحسان عباس، دار الشقافة
بيروت .
- (٢٧) ديوان لبيد : شرح الدكتور احسان عباس ط الكويت .
- (٢٨) شذا العرف في فن الصرف للشيخ أحمد الحملاوي : ط الحلبي
بمصر ، ١٩٥٥ .
- (٢٩) شذور الذهب لابن هشام ، التجارية الكبرى بمصر ١٩٥٧
- (٣٠) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك التجارية الكبرى بمصر
١٩٦٤ .
- (٣١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك تحقيق محمد يحيى
الدين ط .
- (٣٢) شرح التمرحيم على التوضيح : خالد الأزهرى : التجارية
الكبرى بمصر دون تاريخ .
- (٣٣) شرح ديوان امرئ القيس للأستاذ حسن السندوبي ، التجارية
الكبرى بمصر ، ١٩٥٣ .
- (٣٤) شرح ديوان جرير محمد اسماعيل الماوي، التجارية الكبرى
دون تاريخ .

- (٣٥) شرح ديوان الفرزدق : عبد الله إبراهيم الصاوي التجارية
الكبرى ١٩٣٦ .
- (٣٦) شرح ديوان المتنبي للكبرى . ط الحلبي ، ١٩٥٤ .
- (٣٧) شرح شواهد المغنى للسيوطي : المطبعة البهية بمصر ، دون
تاريخ .
- (٣٨) شرح الكافية للرفي الاسترأبادي : ط استنبول : دون تاريخ
- (٣٩) شرح القمائد السبع الطوال الجاهليات لابن الانباري :
تحقيق عبدالسلام هارون دار المعارف ، ١٩٦٨ .
- (٤٠) شرح المعلقات السبع للزوزني مكتبة القاهرة ١٩٦١ .
- (٤١) شرح المفصل (مفصل الرمخشي) لابن بغيث المنبرية بالقاهرة
دون تاريخ .
- (٤٢) شعر الأختل تعليق وشرح الأب أنطون مالحاني اليسومس :
المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٨٩١ .
- (٤٣) شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك . دار العروبة بمصر
١٩٥٧ .
- (٤٤) الصاحبي في فقه اللغة وشرح العرب لابن فارس : تحقيق
مصطفى الشويحي بيروت ، ١٩٦٤ .
- (٤٥) المقدم الفريد لابن عبد ربه : دار الكتب العلمية بيروت ١٩٦٥
- (٤٦) علم اللغة للدكتور علي عبدالواحد وافي : مكتبة النهضة
١٩٤٤ .
- (٤٧) الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية : جورج زبيدان :
ط الهلال سنة ١٩٥٨ .

- (٤٨) في علم اللغة الثقافلي للدكتور أحمد سليمان : دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥ .
- (٤٩) في النحو العربي نقد وتوجيه للدكتور مهدي المخزومي : ط بيروت ، ١٩٦٤ .
- (٥٠) القاموس المحيط للفبروز آسادي .
- (٥١) الكتاب لسيبويه : ط المشنى مصورة عن ط بولاق سنة ١٣١٦ هـ .
- (٥٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأناويل في وجوه التأويل لجار الله الزمخشري : بيروت دون تاريخ .
- (٥٣) لسان العرب لابن منظور .
- (٥٤) اللغة لفندريس ترجمة الأستاذين القصاص والدواخلي الأنجلو المصرية ١٩٥٠ .
- (٥٥) اللغة والنحو للدكتور حسن عون مطبعة رويال بالاسكندريسة ١٩٥٤ .
- (٥٦) اللغة العربية : معناها ومبناها للدكتور تمام حسان . الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣ .
- (٥٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة تحقيق فؤاد سزكين الخانجي ١٩٥٤ .
- (٥٨) مجمع الأمثال لأبي الفضل النيسابوري المعروف بابن الأثير الناشر : عبد الرحمن محمد . الأزهر . مصر . ١٩٥٢ .
- (٥٩) مختار الشعر الجاهلي : جمع الأستاذ مصطفى السقا . الحلبي مصر . ١٩٤٨ .

- (٦٠) المخصص لابن سيده المرسى بولاق ١٣١٩ .
- (٦١) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي . نهضة مصر ١٩٥٥ .
- (٦٢) المزهر للسيوطى تحقيق محمد جاد المولى وآخرين ط الحطبي
دون تاريخ .
- (٦٣) معجم البلدان لياقوت الحموي ط بيروت ١٩٥٥ .
- (٦٤) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام تحقيق مسـانـن
المبارك وآخرين بيروت ، ١٩٧٩ .
- (٦٥) المفصل فى قواعد اللغة السريانية وآدابها . لأبراشسي
وآخرين ط الأميرية بولاق .
- (٦٦) المفطليات للمفضل الضبي ؛ تحقيق شاكـر وهارون دارالمعارف
١٩٦٣ .
- (٦٧) معانى القرآن لأبي زكريا الفراء ؛ تحقيق محمد على النجار
الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر دون تاريخ
وهناك طبعة أخرى للهيئة المصرية العامة للكتاب .
- (٦٨) النحو الوائى للمرحوم عباس حسن ط دار المعارف ١٩٦٣ .
- (٦٩) نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الأنباري. تحقيق إبراهيم
السامرائى ؛ دار المعارف بغداد سنة ١٩٥٩ .
- (٧٠) النهاية فى غريب الحديث لأبي السعادات بن محمد الجـزـري
المعروف بابن الأثير ، ط الخيرية بمصر دون تاريخ .

- (٧١) النواذر في اللغة لأبي زيد الأنصاري بيروت ١٩٦٧ .
- (٧٢) النواسخ الفعلية والحرفية . للدكتور أحمد سليمان . دار المعارف ١٩٨٤ .
- (٧٣) معجم الهوامع شرح جمع الحوامع للسيوطي : طه حسين بيروت دون تاريخ .

الدوريات :

- مجلة مجمع اللغة العربية : الجزء الرابع ١٩٣٧ .
- الجزء الحادي عشر ١٩٥٩ .

مراجع أجنبية :

- 1 - A. Dictionary of Theoretical Linguistics. by M.El - Khouli, Librarie Liban 1982.
- 2 - Fundamental Problems of Phonetics. by G.C. Catford Indian University Press 1982.
- 3 - A. Grammar of the Arabic Language. Translated of the German of Caspri by W. Wright - London 1875.
- 4 - A. Grammar of the Classical Arabic Language B.M. Howell London. 1883

	إهدا *
٧	مقدمة
١١	الفصل الاول
١٣	هذه الأفعال : هل هي جامدة أو غير متصرفة
٢٩	الفصل الثاني
٣١	كان وأخواتها
٤١	دام
٤٥	زال وانفك وفتى * وبرز
٤٩	الفصل الثالث
	أفعال المقاربة
٥٩	الفصل الرابع
	أفعال الشروع
٧٣	الفصل الخامس
	أفعال الرجاء *
٨٩	الفصل السادس
	أفعال القلوب
٩١	تعلم وهب
٩٥	الفصل السابع
	أفعال المدح والذم
٩٧	نعم وبلى
	حيذا ولا حيذا
١٠٤	فعل
١١٤	سا *

١١٩	الفصل الثامن
١٢١	صيفتنا التعجب
١٣٥	الفصل التاسع
١٣٧	أعمال الاستشفا *
١٤٧	الفصل العاشر
١٤٩	أعمال متفرقة
١٥١	وذر - ودع
١٥٦	كذب عليك
١٦١	تبارك
١٦٤	قل
١٦٧	سقط في يده
١٧١	عم صباحا
١٧٥	ينبغي
١٧٨	أهلم وها
١٨٣	هات وتعال
١٨٩	يهيط ويسوي
١٩٣	نسكرك
١٩٦	هدد
١٩٧	نتائج البحث
٢١٧	فهرس بالمصادر والمراجع

To: www.al-mostafa.com